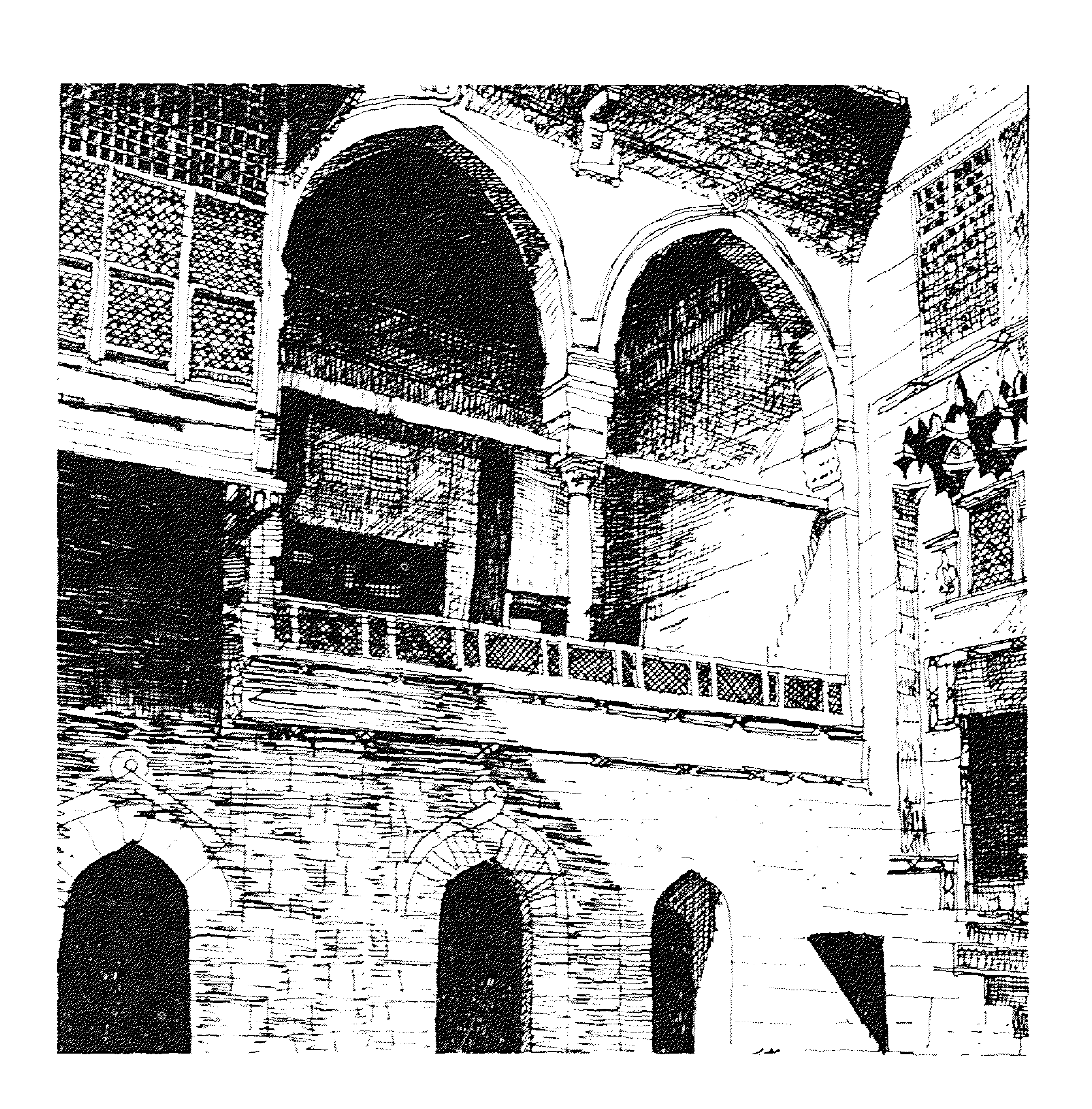
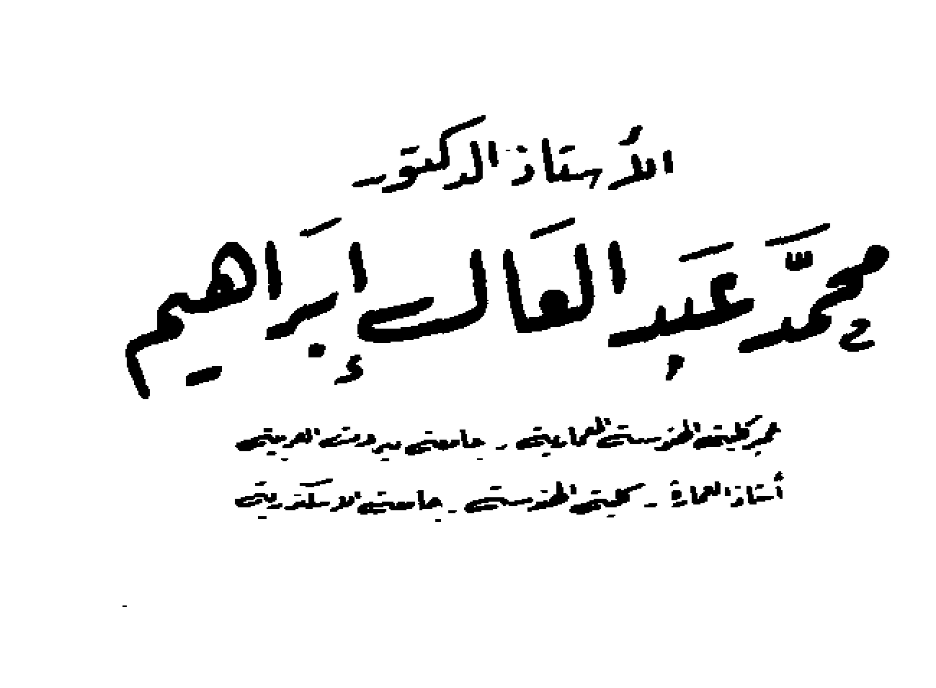
الشخصيه المصريه

في العماره المحليه المعاصره





دار الراتب الجامعية
DAR EL-RATEB AL-JAMIAH

الشخصيه المصريه
في
العماره المحليه المعاصره

دار الراتب الجامعية

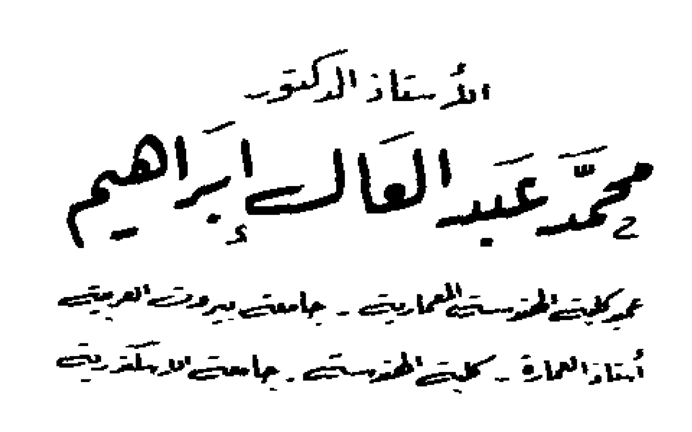
DAR EL-RATEB AL-JAMIAH

سجل تجاري ٤٧١٨٤ / بيروت

الادارة : بناية اسكندراني رقم (٣) الطابق (٢) مقابل مسجد الجامعة
المكتبة : بيروت- بناية سعيد جعفر- تجاه جامعة بيروت العربية

ص . ب : ١٩٥٢٢٩ بيروت/ لبنان

تلفون : ٣٠٦٥٠٥ - ٣١٧١٦٩ - ٣١٣٩٢٣ - ص . ب . ١٩٥٢٢٩
تلكس RATEB 43917 LE



الشخصيه المصريه
في
العماره المحليه المعاصره






بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن دراسة الشخصية المصرية في العمارة المحلية المعاصرة لمن الأمور الصعب الوصول فيها إلى رؤية واحدة محددة فهي تعتمد على نظرة الباحث وخلفيته ومدى اقتناعه بصورة هذه الشخصية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً .

ولقد وجدت من الأنسب أن أعالج هذا الموضوع عن طريق التحليل التاريخي لتلك الشخصية من العمارة ، ووضعت من البيئة طريقاً للوصول لفهم الشخصية المصرية من العمارة قديماً وحديثاً ومستقبلاً، وقد تمكنت من وضع النقاط الإيجابية لمثل هذه الدراسة ، واقتناعي بأن للشخصية المصرية وجود في كل عصر من عصور الحضارات التي عايشتها مصر وما زال لهذه الشخصية وجود حتى عصرنا هذا. لقد استطاعت الشخصية المصرية أن تصل إلى أقصى درجات الوضوح في العصر الفرعوني والعصر الاسلامي عندما كانت الظروف البيئية المحيطة بها سليمة وصحيحة ، ولقد كان لها أثرها ولكن بشكل محدود خلال العصر الاغريقي والروماني، وهي تحاول خلال هذا القرن (القرن العشرين) من أثبات وجودها نجحت حيناً واخفقت حيناً، ولكني أؤكد بدون تردد أن الشخصية المصرية خلال ربع القرن الأخير قد لاحت ملامحها في الأعمال المعمارية المعاصرة .

وإني عن طريق فهم البيئة المصرية (الطبيعية ، الاصطناعية والاجتماعية) وغير ذلك من المشتملات ومع دراسة العادات والتقاليد للانسان المصري ومفهوم الحضارات توصلت إلى المفهوم السابق .

وأحب أن أوجه القارىء وخاصة المتخصص في مجال العمارة أن يربط بين المعاني المتواجدة في سطور هذا الكتاب وبين اللوحات حتى يأتي المعنى الشامل والمتكامل لمقصود تلك اللوحات والسطور .

وفي النهاية اتمنى أن أكون قد وفقت عن طريق هذه السطور واللوحات بنقل احساسي ومشاعري نحو الشخصية المصرية في العمارة المحلية المعاصرة وعلى مر العصور. أجل آمل أن أكون قد وفقت.

والله الموفق والسلام .

أ . د . محمد عبدالعال ابراهيم

بيروت : كانون الثاني ١٩٨٦

الباب الأول

رؤية ونظريات عامة

موقف المعماري المصري من عصره

نقف نحن المعماريين أمام هذه الكتل المتراصة بالحضر والريف الذي كان لنا أو لغيرنا ، دور فيها والمشكلة للفراغات الداخلية والمحددة للفراغات الخارجية وقفة المتسائل هل نحن معماريو اليوم أو من سبقنا استطاع أن يخرج لمصر عمارة محلية تنطبع بالشخصية المصرية ؟ هل هذه الكتل هي الغلاف الحقيقي لحجوم الفراغات الخاصة والعامة الناتجة عن متطلبات واقعية لهذا المجتمع الذي نعيش فيه ؟ وهل هذه الصور للمباني خارجياً وداخلياً هي الواقعية لواقع هذا المجتمع بيئياً وثقافياً لماضيه وحاضره ومستقبله؟ وهل عكست هذه المرآة رؤية المجتمع لمفهوم الحضارات الخاصة به على مر العصور ، والحضارات المحيطة به ومدى تفهمه لها وقدرته على الاستفادة منها دون أن تلغى شخصيته ، وهل استفاد من الاتجاهات العلمية المتقدمة في الحضارات الأخرى ومدى استيعابه لتكنولوجية العصر الحالي والمستقبل في التصميم والبناء . وهل هذه الصور المتواجدة للمباني هي استمرارية للخط الحضاري المصري الذي كان يتميز بها قديماً وإلى أي قدر استطاع أن يسخر البيئة الطبيعية ليستفيد منها المجتمع .

فالعمارة في حقيقتها هي المرآة التي تنعكس عليها حضارات المجتمع . لذلك جاءت أهمية هذا البحث وخاصة في الدول النامية ، فهي المؤشر إلى التقدم والرقي وهي الترمومتر الذي يقيس درجة الحضارات . وهي التي تشير إلى وضوح الرؤية للمجتمع .

ويقع على المعماري في الدول النامية مسؤولية ضخمة ، فالمعماري الناضج الفكر والمتحمل لمسؤوليته نحو مجتمعه يستطيع أن يساهم بالنهوض بمجتمعه ويأخذ به في الطريق السليم لأنه دائماً يكون صاحب رؤية مستقبلية ، والمعماري في الدول النامية أكثر حرية من غيره في الدول المتقدمة حيث القواعد والقوانين المنظمة للمهنة وقوانين التنظيم الأكثر دقة ووضوحاً حيث الحفاظ على شخصية المجتمعات . والمعماري في الدول النامية مطالب بوضع التنظيمات للحفاظ على شخصية مجتمعات الدول النامية ، حيث تواجه معماري الدول النامية الرؤية الأجنبية وغالباً ما يعجب بها متناسياً واقع مجتمعه فيقوم بمحو شخصية المجتمع النامي وحل مشاكله على النمط

الأجنبي الذي لا يمت بصلة للمجتمعات النامية . لذلك وجب على المعماري أن يحافظ على شخصية مجتمعه وتراثه ويقوم على التطوير مستعيناً بالعلم والتكنولوجيا فيمحو منها السالب ويقوي منها الموجب لذلك كان من مسؤولية المعماري أن يساهم في ايجاد عمارة بيئية محلية متميزة بطابعها لمجتمعه ولعصره . فهندسة العمارة اليوم هي علم هندسي وفني المضمون والاطار له الركائز المحلية والعالمية تتفاعل جميعها مع البيئة الاجتماعية والطبيعية لتوفير الفراغات المناسبة والمتماشية مع لغة العصر واحتياجات المجتمع .

ومن ذلك نقول إلى أي درجة كانت للشخصية المصرية التأثير على العمارة المحلية المعاصرة وهل استطاعت الشخصية المصرية أن تتكامل مع العمارة المحلية وإلى أي حد كان للإنسان المصري دور في ذلك وتأثير البيئة المصرية ودور تكنولوجيا البناء المعاصرة في ذلك ؟

فللوقوف ولتحديد الشخصية المصرية في العمارة المحلية المعاصرة لابد من تحليل وتأصيل الشخصية المصرية ومدى تكاملها مع :

(أ) الانسان المصري .

(ب) البيئة المصرية .

(جـ) تكنولوجيا البناء المعاصرة .

فإلى أي مدى تنطبع الشخصية المصرية في العمارة المحلية المعاصرة ؟ وكيف نحكم عليها ؟ هل هي سالبة أو موجبة . ما هي عناصر أو ملامح هذه الشخصية في العمارة المحلية ؟ وكيف نحددها ؟ وما الذي قام به الانسان المصري في ذلك وموقفه من حاضره وماضيه ومستقبله ومن حضارته وحضارة الآخرين ؟ . وأهمية تكنولوجية البناء المعاصرة في مضمون العمارة المحلية هل تضيف إليها وتساعدها في حل مشاكلها أم تطمس شخصيتها ؟

المعماري وبيئته والفراغات السليمة

الحضارة لفظ نطلقه على الرقي والتقدم الإنساني في مختلف الميادين كاللغة والآداب والفنون الجميلة والصناعة والتجارة وغير ذلك من الأنشطة الإنسانية التي تؤدي إلى التقدم والرقي وتيسر السبيل إلى حياة انسانية كريمة .

والثقافة هي حصيلة تفاعل ذكاء الانسان مع البيئة الطبيعية ويظهر صدق هذا بوضوح في كل الفنون التشكيلية وأخصها العمارة .

لقد راعى المهندس العربي قديماً البيئة في التخطيط والعمارة التي غابت اليوم في غمرة التقليد المعاصر للعمارة والتخطيط بشكل ما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

إن العمارة والتخطيط هما انعكاس للحياة اليومية وحياة المجتمع على المدى الطويل ولا بد من ربط العمارة والتخطيط بجميع العناصر المحيطة بها سواء كانت اجتماعية أو مادية مراعية الماضي والمستقبل .

والعمارة والعمران هما الصورة الواقعية التي تعكس حياة المجتمع على مدى العصور المختلفة . فإذا كانت هناك طابع معين للعمارة والتخطيط فهذا ناتج عن ثقافة واعية وإذا كان هناك انحلال فيهما فهي ناتجة عن التخلف الثقافي والحضاري وليس التخلف المادي .

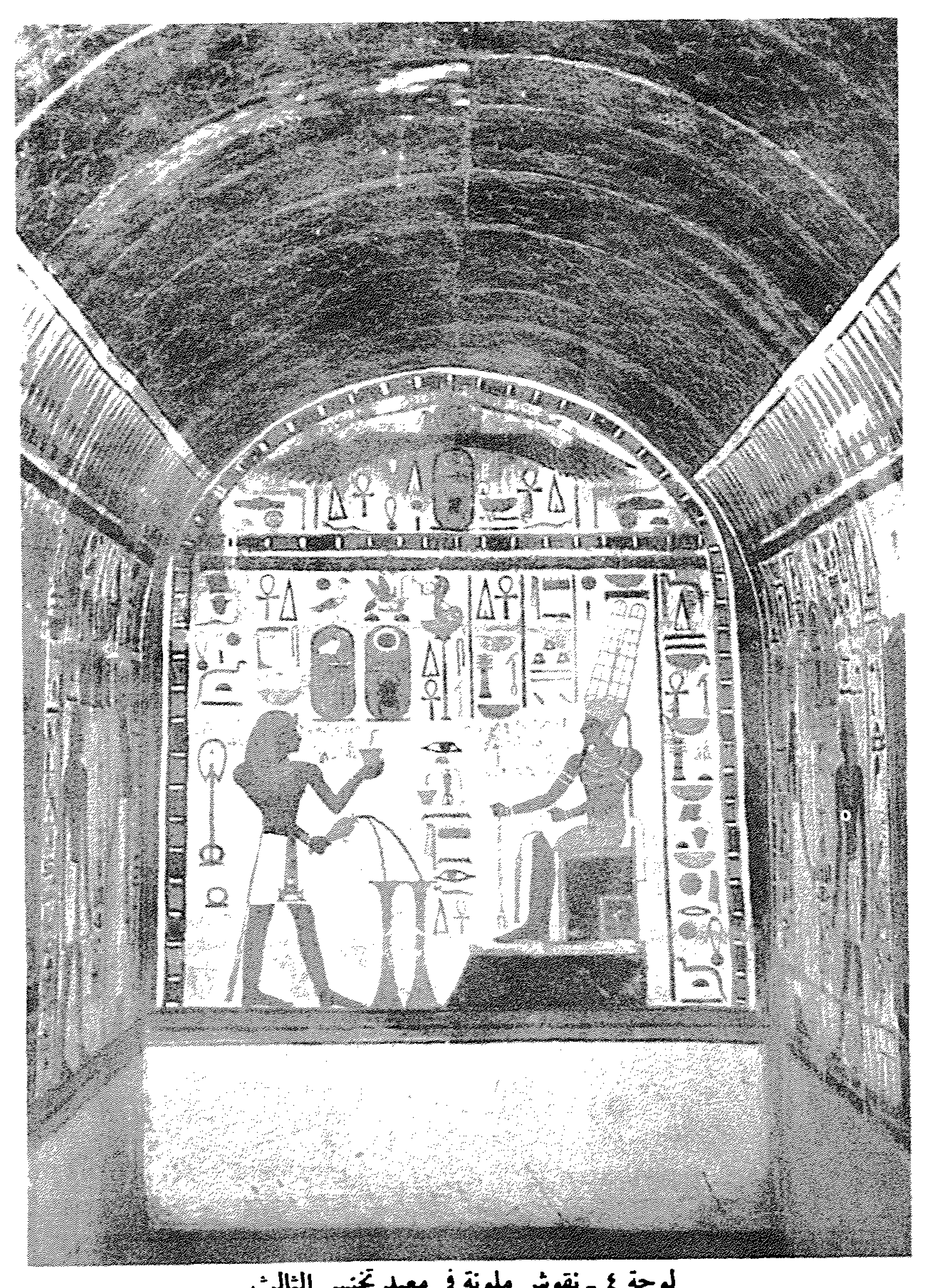
لوحة ١ ـ تمثال في مدخل معبد الأقصر (رسم ديفيد ١٨٣٨)



لوحة ٣ ـ سوق الحرفيين النحاسين ـ القاهرة ـ (رسم ديفيد ١٨٣٩)



لوحة ٢ ـ كاتب الخطابات ـ القاهرة (رسم ديفيد ١٨٣٩)


لوحة ٤ ـ نقوش ملونة في معبد تخنس الثالث

الطابع المعماري

إن الطابع المعماري على مر العصور كان دائماً انعكاساً صادقاً للبيئة الحضارية التي كانت تسود في كل مرحلة من المراحل التاريخية المتلاحقة وهذه الحضارات ليست إلا نتيجة لتفاعلات كثيرة بين العوامل الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية والطبيعية وغيرها من المؤثرات التي تطبع كل مجتمع بطابع خاص يختلف من مكان إلى آخر ومن عصر لآخر ، فإلى أي مدى كان تأثير هذه العوامل المؤثرة في بيئتنا الحضارية على الطابع المعماري الذي يسود حالياً.

إن التكوين المعماري للمباني يكون له دائماً خلفية اجتماعية وثقافية وبيئية .

فالعمارة الحية والأسس العمرانية السليمة هي التي تستمد أصالتها من بيئتها فلكل مجتمع عاداته وتقاليده وبيئته وبذلك اختلف مفهوم الفراغ فلا يعيب المعماري في هذا التخلف ولكنها حقيقة ثابتة علينا أن نتمسك بها وذلك للوصول إلى حلول معمارية إن كانت أم تخطيطية محلية ، حيث لكل بناء فراغاته الخاصة داخلية أو خارجية بحيث تفي باحتياجاته ومتطلباته ومعبرة عن ذاته .



لوحة ٥ ـ شوارع الأسواق ـ القاهرة القديمة



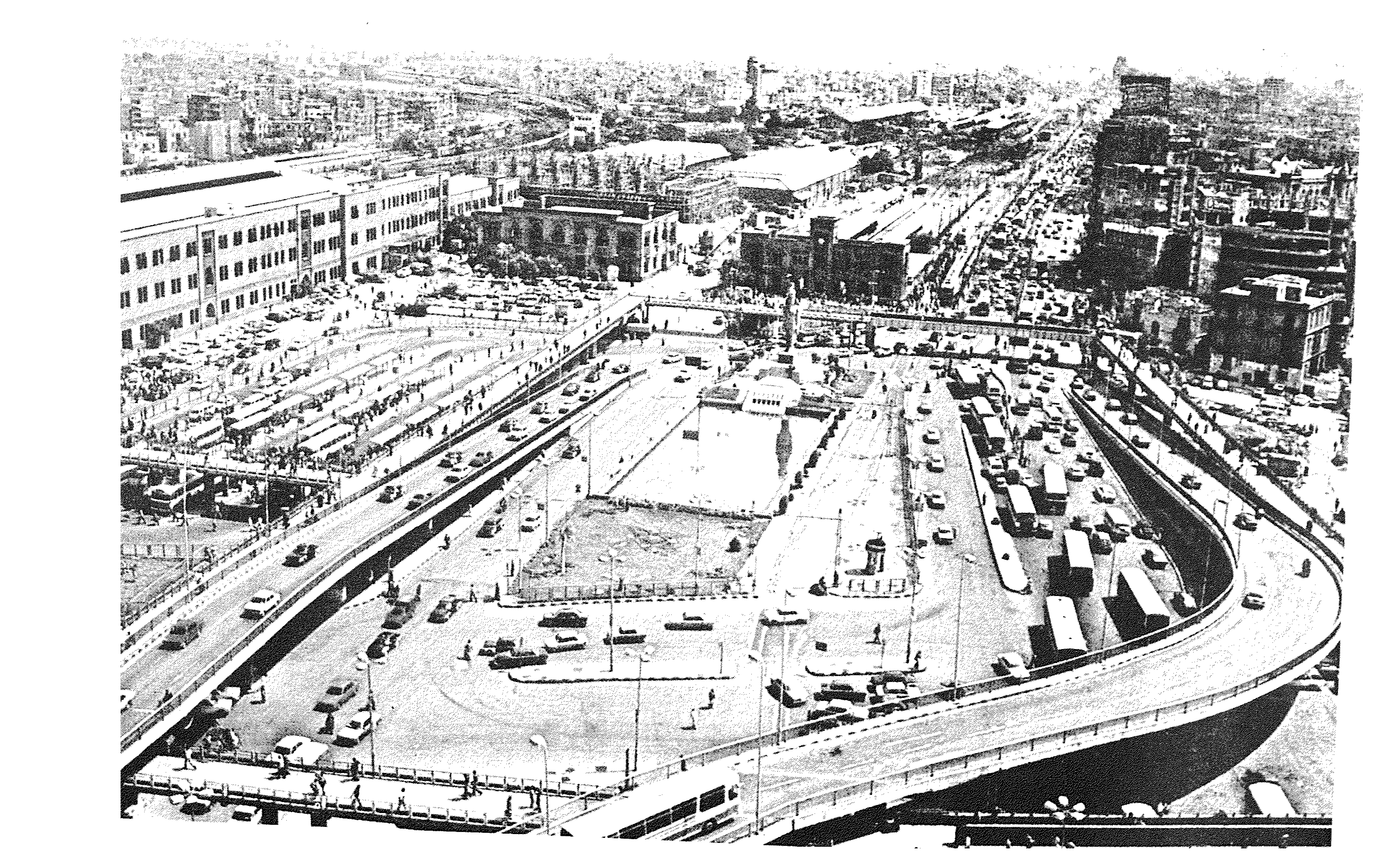
لوحة ٦ ـ المدخل الرئيسي لمدرسة السلطان حسن (رسم ديفيد ـ ١٨٣٩)

روح العصر وفلسفته

ليس الحديث عن روح العصر وسماته من الأمور التي يسهل الحديث فيها قد نقول القول فيصادف عند الناس قبولاً خالصاً أوانه لا يصادف هذا القبول ذلك لأن نسيج الحياة كثير الخيوط فيها المتشابهة وفيها المتباين حيث لا تكاد تصف العصر بسمة عامة ما حتى تقابلك شواهد تقضيها، حيث المسافة بيننا وبين الواقع قصيرة، مما لا يساعد على الرؤية الواضحة من جهة ويميل بنا نحو النظرة الخاصة من جهة اخرى فقد يكون للمحلل نظرة ذاتية نختلف فيها مع باحث آخر، لأنه يرى نظرة اخرى فهل اناس اليوم في اهتماماتهم الفكرية أكثر انشغالاً بتراث ماضيهم أم بارسال النظر الى بناء مستقبلهم ؟ هل تكون الأولوية للجماعة على الفرد أم تغلب الرغبة في أن يكون الفرد وسيلة لسعادة الجماعة وتحقيق مصالحها ؟



لوحة ٧ ـ القاهرة ـ فندق شيراتون القاهرة ـ ١٩٧٠ م

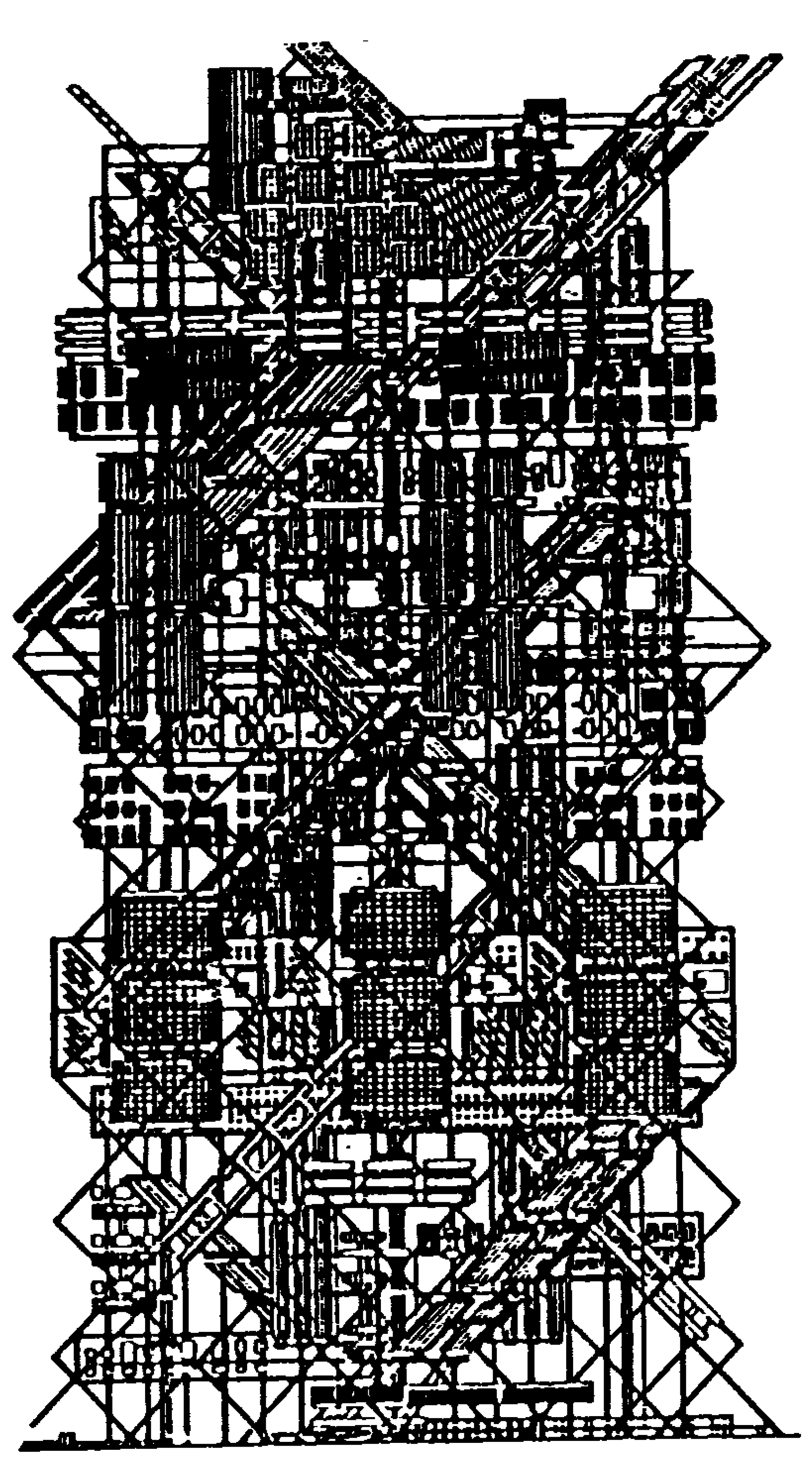


لوحة ٨ ـ القاهرة ـ ميدان رمسيس ـ ١٩٨٠ م

العلم والعصر

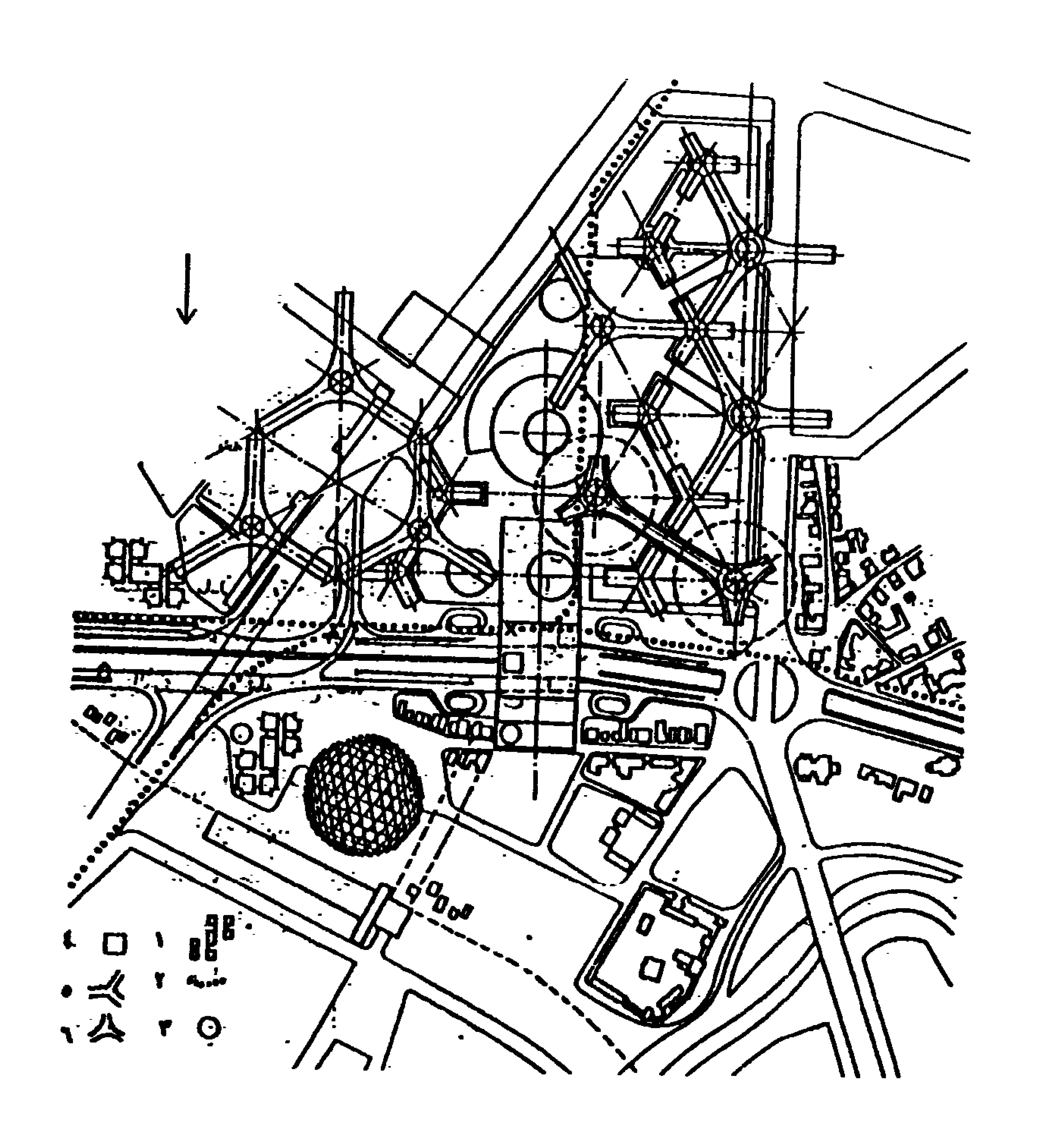
قد نجد أنَّ لكل عصر اهتماماته العلمية على اختلاف أنواع العلوم التي تشغل الناس في كل عصر على حدة لكتنا لا نجد عصراً فيه التطبيق العلمي على شؤون الحياة المادية والفكرية معاً يدنو من عصرنا حتى ليجوز القول بأن الحياة العملية قد تأثرت بالعلم في المائة السنة الأخيرة أضعاف ما قد تأثرت به خلال القرون مضت قبل ذلك .

وهناك اتجاهان يسودان عالمنا في الوقت الحاضر الاتجاه الأول الذي ينادي بالتقليل من آثار العلم على حياة الفرد وحماية فردية الإنسان والاتجاه الثاني هو زحف العلم والغاء فردية الإنسان وإن كان هناك اتجاه ثالث الآن يجمع بين الأثنين العلم والحفاظ على شخصية الإنسان . لأن الحياة الانسانية وحدة عضوية فعل وحركة لا فرق في ذلك بين تفكير العقل وإرادته .



لوحة ٩ ـ المدينة الفراغية تصميم بجيلنيكون

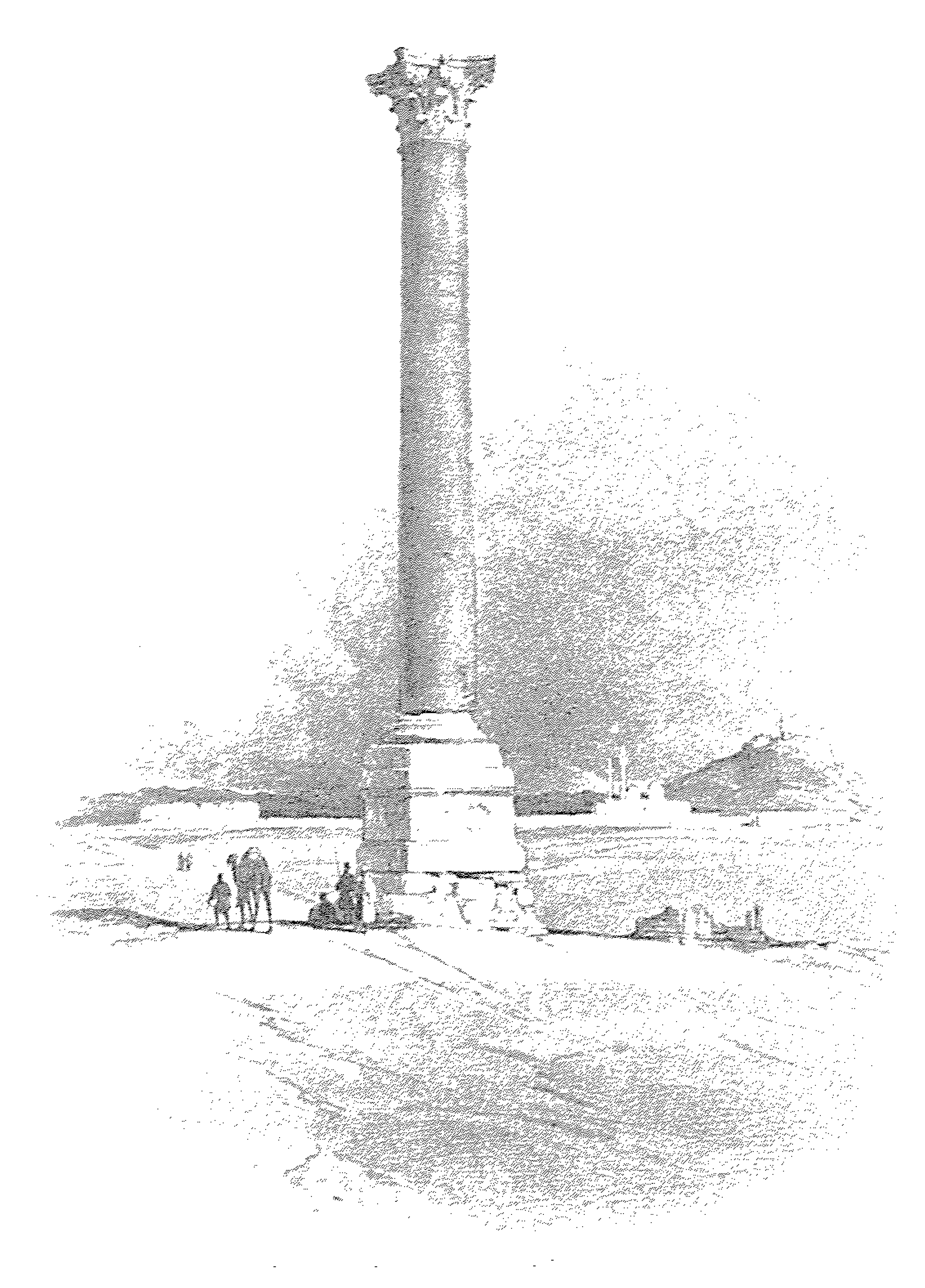
لوحة ١٠ ـ واجهة المدينة الحديثة المستقبلية .



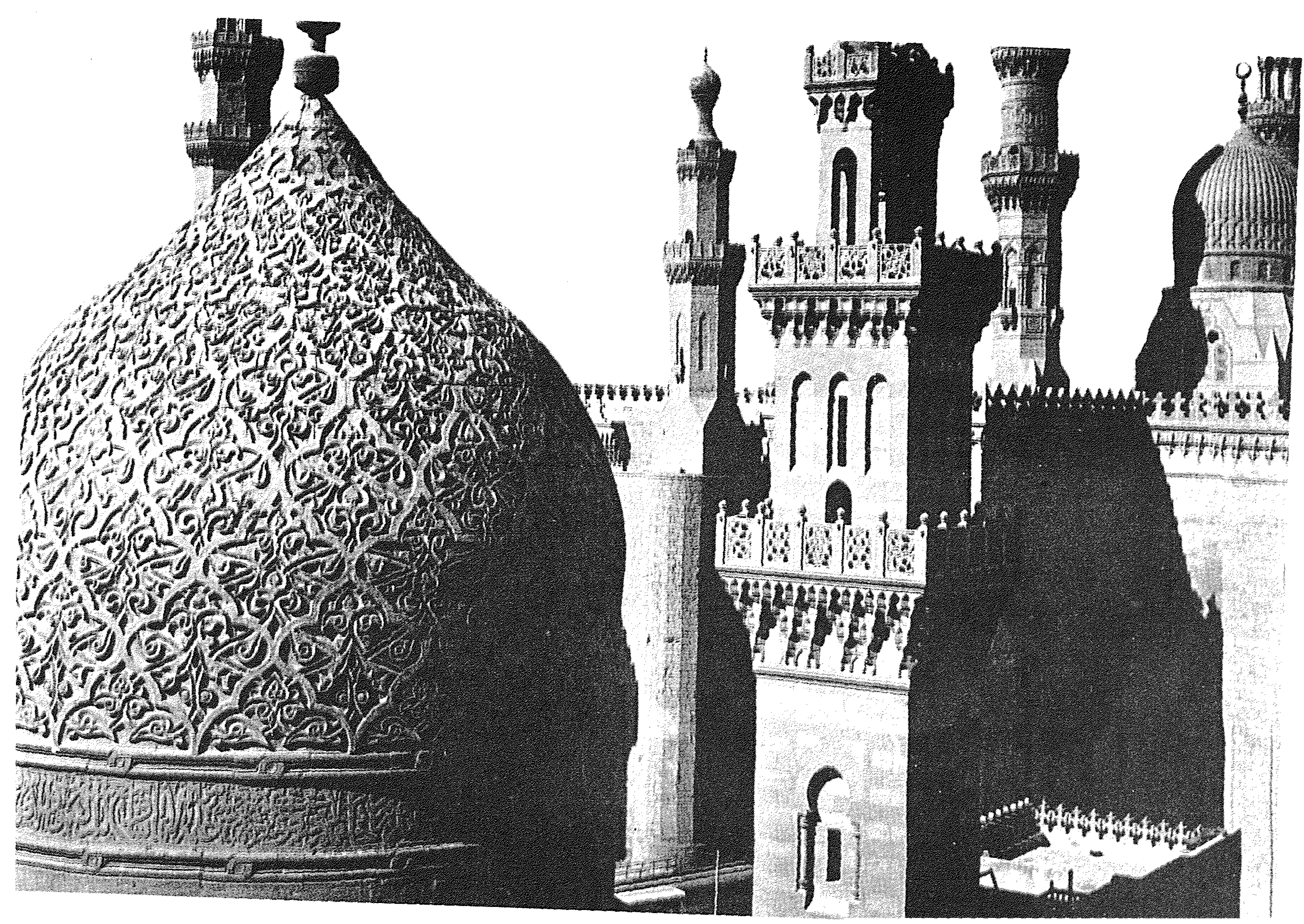
لوحة ١١ ـ بنايات سكنية يتراوح ارتفاعها من ١٥٠ إلى ٣٠٠ م

الحضارة

ليست الحضارة بعد بالشيء الذي ينتقيه المرء كما يشاء وإنما هي الثمرة المحتومة للأوضاع الاجتماعية التي تتخذها الشعوب وليست الحضارة بالشيء الذي يستطيع المرء أن ينقله بنقل القوانين أو المظاهر فليست هذه وتلك سوى أشكال يتخذها جوهر دفين تنتجه الحياة اليومية والتقاليد والجهود وهذا الجوهر لا يمكن الوصول إليه إلا - بمعالجة مقومات حياة الشعوب ، نعني عناصرها الاقتصادية الاجتماعية والفكرية ، - معالجة لا تغفل فيها الظروف القائمة ومقدماتها ومدى قابليتها للتحويل ولا تغفل فيها طبيعة الجوهر الذي يراد نقله ومقدماته ومدى قابليته للنقل .



لوحة ١٢ ـ عمود السواري ـ الاسكندرية ـ (رسم ديفيد ١٨٣٩)



لوحة ١٣ ـ القاهرة ـ منظر عام بين مآذن حي القلعة

مفهوم الحضارة والمدنية

لم تعد كلمة (حضارة) في العرف اللغوي لمعناها القديم في معاجم اللغة ولم تعد كلمة الحضارة في العرف اللغوي المعاصر مقصورة على مدلولها القديم المقابل لمدلول (البداوة) وإنما جاوزته إلى مدلول آخر هو التعبير عن إرتقاء المجتمع - وارتفاعه عن المستويات البدائية ومن ذلك يقال مجتمع متحضر ومجتمع غير متحضر .

ويقصد عامة بالمجتمع المتحضر ذلك المجتمع الذي له قيمه الروحية الرفيعة وأساليبه المادية المتطورة في مواجهة الحياة والطبيعة هذا وقد توسع العرف اللغوي الحديث في مدلول الحضارة والتحضر فلم يجعل ذلك المدلول مقصوراً على وصف المجتمع وتقدير طوره التاريخي بل هو يمتد به حتى يتسع إلى وصف الأفراد والأعمال فيقال انسان متحضر أو غير متحضر كما يقال كذلك عمل متحضر وعمل غير متحضر وهنا نجد مضمون الحضارة والتحضر قد خرج من معناه القديم في معاجم اللغة وأصبح مرتبطاً من قريب أو بعيد بالصفات الخلقية والمستويات الاجتماعية . لأن الحضارة تشتمل على النشاط الاجتماعي من كافة جوانبه الروحية والمدنية أما المدنية فهي مجرد النشاط - المادي للمجتمع فقط . وبذلك تكون المدنية جانب من جوانب الحضارة وفرعاً من فروعها .

ومن المتفق عليه أن الظاهرة الروحية والظاهرة المادية بينهما كثير من التفاعل على نحو يجعل كلاً منهما متأثرة بالأخرى ومؤثرة فيها .

فالحضارة على ذلك يمكن أن يتسع مدلولها بحيث يصبح مشتملاً على ما تدل عليه المدنية من نشاط مادي ومعرفة تطبيقه ذلك بأنه ليس من الممكن أن نجد حدوداً - فاصلة بين الظاهرة الاجتماعية في صورتها الروحية والظاهرة الاجتماعية في صورتها المادية . فالنشاط الروحي لأي مجتمع من المجتمعات متأثر بالبيئة الطبيعية - المتطلبات المادية وكذلك فإن النشاط المادي للمجتمع متأثر بالبيئة الانسانية والملابسات الروحية .

وهذا التفاعل بين الجانب الروحي والجانب المادي في حياة الانسان من شأنه أن يجعل التفرقة بين الظواهر الروحية والظواهر المادية من الصعوبة بمكان . فالحضارة المصرية القديمة - على سبيل المثال - كانت قائمة على أسس روحية وقيم غيبية وكانت تستند الى الأعتقاد فيما وراء الطبيعة وخلود الروح ومع ذلك فقد كان لتلك الأسس والقيم والمعتقدات أثرها الملحوظ في توجيه الحياة المادية والعملية بصفة عامة .

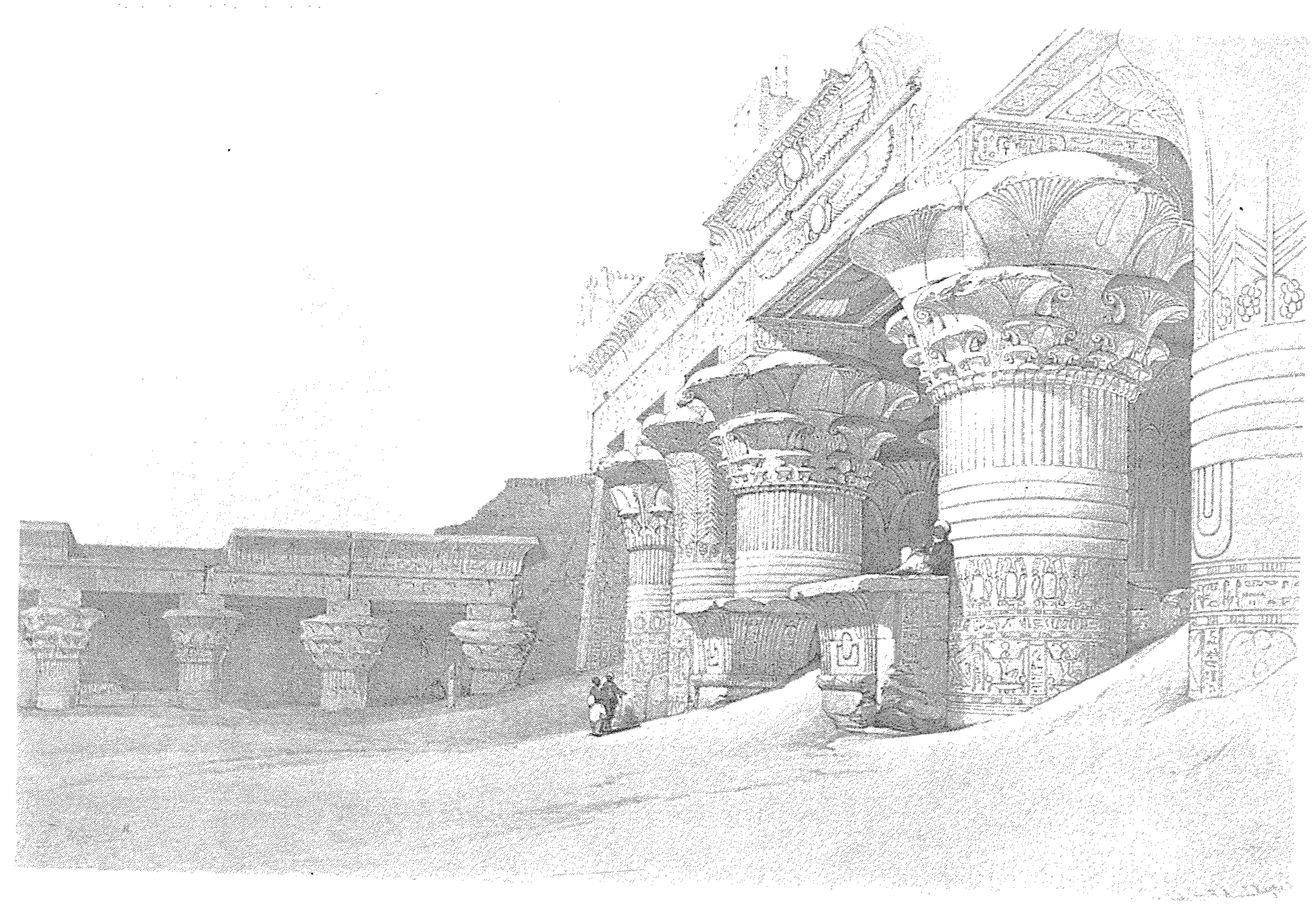
ومفهوم الدراسة الحضارية العلمي تستبعد المنهج التقليدي لدراسة التاريخ ولا بد من دراسة الوحدة الموضوعية والزمنية التي يستطيع دارس الحضارة من خلالها أن يستخلص الصورة الجماعية .

والفرد مهما كان له من تفوق فهو وليد بيئته الأجتماعية وتعبير مباشر أو غير مباشر عن هذه البيئة ضروراتها وطموحها الروحي والمادي .

والفرد لا يستطيع أن يكون ذا أثر خطير في حياته الاجتماعية إلا حين تلتقي ارادته بإرادة المجتمع وتتفاعل الارادتان في اتجاه واحد ونحو غاية واحدة ومع هذا فلا ينبغي أن تقلل من شأن الفرد وما يمكن أن يقوم به من أعمال في تحقيق الطموح الاجتماعي ودفع التطور التاريخي . والفرد في كل ذلك ليس غير استجابة للضرورة التاريخية من جهة وللوعي الاجتماعي من جهة أخرى . وكل ما يحققه هذا الفرد من نجاح يتمثل في مطابقة ارادته للضرورة التاريخية .

فالدراسة الحضارية تعني النظرة الكلية التي تتضح من خلالها شخصية المجتمع الحضارية وملامح نشاطه الانساني في كل اتجاه من اتجاهاته .

غير أنه في مجال الدراسة الحضارية وكذلك في سياق الحديث عن الحضارة حديثاً علمياً ينبغي أن نستبعد كلاً من هذين المدلولين لكلمة (حضارة) ونعني بهما المدلول الذي يستخدم كلمة (حضارة) في مقابل كلمة بداوة والمدلول الذي يستخدم كلمة (حضارة) بمعناها الوصفي للتعبير عن حظ المجتمع أو الفرد من التطور والارتقاء . وذلك لأن كلاً من المدلولين لم يعد ملائماً ولا مسايراً لمفهوم كلمة (حضارة) في صورتها العلمية المعاصرة . إذ أنه من المقرر في أصول الدراسة الحضارية أن لكل مجتمع انساني



لوحة ١٤ ـ واجهة داخلية لمعبد إدفو ـ (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)

مهما كان مستواه التاريخي ومهما كان حظه من التطور والارتقاء حضارته الاجتماعية ما دام لهذا المجتمع قيم وأنماط تتحكم في توجيه نشاطه الانساني فالحضارة بهذا المدلول ليست صفة خاصة يتصف بها مجتمع انساني دون آخر أو بيئة انسانية دون أخرى - وإنما هي صفة عامة يتصف بها كل مجتمع انساني ربطت بين - أفراده مجموعة من القيم الروحية وقواعد السلوك .

وهناك إلى جانب (الحضارة) هناك كلمة أخرى هي (المدنية) وأصل هذه الكلمة في اللغة اللاتينية شبيه بأصلها في اللغة العربية فهي مشتقة من لفظ (مدينة) .

والحضارة بمعناها الدقيق ومفهومها العلمي أعم وأشمل من المدنية .

ويتضح ذلك فيما أنتجته هذه الحضارة وفيما خلفته من تراث مادي ومن فنون - تطبيقية .

هذا الارتباط والتداخل والتأثير المتبادل بين الاتجاه الروحي والاتجاه المادي في حياة المجتمع يجعل من الضروري فلسفياً أن نتناول النشاط الانساني من كافة جوانبه . وعلى ذلك تكون الحضارة تعبيراً عن النشاط الاجتماعي من مختلف صوره ومظاهره واتجاهاته .

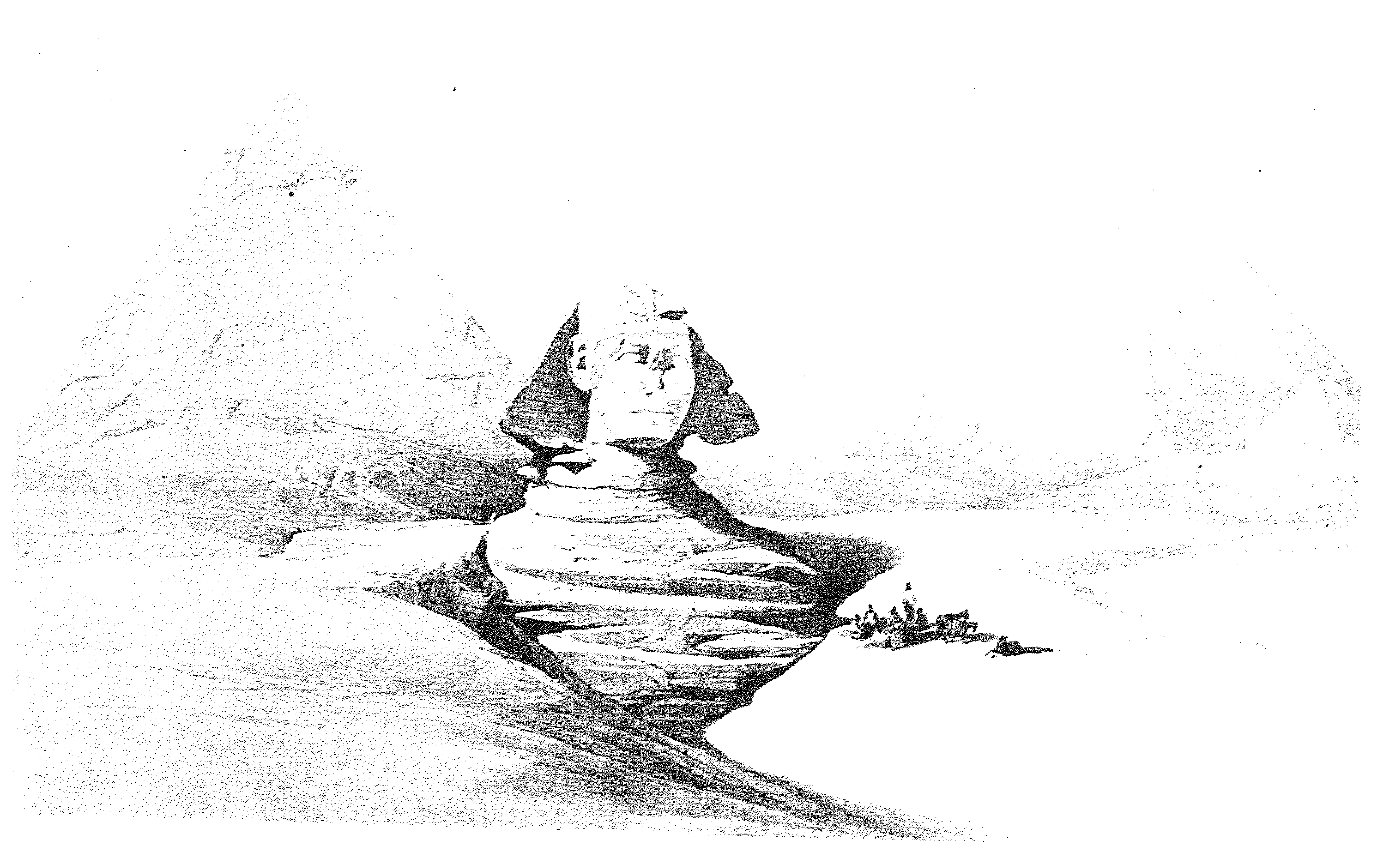
فالحضارة إذن أعم من المدنية إذ أن مفهومها الدراسي والفلسفي يستطيع أن يتسع لكل ما ينطوي عليه الكيان الاجتماعي من مبادىء سياسية وسنن اقتصادية ومن قيم أخلاقية ومذاهب الثقافة والمعتقدات الدينية .

أما المدنية فلنا أن نعتبرها مجرد تعبير عرفي لا دراسي عما حققه الانسان في واقع الحياة من خبرات عملية .

والدراسة الحضارية تهتم قبل كل شيء بمجموع القيم الاجتماعية والأنماط الثابتة المرتبطة التي تتحكم في نشاط المجتمع وتكون له شخصيته الحضارية بكل ما يتصل بهذه الشخصية من مفهومات للحياة والموت والطبيعة التاريخية والعلاقات الاجتماعية ومصير الانسان .

وهناك صلة وثيقة بين دراسة التاريخ ودراسة الحضارة ، فإذا تناولنا حضارة من الحضارات - ولتكن الحضارة الاسلامية - رأينا النشاط الثقافي متأثراً بالنشاط الاقتصادي ومؤثراً فيه ووجدنا كذلك النشاط الثقافي متأثراً بالسياسة والاقتصاد - ومؤثراً فيهما حيث أن كل اتجاه من اتجاهات النشاط الانساني مكمل لسائر - الاتجاهات . وكذلك بالنسبة للتقسيم الزمني للتاريخ فمن حيث الدراسة الحضارية نجد أن الحضارة الاسلامية في كافة عصورها ومراحلها وحدة تاريخية واحدة متكاملة كما أن الأصول الروحية والمادية التي قامت عليها هذه الحضارة ظلت ماثلة في كيان المجتمع الاسلامي في ابان عصره الأول والوسيط ولا تزال ماثلة في كيانه في العصر الحديث .

ولا يمكن أن تتضح الشخصية الحضارية لأي عصر من هذه العصور الاسلامية إذا هو لم يدرس في ضوء العصور السابقة وفي ضوء ما تضمنت تلك العصور من أصول وقيم وأنماط اجتماعية .



لوحة ١٥ - رأس تمثال أبو الهول - الجيزة - (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)

التطور الحضاري

١ ـ أول صورة للوحدة الحضارية هي القبيلة التي تستمد قوتها من رابط الدم والقرابة .

٢ ـ ومع نمو الحياة الانسانية وتطور أوضاعها النظرية والعملية انتقلت الوحدة ـ الحضارية من مجال القبيلة إلى مجال الدين والرابطة الروحية وبانتقال ـ الوحدة الحضارية إلى نطاق العقيدة الدينية اتسع المجال الحضاري وأصبحت الوحدة الروحية يتسع لعدد غير قليل من القبائل التي كان كل منها يكوِّن نطاقاً حضارياً مستقلاً وقائماً بذاته وفي مجال العقائد الدينية الكبرى انتظمت الوحدة الحضارية القائمة على أساس العقيدة شعوباً كبيرة كان لكل منها نطاقه الحضاري الخاص .

٣ ـ تفرعت من الوحدة الحضارية الدينية وحدات سياسية وأخرى اقليمية تريد أن ـ تنتظم في سياقها الاجتماعي جميع الروابط القبلية والشعبية والروحية على السواء .

٤ ـ أما فيما يختص بما استجد على المجتمع الانساني في صورته الحديثة من تطور علمي وعملي فهناك عوامل أخرى قد عملت عملها في التقريب والتداخل ما بين المجتمعات الحضارية .

(أ) تتميز الحضارة الغربية المعاصرة بإستغلال العلم في سبيل السيطرة على قوى الطبيعة وظواهرها واستغلال ما من شأنه أن يمكن الانسان من التحكم في ملامسات الواقع المادي .

(ب) إن أعظم انتصار للحضارة الغربية هو التغلب على حواجز المكان والزمان والغاء المسافات والحدود التي كانت قبل عصرنا الحديث تفصل ـ المجتمعات البشرية بعضها عن بعض وتفرض عليها نوعاً من العزلة النظرية والعلمية أصبح نتيجة ذلك أن العالم المادي متقارب الأطراف هذه الانتصارات كادت أن تجعل من العالم المادي بأجمعه بيئة انسانية واحدة وأصبح في امكانية كل مجتمع أن يطلع على ما لدي سائر المجتمعات من قيم وأنماط .

٥ ـ أثرت المدنية الغربية بفعالية في توجيه الحياة الاجتماعية بما في ذلك اساليب التفكير ومنهج المعرفة .

٦ ـ من نتيجة النهضة العلمية زادت مقدرة المجتمع على استغلال ظواهر الطبيعة وتسخير ممكناتها في خدمة الانسان ورفاهيته فازداد بذلك عدد الفئات الاجتماعية والأفراد الذين ارتفعت مستوياتهم الاقتصادية وأصبح لهم دور في المجتمع .

٧ ـ صاحب التحول الاقتصادي والمتمثل في رفع المستوى المادي تحول سياسي واجتماعي .

٨ ـ مع التحول نحو الوعي الاقتصادي والوعي السياسي قام تيار آخر له وزنه في حياتنا الحديثة وهو تيار الوعي الثقافي .

هذه التيارات الثلاثة تيار الوعي الاقتصادي ـ وتيار الوعي السياسي ـ وتيار الوعي الثقافي هي وليدة التحول الصناعي والمكتشفات العلمية فقد غيرت وجه الحياة في العالم الحديث وهذه التيارات عملت على ابراز ملامح الشخصية الجماعية .



لوحة ١٦ ـ المجتمع النوبي ـ النوبة ـ (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)

مقاييس الحضارة

هناك ثلاث اتجاهات في تقويم الحضارة :

١ ـ الاتجاه الأول :

يتمثل في المذهب المادي الذي يميل إلى تفسير الظواهر التاريخية والحضارية تفسيراً مادياً ويرى أن مقياس التقدم الاجتماعي ينبغي أن يكون في مدى مقدره المجتمع العلمية وفي مدى سيطرته على واقع الحياة والظواهر الطبيعية .

٢ ـ الاتجاه الثاني :

فيتمثل في المذهب الرومانتيكي الذي يذهب أصحابه إلى أن التحول الصناعي وما جاء به من مدنية قد أفسد على الانسان حياته الاجتماعية .

٣ ـ الاتجاه الثالث :

المذهب الروحي الذي يتسم أصحابه وممثلوه بالنزعة الدينية والتفكير الغيبي مع اختلاف في المقدمات ولكن هناك اتفاق في النتائج بين المذهب الرومانتيكي والمذهب الروحي فيما يختص باتجاه الحضارة ومضمون التاريخ .



لوحة ١٧ - تماثيل واجهة معبد أبو سمبل - أبو سمبل - (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)

مقاييس الحضارة

يمكن القول بأنه يوجد صعوبة لوضع مقاييس ثابتة لتقويم الحضارة .

فتقويم الحضارة حقيقة أمر بالغ الصعوبة ويتمثل هذا في أمرين :

أولاً : أن ظواهر الحضارة ليست كلها متشابهة أو متجانسة بل هي تنتمي إلى اكثر المجالات اختلافاً كمجال العلم والفن والدين والأدب والسياسة والاقتصاد واننا لكي نقوم الحضارة ينبغي أن نلم الماماً تاماً بظواهر تنتمي إلى مجالات مختلفة كل الاختلاف وأن نعمل على تحقيق التوازن بين هذه الظواهر المختلفة .

ثانياً : وتتمثل في أننا نتعرض دائماً للنظر إلى الأمور من خلال منظورنا الخاص حين نصدر أحكاماً تقويمية على مراحل الحضارة .

فإذا كنا في عصر تفوق فيه العلم فسوف نقيس كل الحضارات الأخرى بمقياس التفوق العلمي وإذا كنا في بيئة تولي العقائد الدينية أكبر اهتمام فسوف تصبح التجارب الدينية والروحية في نظرنا هي مقياس التقدم الحضاري .

وهكذا نجد أننا نتعرض خلال اصدارنا أحكاماً تقويمية على الحضارة إلى أن ـ قيس مراحلها بمقياس غالباً ما يكون مستمداً من قيمنا الحضارية الخاصة وأنه ليس ـالإمكان أن نبلغ من التجرد حداً يجعلنا نصدر أحكامنا من خلال السياق لخاص لهذه المرحلة الحضارية ذاتها .

ويمكن قياس الحضارة مع مراعاة الآتي :

١ ـ الأخذ في الاعتبار ما أحدثته الحضارة الغربية .

٢ ـ أن نظم الحياة تطورت وأن الانسان الحديث لا يستطيع أن يتخلى عن نظام حياته التي آلفها وارتاح إليها .

٣ ـ عدم التعلق بمراحل قديمة من الحضارة لأن كل حضارة لها سلبياتها ـ وإيجابياتها ويجب أن لا نقف عند الإيجابيات فقط .

٤ ـ أن لا ننسى ذلك الاختلاف الهائل بين حياتنا الحاضرة وحياة تلك المجتمعات القديمة .

٥ ـ أن لا نتجاهل التكوين الروحي والثقافي للفطرة الاجتماعية والنظر فقط إلى الماديات .

٦ ـ أن لا ننظر إلى المنظور الحالي فقط فهو غير علمي .

٧ ـ التأمل التاريخي ببصيرة شاملة مطلقة تعلو على حدود الزمان والمكان ويؤكد كذلك على ضرورة مراعاة الطبيعة الخاصة لكل مجتمع حين نصدر عليه أحكاماً وألا نتأمل التاريخ من خلال منظورنا الخاص فكل حضارة يجب أن يحكم عليها من خلال مقوماتها الخاصة وأنه من الخطأ أن نقارن بين الحضارات على أساس مطلق .

والنظرة الواقعية للتاريخ تؤكد لنا استحالة القول بالانفصال التام بين ـ الحضارات فالواقع التاريخي يثبت حدوث التداخل بين مراحل الحضارة الانسانية ويؤكد أن كثيراً من مظاهر الحضارات قد حدث فيه تقدم لا شك فيه ويسير في خط صاعد منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحالي .

ولفكرة التقدم مبرر فالاعتقاد بالتقدم يبعث في الانسان الثقة بالنفس والايمان بالقدرة على تذليل ما يعترضه من صعاب . ويكفي أن هذه الفكرة تدفع الانسان إلى العمل الدائم ولا تضع أمامه العراقيل .



لوحة ١٨ ـ أسيوط ـ طريق القوافل ـ (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)

انتقال الحضارة

مما لا شك فيه أن الحضارة تورث من جيل إلى آخر ولكن توارثها يتم على نحو يختلف كل الاختلاف في ظاهرتين أساسيتين :

أولاً : إن قوانين الوراثة الحيوية ثابتة مطردة وتتم تبعاً لنظام ضروري دقيق أما انتقال الحضارة فلا يتم بمثل هذه الآلية أو الضرورة المحتومة بل هو يتم عن وعي وعن ادراك .

ثانياً : إن الصفات الحيوية الموروثة تنتقل دون أن يحدث فيها تعديل أو - تغيير بل ودون أن يكون لمن انتقلت إليه يد في اختيارها - أما عناصر الحضارة فيمكن أن يقال عن انتقالها من جيل إلى جيل أنه انتقال انتقائي بمعنى أن الجيل الذي يتلقى عناصر الحضارة ينتقي منها البعض ويستبعد البعض تبعاً لظروفه وحاجاته ولكن ليس معنى ذلك أن لنا اختيار مطلق في قبول عناصر الحضارة أو رفضها فمما لا شك فيه أن عناصر الحضارة تتغلغل في وجداننا بحيث أنها تعلو على مشيئتنا إلى حد ما ويتمثل ذلك بوضوح في شعور الكثيرين ممن غيروا بيئاتهم الحضارية بعدم القدرة على التخلص من كثير من عاداتهم القديمة ويمكن أن نقول إن قبولنا الواعي لعناصر الحضارة يجعل لنا نوعاً من القدرة على تكييفها تبعاً لظروفنا كما يتيح لنا الوقوف منها موقف الانتقاء لا موقف التلقي السلبي .

وعلى ذلك يمكن أن نقول أن طبيعة الانتقال الحضاري وراثة متبادلة بين طرفين لا تكون مهمة الطرف الثاني فيها أن يتقبل العناصر الموروثة فحسب وإنما هو انتقال يؤثر فيه الحديث في القديم مثلما يؤثر القديم في الحديث فإن من الواضح أن كل جيل يضيف إلى التراث الحضاري الذي تلقاه شيئاً جديداً يسهم به في تقدم - الحضارة .

ومن المسلم به بأن انتقال الحضارة من جيل إلى آخر مستمر على الدوام وأن - التخلف الظاهري لفترات بلغ الركود فيها حداً - إذ يمهد هذا لتطور أعظم لا ينبغي أن يستثنى من هذه القاعدة وذلك إذا نظرنا إليه على نحو شامل عبر فترة زمنية كبيرة .



لوحة ١٩ ـ أهرامات الجيزة من النيل (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)

مقومات الحضارة

هناك شروط أساسية لا بد منها لقيام أية حضارة انسانية ويمكن جمع هذه الشروط في أمرين رئيسيين هما :

* البيئة المادية .
* البيئة الانسانية .

البيئة المادية :

ومن أهم الشروط التي ينبغي توفرها لقيام أي حضارة واستمرارها ملائمة ـ الطبيعة تربة ومناخاً لحياة الانسان ومزاجه ملائمة تامة ، وقد كانت نشأة الحضارات القديمة في أودية الأنهار وفي الواحات . ومن الممكن أن تقام الحضارة في مكان ملتقي القوافل التجارية ليعوض الإنسان عن طريق التجارة والصناعة ما فاته من سخاء الطبيعة ومواردها.

ولا بد تكون المواقع في مأمن من نزوات الطبيعة بحيث لا تكون الحياة الاجتماعية مهددة بالطوفان والزلازل وإلى غير ذلك من الظواهر الطبيعية التي يمكن أن تدمر عمل الإنسان .

ويمكن أن نقول ليس من الضروري أن ترتفع الحضارة كلما كانت البيئة الطبيعية سهلة بل يمكن أن يكون العكس فكلما كانت البيئة الطبيعية عسيرة ارتفع المجتمع في مستواه الحضاري وهي نظرية التحدي والاستجابة .

البيئة الانسانية :

هناك طائفة من المقومات الاجتماعية لا يمكن لأي كيان حضاري أن ينهض بدونها أو يستغنى عنها وهي التي تتكفل بتنسيق الحياة الاجتماعية وإقامة التوازن بين حرية الفرد ومطالب المجتمع . ويمكن أن نجمع هذه المقومات في أربعة مظاهر رئيسة هي :

المقوم الاقتصادي والمقوم السياسي والمقوم الخلقي والمقوم الثقافي وكل منه يعمل على تنظيم تيار معين من تيارات النشاط الانساني .

والمجتمع مر بمراحل اقتصادية كمرحلة الصيد والرعي ثم الزراعة والتجارة والصناعة وقد كان لكل مرحلة من تلك المراحل التاريخية طابعها الخاص .



لوحة ٢٠ ـ هرم سقارة المدرج ـ سقارة

العمارة في القرن العشرين

للعمارة في القرن العشرين أصول ومسببات ترجع إلى حوالي منتصف القرن الثامن عشر عندما بدأ عصر الفكر أو عصر العقل وعصر الاختراعات والاستكشافات والفكر .

وقد أحدثت الثورة الصناعية تغييرات جذرية شاملة قلبت أوضاع الحياة ونظم المجتمعات وغيرت وجه الأرض ، وحولت بيئة الانسان من مجتمعات ريفية وبلدان صغيرة إلى كتل بشرية مكدسة في مدن صار تعدادها يقاس بالمليون . وقد كان للثورة الصناعية آثار على العمارة فمن حيث الصناعات فقد احتاجت إلى منشآت خاصة بها للتصنيع أو التخزين وهذه بالتالي أوجدت منشآت لها فراغاتها الخاصة بها وانشاء السكك الحديدة والكباري والموانىء وغيرها . . . .

كانت لتلك العوامل تأثيرها على مفهوم العمارة وأشكال المباني . ففي تلك الانشاءات وبتلك المواد المستحدثة أمكن توسيع البحور وتغطية صالات ومسطحات ضخمة لم تكن ممكنة من قبل ، وأمكن زيادة الارتفاعات في المباني حتى وصلت إلى ناطحات السحاب في أمريكا .

وأمكن استخدام الكوابيل في المباني ، وثبت أن الضخامة والثقل في الإنشاءآت لا مبرر لها . فتغيرت نسب المباني وأزيل كل ما هو زائد وقطع الصلة بالماضي في أسلوب الإنشاء وزخرفته .

لهذا تغيرت أشكال العمارة ومفاهيم النقد المعماري ونظرياته .

هذا من النواحي العلمية والعملية في العمارة ، اما من النواحي الفنية والتشكيلية فكانت محاولة التشكيليين خلق نظريات جمالية ومذاهب فنية جديدة .

وقد استحدثت نظريات جمالية بالنسبة للعمارة وكانت أمثلة جديدة في التكوين وتركيب المجسمات من عناصر أساسية بسيطة .

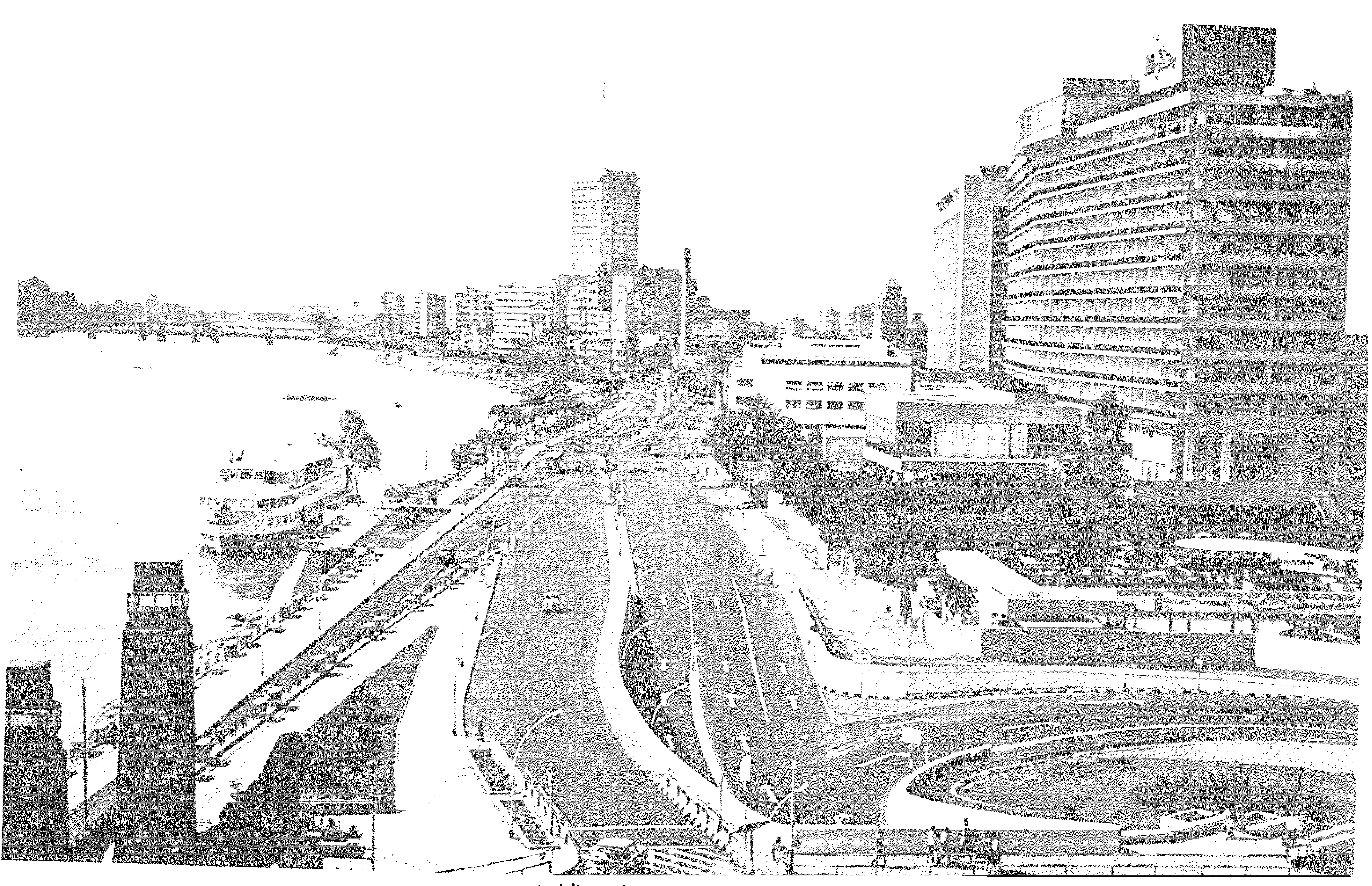
وكان من أهم المبادىء التي اتخذها المعماريون أساساً للعمل هو أولاً قطع الصلة بالماضي ومفاهيمه وطرزه ، ثم الاعتماد على الاكتشافات العلمية والاستفادة من الأساليب التكنولوجية ومواد الانشاء الجديدة ، وصارت البساطة مبدأً عاماً يتبعه المعماريون سواء في التصميم أو التكوين أو الشكل .

ويتميز النصف الثاني من القرن العشرين ، بثورة علمية تكنيكية ذات تأثير جوهري على تطور كل من قوى الانتاج وأنظمة توزيع السكان وتخطيط وبناء المدن على حد سوا .

لذا نجد إن المدينة يتوسع نفوذها باستمرار وازدياد عدد سكان المدن أسرع بكثير من زيادة عدد سكان العالم ، وسوف تبلغ نسبة عدد سكان المدن في العالم سنة ٢٠٠٠ م من ٨٠ إلى ٨٥ ٪ من سكان العالم بينما نجد أن النسبة حالياً تتراوح بين ١٨ إلى ٢٠٪ من عدد سكان العالم .

وتدل هذه الأرقام على مدى التطور المنتظر في المدن المستقبلية الأمر الذي يضع المهندسين المعماريين أمام مسألة البحث عن طرق جديدة جيدة ، لتطور تخطيط وبناء المدن .

ويظهر حالياً انتشار (الميجابوليس) عالمياً في المدن .



لوحة ٢١ ـ كورنيش النيل ـ هيلتون ـ القاهرة

الباب الثاني

دراسة وتحليل للشخصيّة المصريّة
في العمارة المحلية ومدى تكاملها مع
الإنسان المصري والبيئة وتكنولوجيا البناء



مفهوم الشخصية المصرية

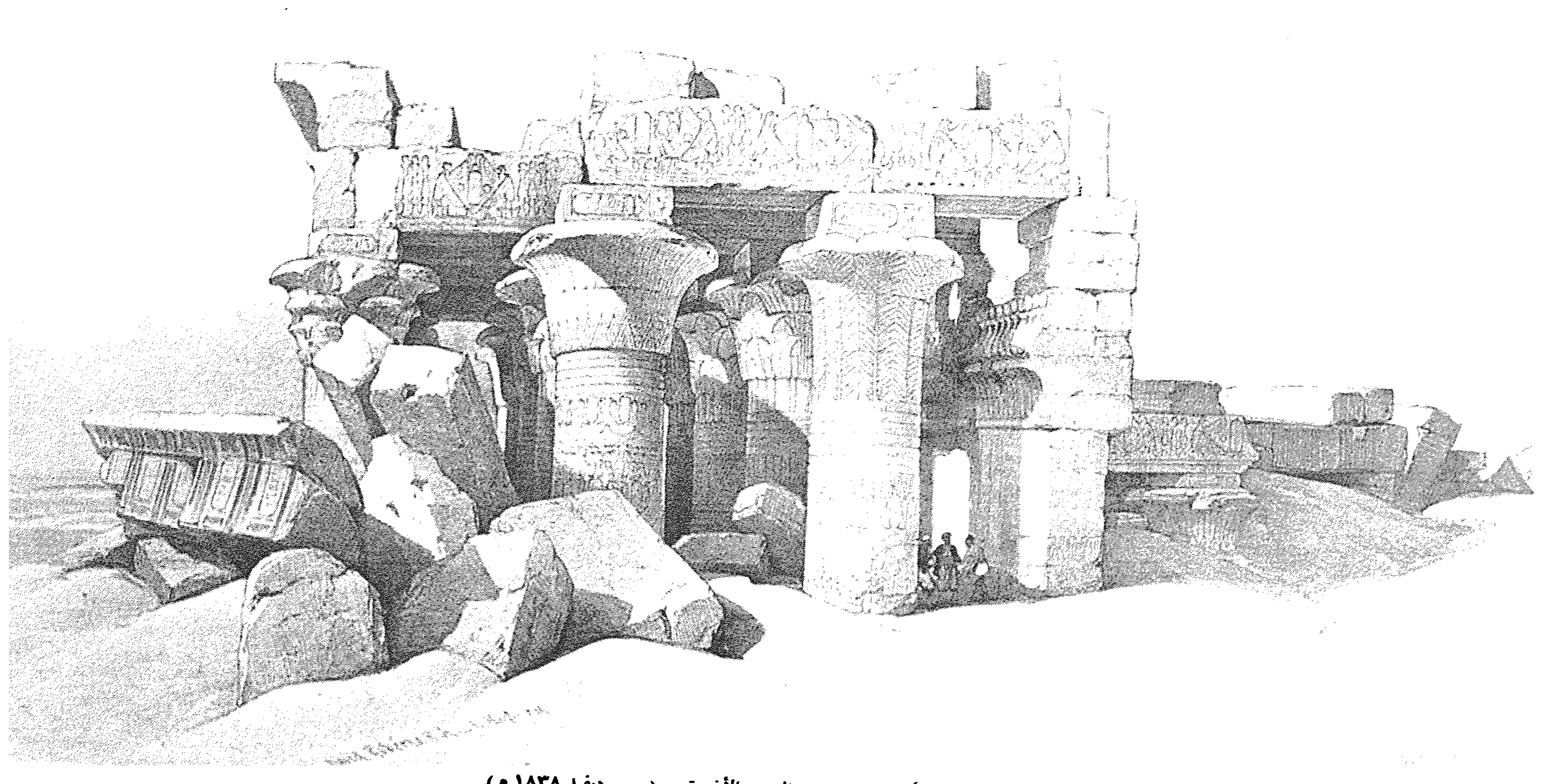
لتحديد هيكل الشخصية المصرية وفهمها لا نقف عند الهيكل الحالي لها، إذ لا بد من معرفة المقومات التي بنيت على أساسها هذه الشخصية وكيف تكونت. فالشخصية المصرية بدون شك هي هذا الناتج الضخم من الحضارات المختلفة التي مرت بها لتعطي لها الصورة الحالية.

تكونت هذه الشخصية على أسس حضارية ذاتية قوية لا ينافسها أحد في قوتها ومدنيتها فهي أقدم الحضارات وأقدم المدنيات ألا وهي الحضارة الفرعونية وخير دليل على أهمية هذه الشخصية المتميزة هي الآثار المتواجدة على ضفاف نهر النيل بمصر وما كان لهذه الشخصية من القوة والتأثير في الحضارات المتتالية على مصر كالحضارة الأغريقية والرومانية فقد كان لعلماء الاسكندرية وحكمائها تأثير بالغ على طابع انتاج المعابد حيث يبدو التأثير المصري في الطابع العام فلم يبق من الآثار الإغريقية أو الرومانية إلا ما هو متفاعل مع الطابع المصري القديم وقد كان لهذه الشخصية من المرونة ما مكنها من الاندماج مع الفتوحات الاسلامية لمصر لتكون شخصيتها الفذة التي هي ناتج هذه الحضارات القديمة والدعوة الدينية الجديدة. هذه الشخصية المرنة القادرة على التفاعل مع الأحداث ـ والاستفادة بكل ما هو جديد ومفيد وحذف كل ما هو غير مفيد.

فقد كان من مقومات الشخصية المصرية أن لها القدرة على الاندماج، وتمصير الاتجاهات، وكانت قادرة على أن ترسل علومها وتستقبل علوم الآخرين وهذا منذ القدم فالشخصية المصرية دائماً متطورة دائماً متقبلة للجديد مع التمسك بالشخصية الذاتية وهو مما يتضح فيما بعد.



لوحة ٢٢ ـ تمثال أبو الهول ـ الجيزة ـ (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)



لوحة ٢٣ - معبد كوم أمبو (بطلمي) - العصر الأغريقي - (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)

الانسان المصري

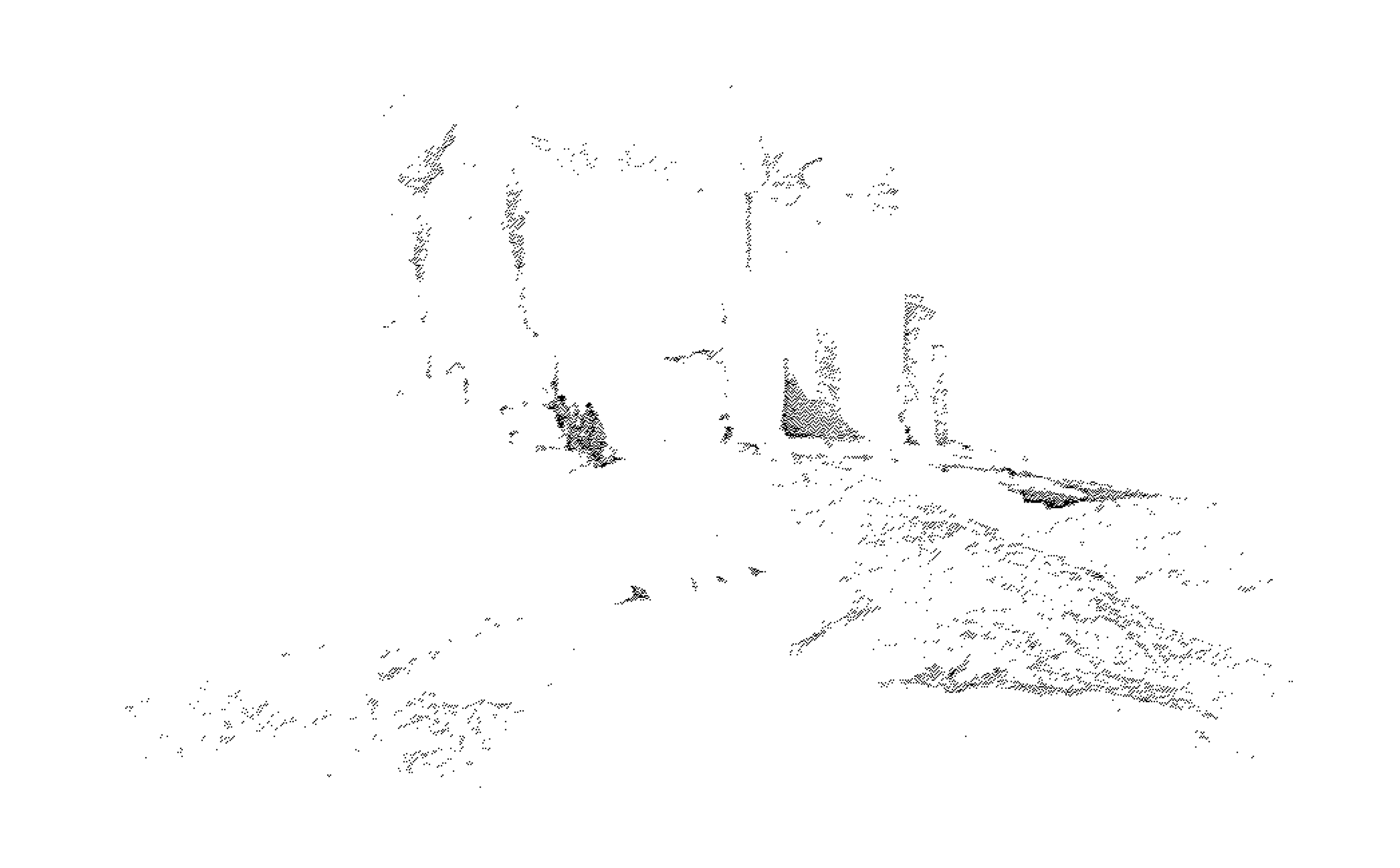
الانسان :

إنه هذا الكائن الحساس المرهف جداً الذي يموج عقله في اللحظة الواحدة بعشرات وآلاف الخواطر الواعية وغير الواعية ، ملايين الكهارب تتصل وتنفصل والجزئيات تتكون وتؤدي دورها وتتغير إلى جزئيات أبسط أن (الامبيا) أو الكائن ذا الخلية الواحدة ، يحس الضوء وينجذب للطعام وينقسم ويتوالد وفيه كم من الذرات والجزئيات بعدد ابعاد النجوم والكواكب والانسان بلحمه وعضله وعظامه وجلده شبه الحي وأظافره يحس ويدرك ويشحن كل ما يدركه ببدائيته إلى العقل البشري تلك الكلمة الجبارة من أرقى ما وصلت إليه الحياة في تطورها من قدرة على الوعي بذاتها وبالمادة من حولها ، المادة التي تعي بالمادة وتؤثر على المادة وتشكل المادة وتحطم المادة إذا أرادت وتحطم حتى ذراتها . هذا الانسان وكلنا ذلك الإنسان.».

المرجع د/ يوسف أدريس ـ مقال جريدة الاهرام في ١/ ٤/ ١٩٨٤ .

وإن هذا الانسان يؤثر فيه الماضي والحاضر والمستقبل وأن كل قراراته الذي يتخذها ما هي إلا حصيلة لتلك الأحاسيس قد تكون هذه القرارات موجبة وقد تكون سالبة تتوقف على درجة الاستيعاب والمحيط العام به .

لوحة ٢٤ ـ الأقصر من الجنوب الغربي ـ (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)



لوحة ٢٥ ـ معبد وادي كرداسي ـ النوبة ـ (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)

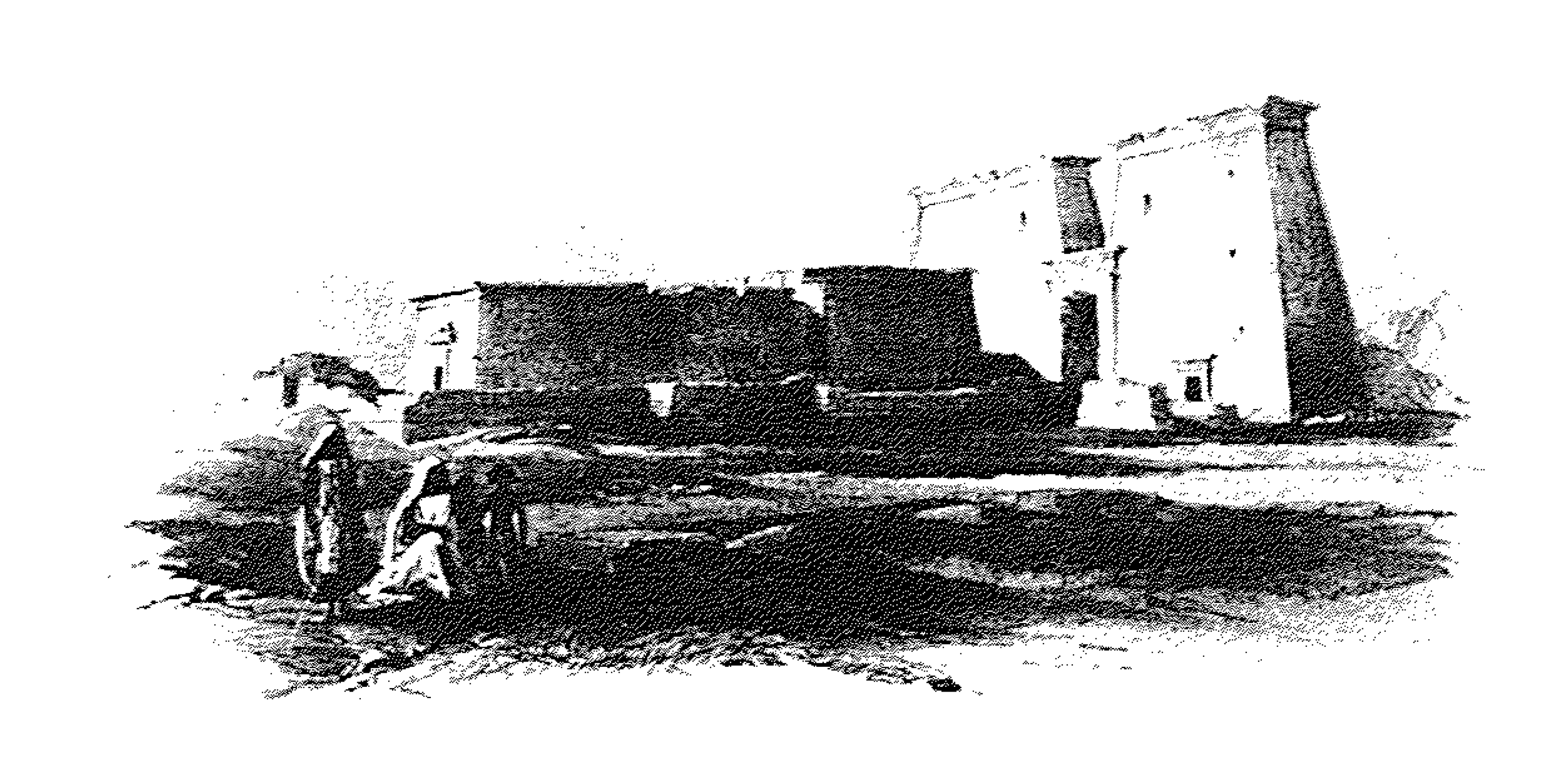


لوحة ٢٦ - مدخل معبد أمون - الجرنة - (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)

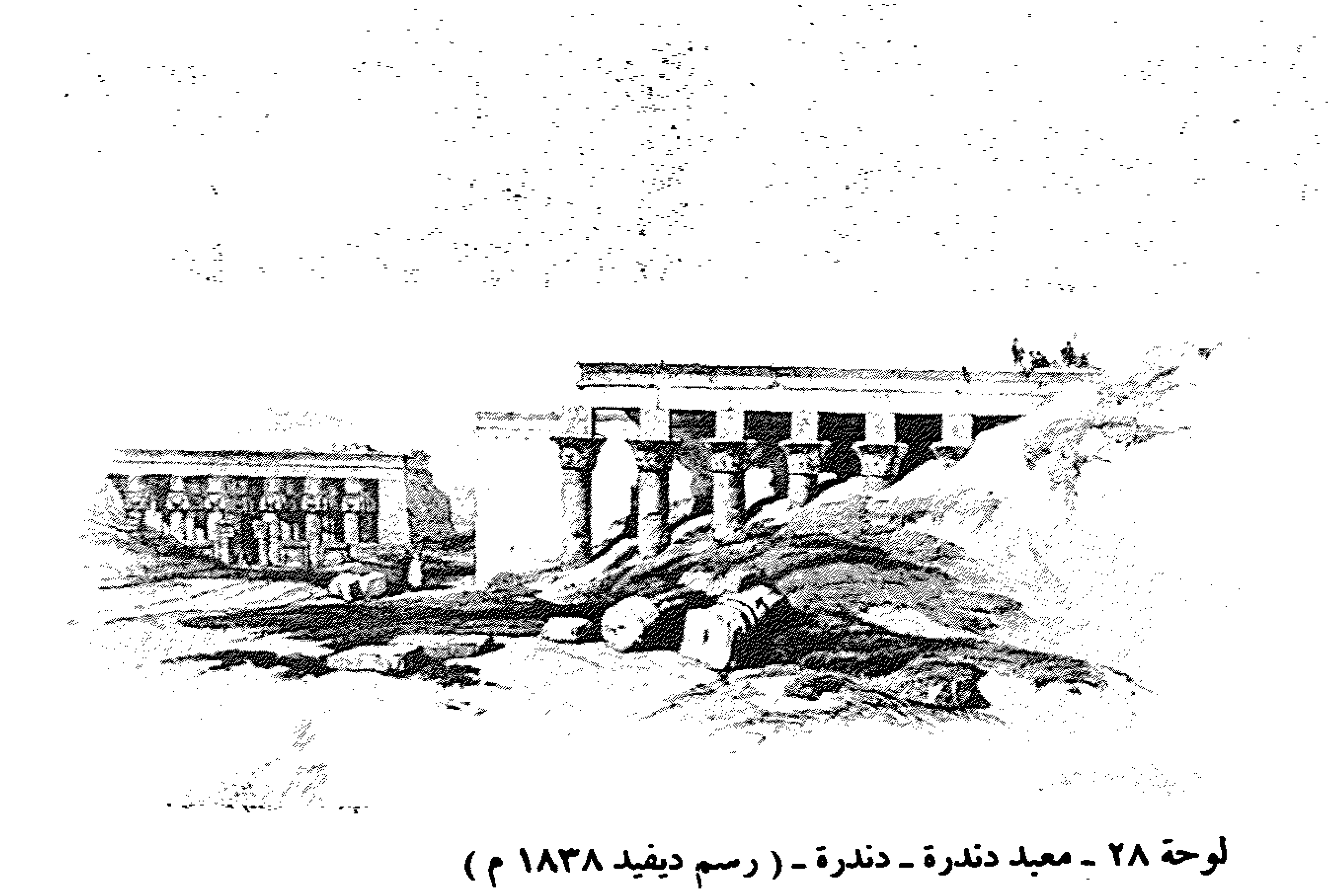
يقول رفاعة رافع الطهطاوي :

«إن مصر أقدم أمة دون منازع فسلموا لها أنهم دونها في مرتبة الأهمية وإن لم تسبقها أمة في ميدان التمدنية ، ولا في حومة تقنين القوانين وتشريع أحكام ـ لأحكام المدنية ، ولم تجحد نعمة اقتباس علومها أمة ولا ملة ولا أنكرت الاستضاءة بنور نبراسها مملكة عظيمة ولا دولة وأن مصر فأغرب شيء من بقاء شمسها سعدها وارتقاء كوكب مجدها أنها بقيت سبعين قرناً حافظة لمرتبتها العليا .

ويقول : فقد كانت أيام الفراعنة أم أمم الدنيا وفي أيام الاسكندر حتى أيام الرومانيين كانت لها القوة المعنوية بقدر اهابتها أيام الفراعنة بالقوة الحسية حيث حكماء الاسكندرية وعلماءها وفلاسفتها اشتهروا بالعلوم العقلية لا سيما علم الأخلاق والعوائد وكثرت آراؤهم ومذاهبهم كذلك في القرون الوسطى حيث فتح الاسلام لمصر فتجدد في مصر ما لا يزيد عليه من التقدمات والأهمية حيث كانت قطب رحى ديار الاسلام وكان لمصر دور كبير في انتقال التمدن من الشرق إلى الغرب عن طريق الأندلس .



لوحة ٢٧ ـ معبد داك ـ النوبة ـ (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)



لوحة ٢٨ ـ معبد دندرة ـ دندرة ـ (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)



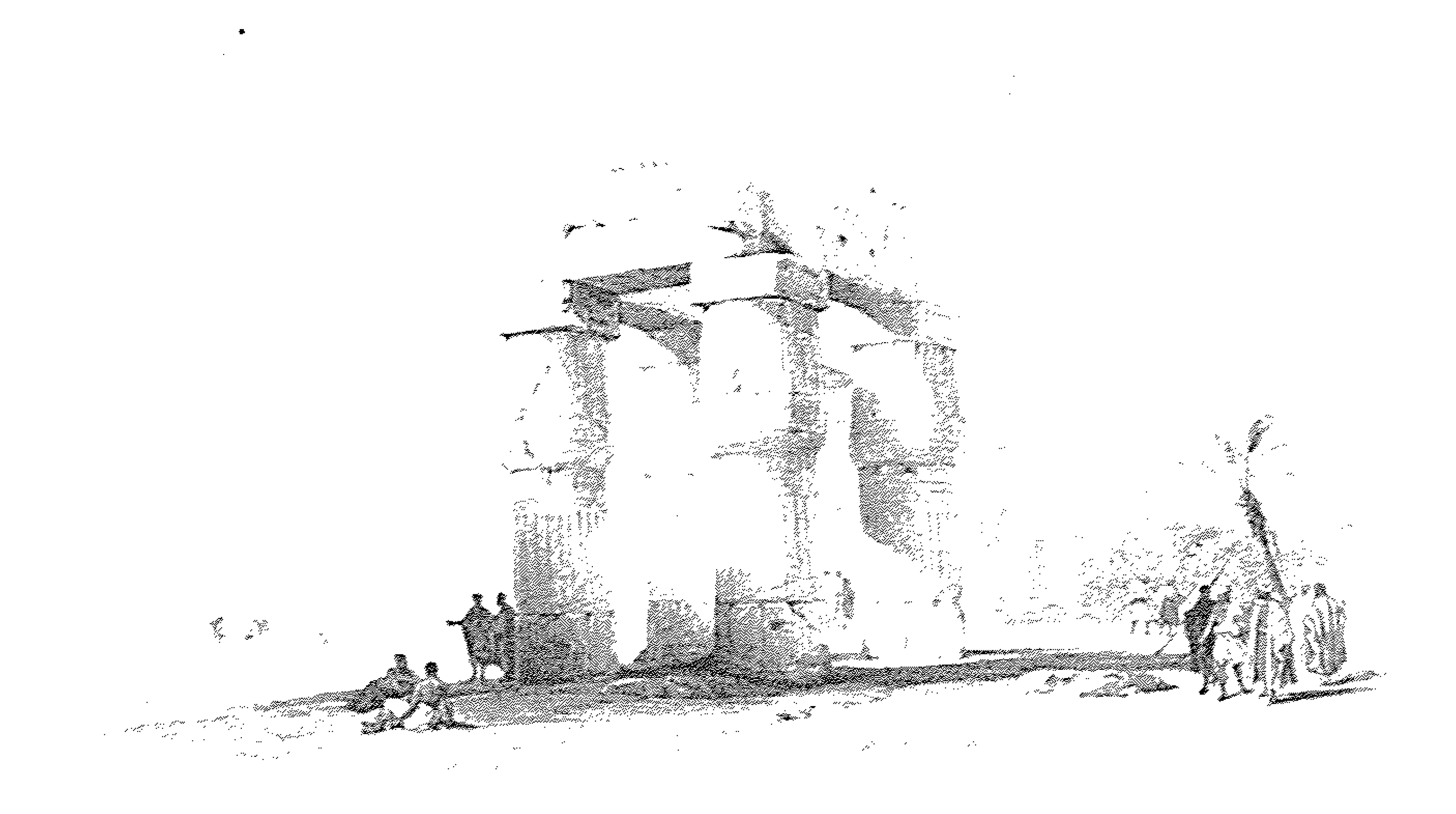
لوحة ٢٩ ـ تمثال لاممنون ـ الأقصر

أقدمية مصر في التقدم والتمدن

يقول رفاعة الطهطاوي :

إن مصر في القديم والحديث لينة الأخلاق ، سهلة العريكة ، أزلية التمدن ، أبدية التدين ، ناشطة على العمل ، كانت أهلها مثرية ولمَ تزل غنية ، مشغولة عن الفتن والشرور وهمة أهلها في تثمير الأرزاق وعمارة الملك الخلاق ، دأبهم من القديم : التجارة والصناعة والفلاحة وكانت عندهم الصنائع في أعلى درجات الكمال وكانت ثمرات عقولهم ونتائج أذهانهم لا تنشأ إلا عن فحول الرجال انتقلت آثار صنائعهم إلى البلاد عامة .

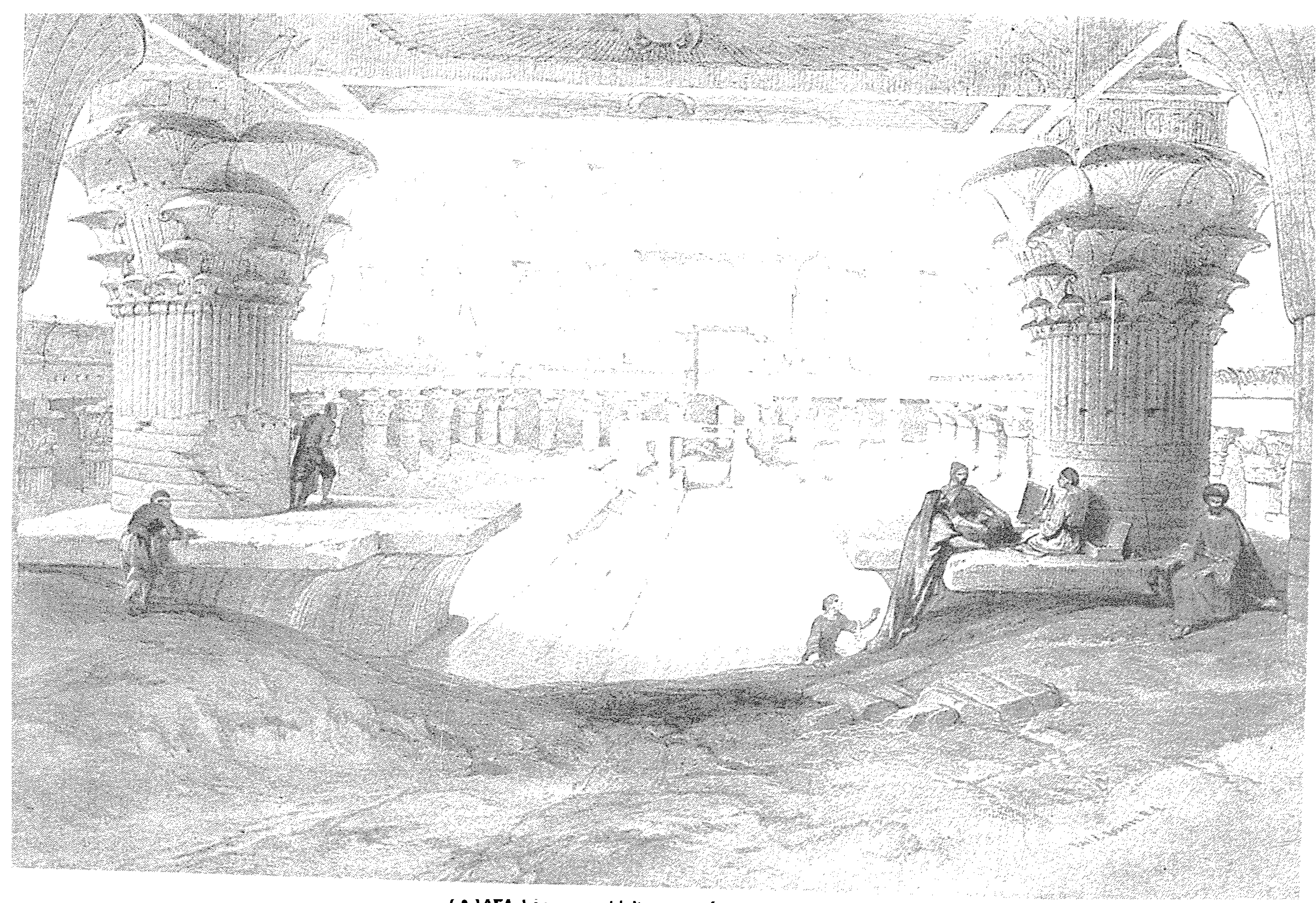
والسر في هذا التقدم العجيب وحسن التمدن الغريب في أزمان بعيدة حيث الأمة التي طبيعة اقليمها تلائم الفلاحة والزراعة وتصريف نتائج هذه البضاعة فإنها تركض في ميدان التقديم وتسعى في مضمار الترتيب والتنظيم فبقدر حاجتها إلى تحصيل أدوات الفلاحة والزراعة تنبعث عزيمتها إلى البحث عن اختراع الفنون واقتراح الصناعة . فهكذا كانت ضرورة الديار المصرية حيث خصوبة أرضها تستدعي انتخاب الفصول والأزمان ومعرفة سير النجو وساحة البلدان وهندسة الآلات والعمارات وحفظ المحصولات في المباني والعمارات ووقاية الأموال والنفوس في المدينة الحصينة والتمتع برفاهية الحال وتنعيم البال ونقل ما زاد عن احتياجاتها إلى البلاد الأجنبية .



لوحة ٣٠ ـ الأقصر ـ معبد الأقصر ـ (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)



لوحة ٣١ ـ معبد كوم أمبو ـ مصر العليا ـ (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)



لوحة ٣٢ - معبد أدفو - مصر العليا - (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)

* ١ - موارد مصر الطبيعية

موقع مصر :

هي في الركن الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا بين خطي عرض ٢٢ ، ٣٢ شمالاً وخطي طول ٢٤ ، ٣٧ شرقاً تكون مستطيلاً يبلغ أقصى عرض له من الشمال إلى الجنوب ١٠٧٣ كيلومتراً وأقصى طول من الغرب إلى الشرق ١٢٢٦ كيلومتراً والمساحة الكلية حوالي المليون من الكيلومترات المربعة . ويبلغ الجزء الواقع منها جنوب مدار السرطان ربع المساحة الكلية ، بينما الجزء الباقي يقع في المنطقة المعتدلة وتعتبر مصر جزءاً من حزام الصحراء الكبرى الذي يمر بشمال أفريقيا والصحاري تغطي ٩٦,٨٪ من المساحة الكلية للبلاد وتتميز بمناخ حار عديم الأمطار طول العام تقريباً .

الصفات الطبوغرافية والجيومورفولوجية :

يقسم نهر النيل سطح مصر إلى وحدتين مورفولوجيتين احداهما في الشرق والأخرى في الغرب الأولى هضبة عالية تتخللها وديان كثيرة والثانية هضبة تتميز بوجود عدة منخفضات مغلقة غير متصلة . ومصر تنقسم أربعة أقسام هي :

* وادي ودلتا نهر النيل .
* الصحراء الغربية .
* الصحراء الشرقية .
* شبه جزيرة سيناء .

١ - وادي نهر النيل :

يمثل وادي نهر النيل ودلتاه شريطاً من الرواسب النهرية وطول النهر يبلغ ١٥٣٠ كيلومتراً تحيط به من الجهتين هضبة من الأحجار الرملية ـ والجرانيتيـة . ويتفرع النيـل عند القاهرة إلى فرعين :

* الغربي وهو فرع رشيد وطوله ٢٣٩ كيلومتراً .
* الشرقي يعرف بدمياط وطوله ٢٤٥ كيلومترا .

وكل من الفرعين يصبان في البحر المتوسط ويحتويان فيما بينهما دلتـا نهر النيل التي تبلغ مساحتها ٢٢٠٠٠ كيلومتراً مربعاً تنتشر في نصفها الشمالي بحيرات ـ ضحلة

٢ - الصحراء الغربية :

وهي هضبة متسعة ذات مسطحات كبيرة من أراضي مرتفعة وبها عدة منخفضات متسعة مغلقة وأقصى ارتفاع للهضبة في الجنوب الغربي وتتمثل هذه الجبال في شريط مرتفع من الأحجار الرملية بامتداد حوالي ٢٠٠ كجم يبلغ ارتفاعه حوالي ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر تسمى بهضبة (الجلف الكبير) .

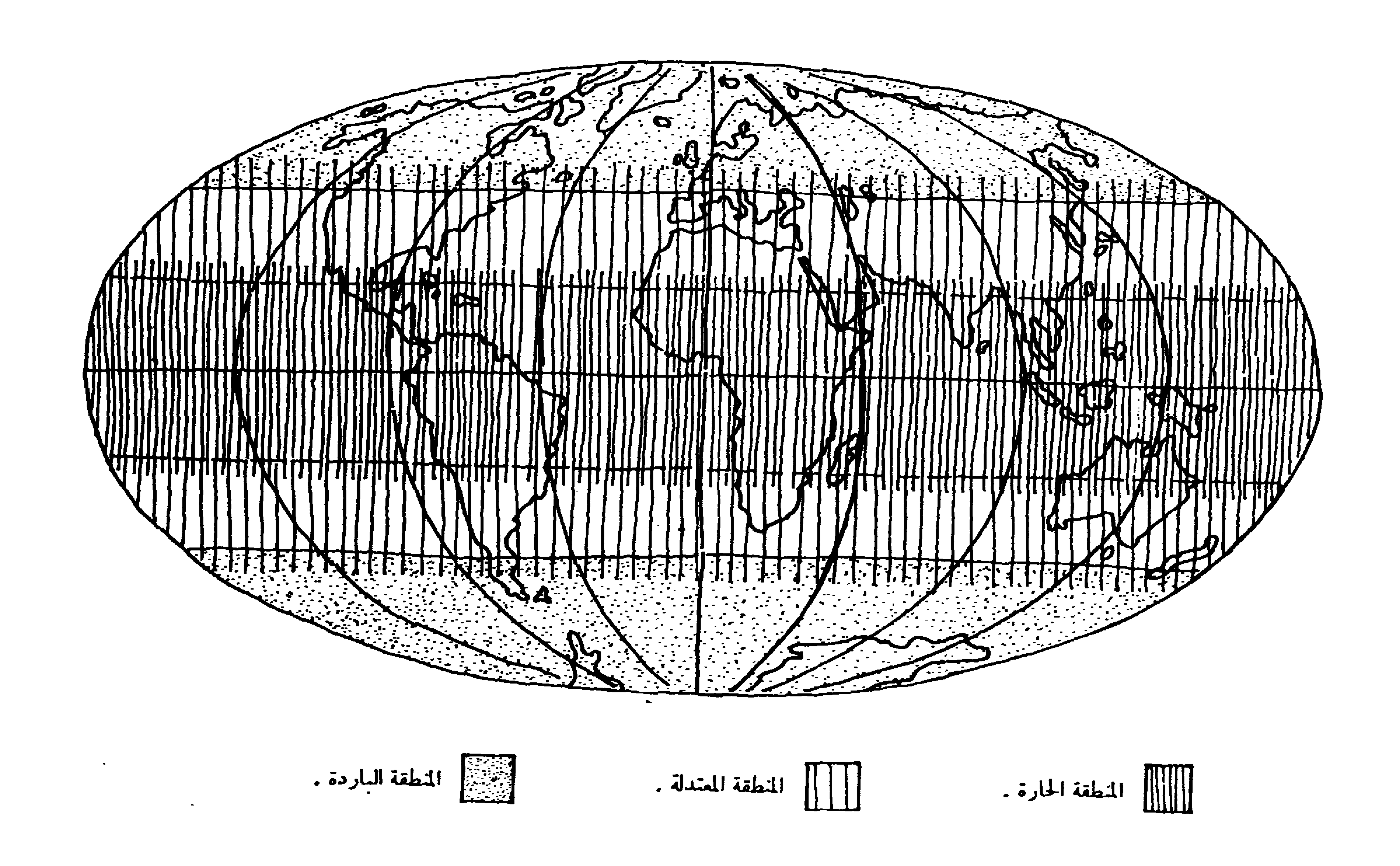
٣ - الصحراء الشرقية :

وهي من الصخور النارية ومن الشمال والغرب صخور رسوبية يتخللها عدد كبير من الأودية ويبلغ أقصى ارتفاع لها حوالي ٢١٧٨ متراً بالقرب من سفاجا .

٤ - شبه جزيرة سيناء :

وهي مثلثة الشكل تبلغ مساحتها نحو ٦١٠٠٠ كيلومتراً مربعاً جزؤها الجنوبي من جبال عالية ذات صخور نارية أعلاها قمة جبل كـاترين [illegible] ارتفاعها ٦٢٤٠ متراً فوق سطح البحر وتشغل هذه الجبال العالية حوالي [illegible] أما ثلثها المتبقي فهي هضبة عالية من الصخور الرسوبية تتخللها كثير من الوديـان العميقة التي ينحدر معظمها ناحية ساحل البحر المتوسط وهي جبال جيرية .

* المرجع كتـاب الزراعـة المصريـة ـ سيد مـرعي ـ وزارة الـزراعـة والاصـلاح الزراعي ١٩٧٠ .



لوحة ٣٣ ـ المناطق المناخية ـ العالم ـ

النشأة والتكوين

من دراسة رواسب عصر البلستوسين وعصر الهولوسين في أماكن كثيرة من وادي النيل والدلتا يتبين أنه في نهاية عصر البلستوسين استمر مستوى البحر في الهبوط نسبياً واستمر النيل يحفر مجراه في رواسب البلستوسين وحتى ظهور الانسان في ـ المنطقة وخلال الأحقاب الجيولوجية الطويلة التي تكونت خلالها شرفات النهر في الوادي حملت مياهه إلى البحر كميات هائلة من الحصى والرمل مكونة الرواسب تحت الدلتاوية حيث انتشرت حول مصبي النهر على شكل دلتا قد غطاها طمي نهر النيل وتعتبر أراضي الوادي والدلتا في مصر حديثة التكوين فقد نشأت وتكونت نتيجة لترسب طمي النيل .



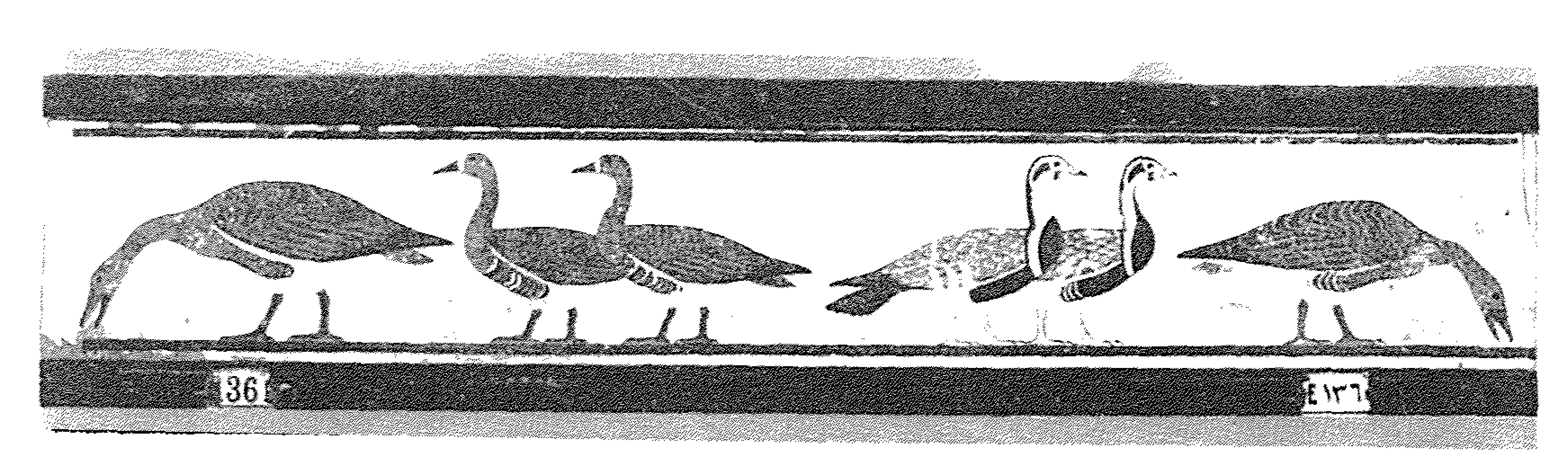
لوحة ٣٤ ـ أبو سحبل ـ معبد أبو سحبل

الزمن

تكونت تربة وادي النيل والدلتا نتيجة الترسيب السنوي المستمر للمواد المتعلقة في ماء النيل أثناء الفيضان وقد بدأت عملية الترسيب هذه منذ حوالي عشر آلاف سنة وإلى وقت قريب وبذلك يكون أثر الزمن واضحاً في تحديد سمك طبقة الرواسب النهرية المكونة للتربة المزروعة .

الانسان

استعمل الانسان معظم الأراضي الرسوبية في الزراعة منذ آلاف السنين وبذلك ظهر أثر الانسان في تكوين الأراضي الزراعية .



لوحة ٣٥ ـ نقوش فرعونية ـ المتحف المصري ـ القاهرة

المناخ

يعتبر المناخ من العوامل التي تحدد طبيعة التربة الناتجة تحت تأثير العوامل الأخرى .



لوحة ٣٦ - مدخل قلعة ابريم من النيل - مصر العليا - (رسم ديفيد ١٨٣٨)

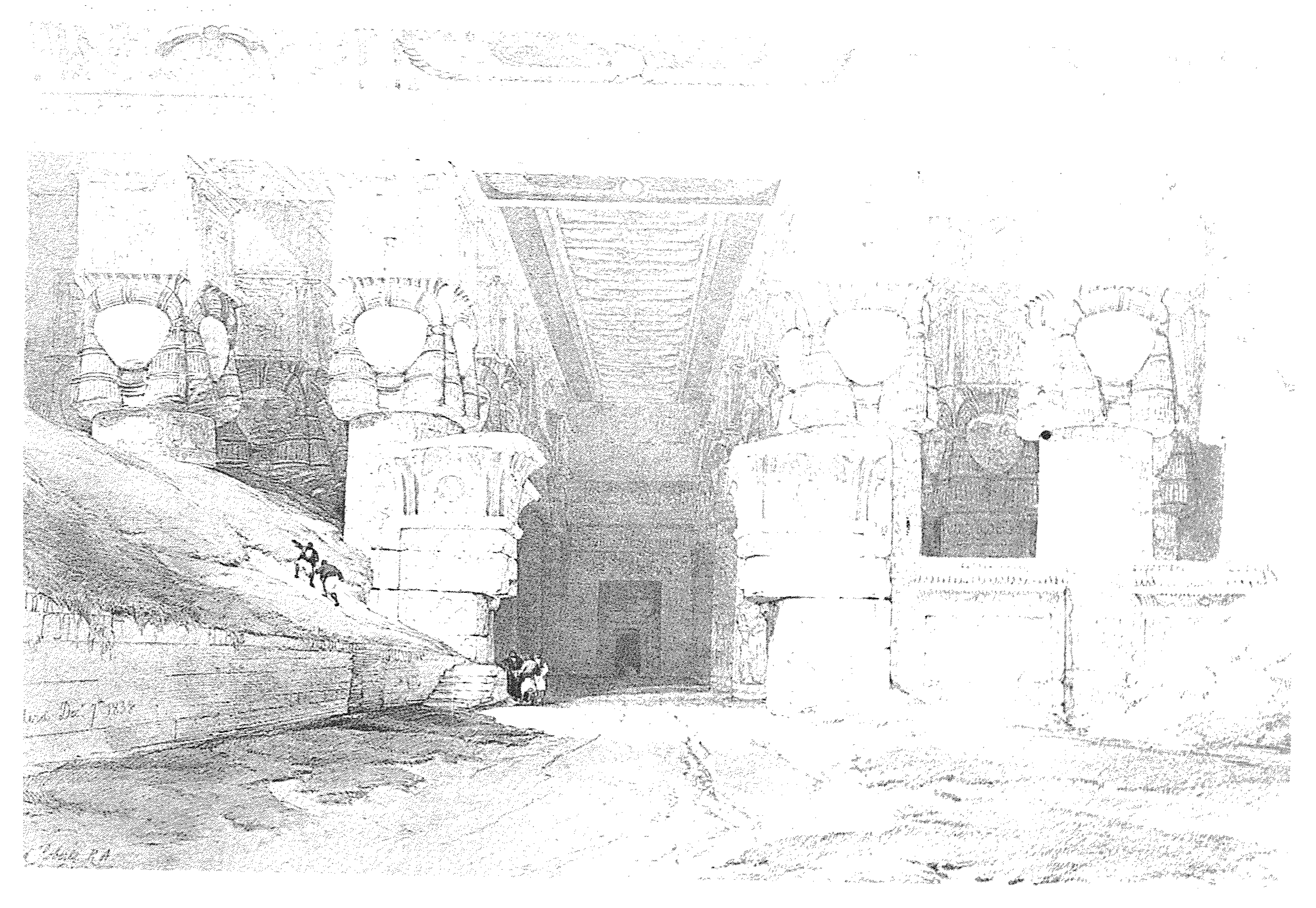
أثر البيئة على تكوين المدينة المصرية عبر العصور

الطبيعة والمدينة المصرية

لعل أول ما يلفت النظر في دراسة الحضارة المصرية هو أثر طبيعة التضاريس على قيام المواقع الحضرية وعلى تطورها فالناظر لخريطة وادي النيل الطبيعية يلاحظ أن نهر النيل هو أهم ظاهرة طبيعية في البلاد ومن ثم فهو العامل الأساسي الموجه لمراكز الحضر في مصر ولا سيما أن الصحراء تحتضن الوادي من الجانبين . وتتسم أرض الوادي بالانبساط والتجانس وعدم التعقد لذلك جاءت المواقع الحضرية في معظمها في هذا الوادي .

وقد كانت هذه التجمعات الحضرية منذ القدم في نمو طبيعي وفقاً للحاجة ولكن حتى العصر الحديث ومع عصر محمد على بدأ يظهر النشاط الانساني فعالاً في نمو المدينة منذ قرنين حيث أن معظم المدن المصرية متناثرة فوق الرقعة الزراعية ولا ترتكز في منطقة معينة إذ أنها صناعية (سطحية) ومعظم هذه الأماكن يعتمد على تحكم الانسان وقد كان من نتائج ذلك أن تغيرت أهمية وقيمة هذه المواقع على مر العصور . وحدثت أول ـ ثورة في المواقع الحضرية إبان حكم محمد على مع ادخال نظام الري الدائم وزراعة المحاصيل الصيفية حيث تركزت زراعة القطن حول المواضع الحضرية التي كانت تتمتع بمواقع نهرية أو ـ على مقربة من مواصلات مائية كما أن انشاء السكك الحديدية في عهد الخديوي عباس اعتبرت الثورة الرئيسة في الحضرية المصرية ففي هذه الفترة انتعشت بعض المواقع الداخلية نتيجة لبناء السكك الحديدية مثل مدينة طنطا والمنصورة والزقازيق وكفر الزيات وبذلك يكون نمو وسائل المواصلات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مسؤولاً عن نمو المراكز الحضارية في معظم المواقع المصرية وكذلك شق قناة السويس أوجد على الجانب الغربي ثلاثة مراكز ساحلية بالإضافة إلى بور فؤاد على الجانب الشمالي الشرقي

ولقد تطورت ونمت مدن القناة بدرجة أسرع من المواقع التاريخية والتقليدية في الدلتا .



لوحة ٣٧ ـ معبد دندرة ـ دندرة ـ (رسم ديفيد ١٨٣٨ م)

قيام الحياة الحضرية في مصر

١ ـ عصر ما قبل الاسرات :

حيث توطت فيه قواعد الاقتصاد الزراعي وقامت خلاله عدة حضارات أهمها حضارة الفيوم وحضارة البداري وحضارة العمرة وحضارة جرزة وهذه الحضارات الثقافية كانت تنقل المصريين تدريجياً إلى عصر المعدن .

٢ ـ عصر الاسرات :

قامت بعض المدن بوصفها حواضر للأقاليم وكانت تحمل سلطة الادارة التي اقترنت بالكهانة في نفس الوقت وكانت عظمة المدينة تقاس بعظمة الإله الذي يستقر فيها أو المعبد الذي يقام من أجل عبادته . وقد ظلت عواصم الأقاليم موزعة توزيعاً عادلاً من حيث المسافة على طول الوادي وفي ربوع الدلتا وفيها عدا الحواضر ـ والعواصم قامت مدن تحمل الطابع المفهوم للمدينة في مواقع ذات الأهمية التجارية مثل هليوبوليس وفقط وغيرها . . .

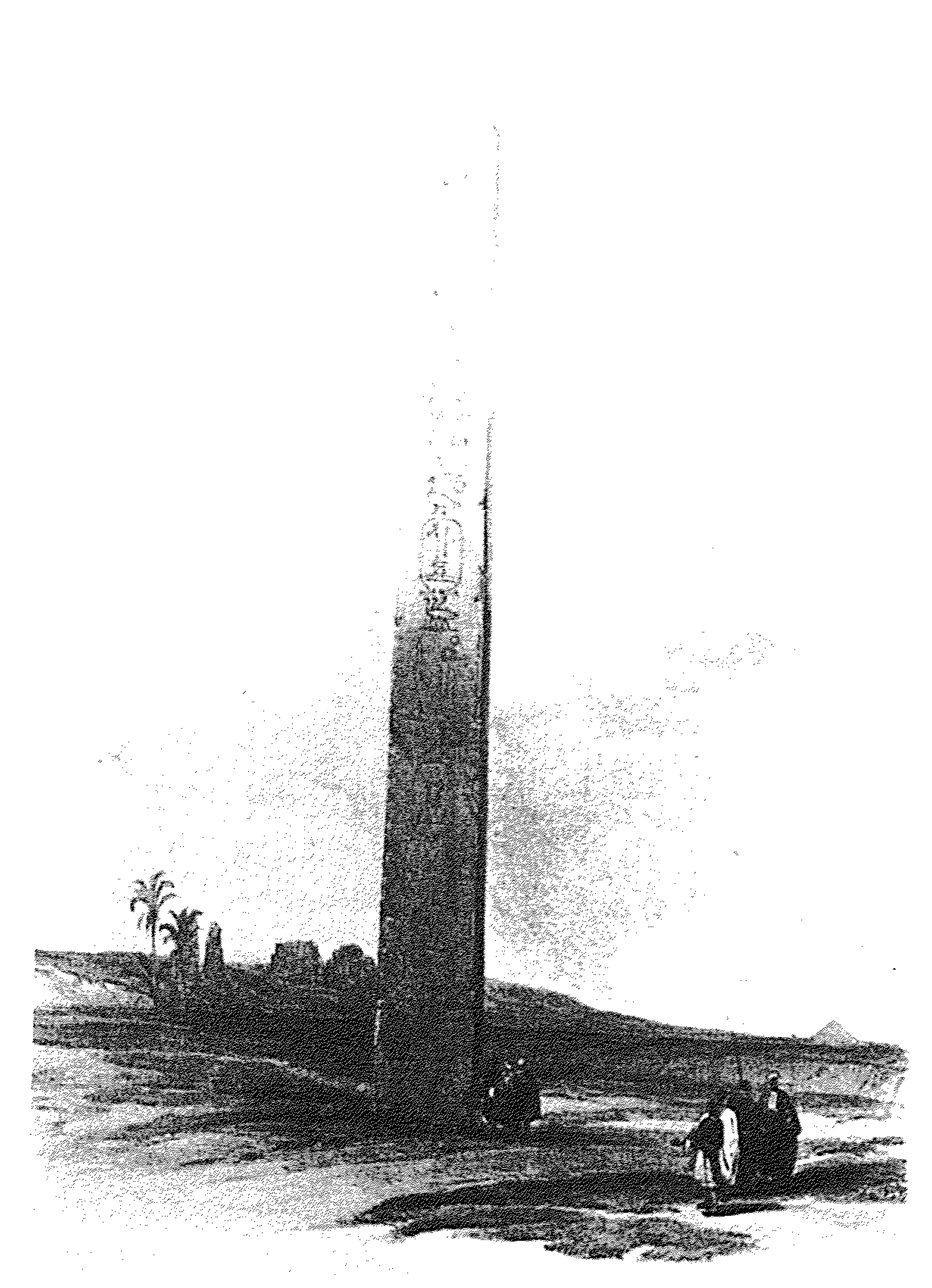
٣ ـ في العصر اليوناني والروماني :

شهدت دفعة حضارية جديدة في تاريخها إذ أقيم في مصر العديد من مراكز التجارة والحكم وكان من المراكز التجارية المزدهرة مدينة الاسكندرية ودالماتيا (دمياط) وممفيس ونقراطيس وقسمت مصر إلى مملكتين لكل منها عاصمة محلية وكانت جميعها مراكز اشعاع للحضارة الاغريقية والرومانية وأقيمت بعض الصناعات مثل النسيج القطني والزجاج .

وظلت مصر تحت النفوذ الروماني حتى منتصف القرن السابع الميلادي .



لوحة ٣٨ ـ الاسكندرية ـ عمود السواري



لوحة ٣٩ ـ مسلة سوستريز ـ هوليوبوليس

٤ - في عصر الفتح الاسلامي :

دخل عمرو بن العاص مصر سنة ٦٣٩ ميلادية ومنذ ذلك التاريخ تغير التوجيه الجغرافي حيث اتجه إلى اليابس بعد أن كان متجهاً نحو البحر في عهد الاغريق والرومان .

وقد اتسمت المدن باختفاء المسارح والجمانزيم وغيرها من المباني العامة التي سايرت الحضرية الرومانية إذ أصبح أهم المعالم في المدينة المصرية المسجد والمباني الدينية فجاء مركز الحكم شمال حصن نابليون على الضفة الشرقية من النيل على الضفة الأخرى من مدينة ممفيس حيث شيد عمرو مدينة الفسطاط التي تضم مسجده ومنزله .

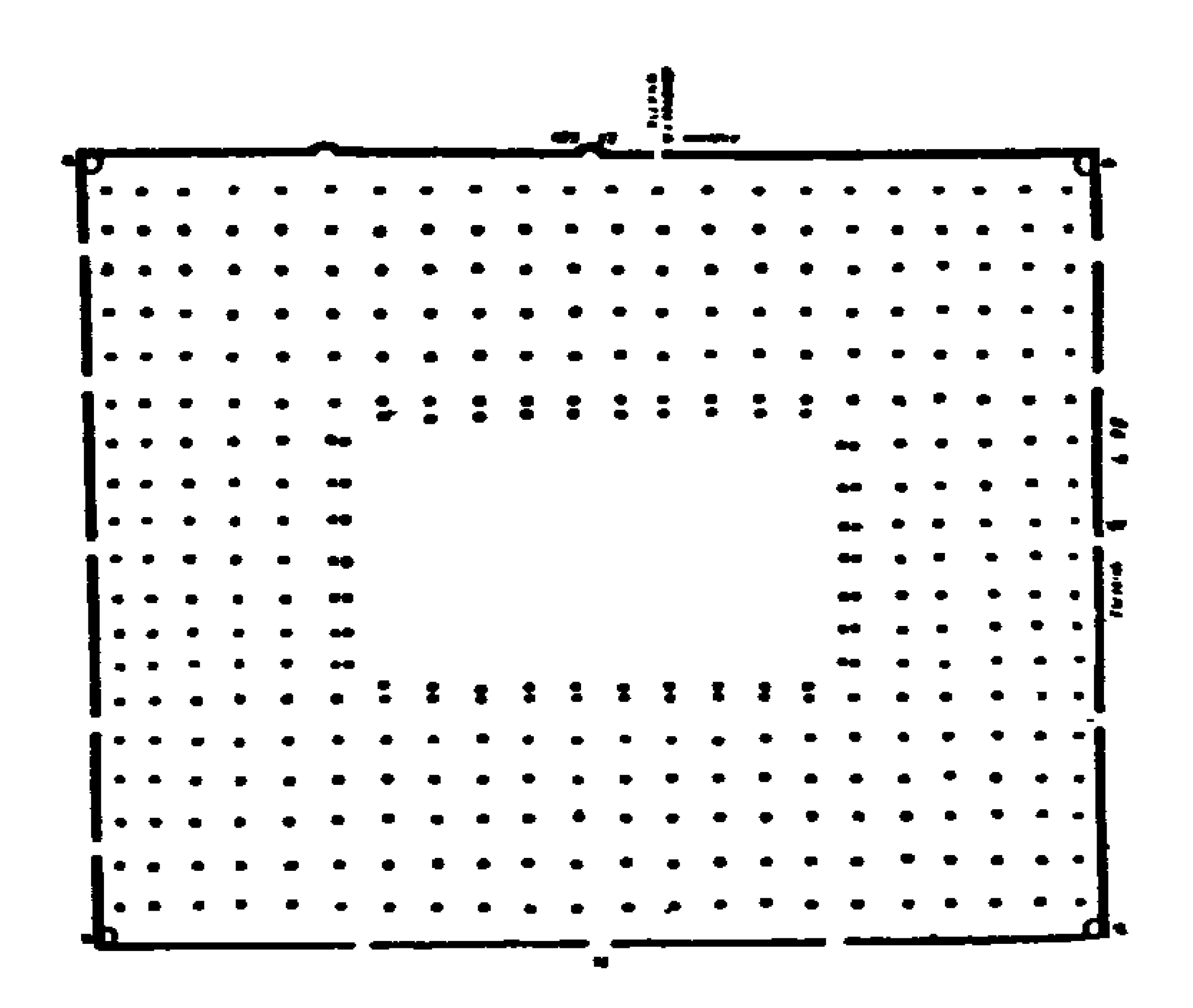
وحينما تولى العباسيون الحكم شيدوا مدينة العسكر إلى الشمال من الفسطاط وعام ٨٧٠ م مدينة القطائع وقد شيدها أحمد بن طولون إلى شمال العسكر وأهم معالمها مسجد ابن طولون .

- وقد أسس جوهر الصقلي عام ٩٦٩ م قاهرة المعز التي كان أهم معالمها جامع الأزهر والقصر شمال القطائع وكانت قلعة حصينة .

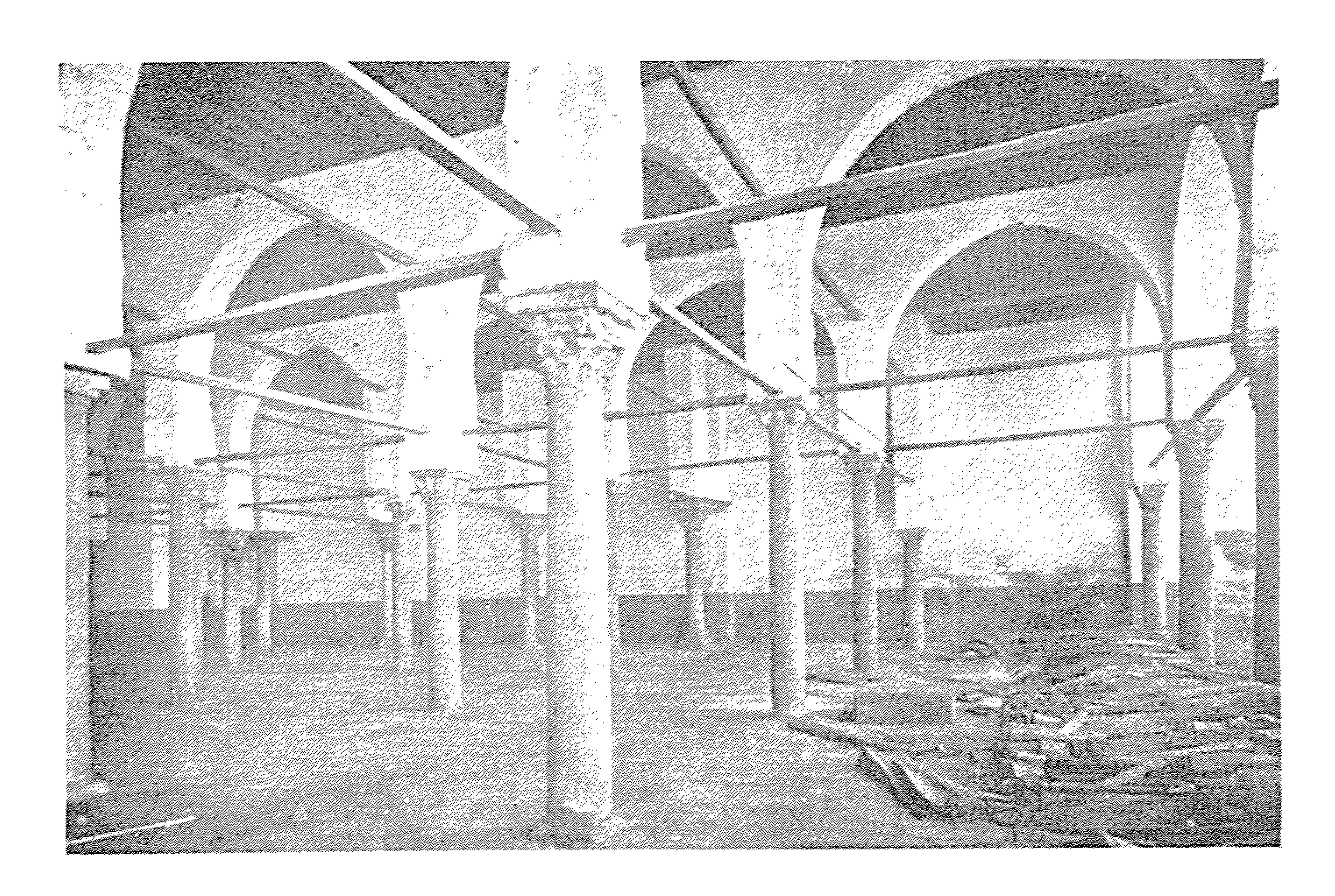
- وقد نمت قاهرة المعز بسرعة حيث أصبحت مقر الحكومة في القرن الحادي عشر بعد أن أصبحت موقعاً عمرانياً كبيراً ذات منازل مبنية من الطوب يفصل بين كل منزل وآخر حديقة ويتكون المنزل من خمسة أو ستة طوابق وكان يطلق اسم الربع على هذه المنازل التي كانت تغلق بأبواب خشبية كبيرة .

- وقد قام صلاح الدين الأيوبي بتوحيد موقع العواصم السابقة عن طريق بناء سور حولها .

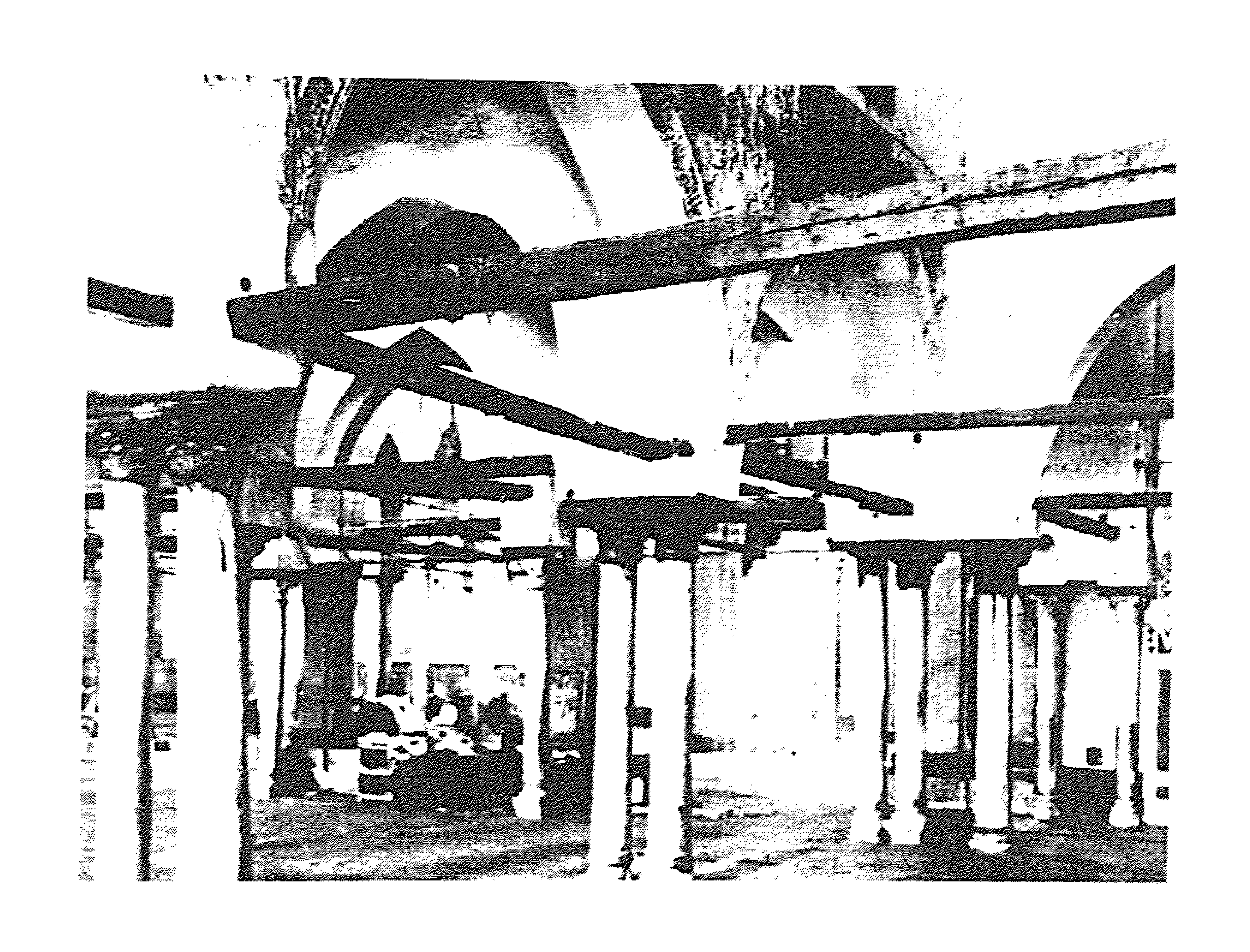
- كانت القاهرة في القرن الثاني عشر محاطة ور ضخم له عشرة أبواب لها ميناء خاص المكس) وداخل السور القصور وأحياء الأجانب جميعاً.



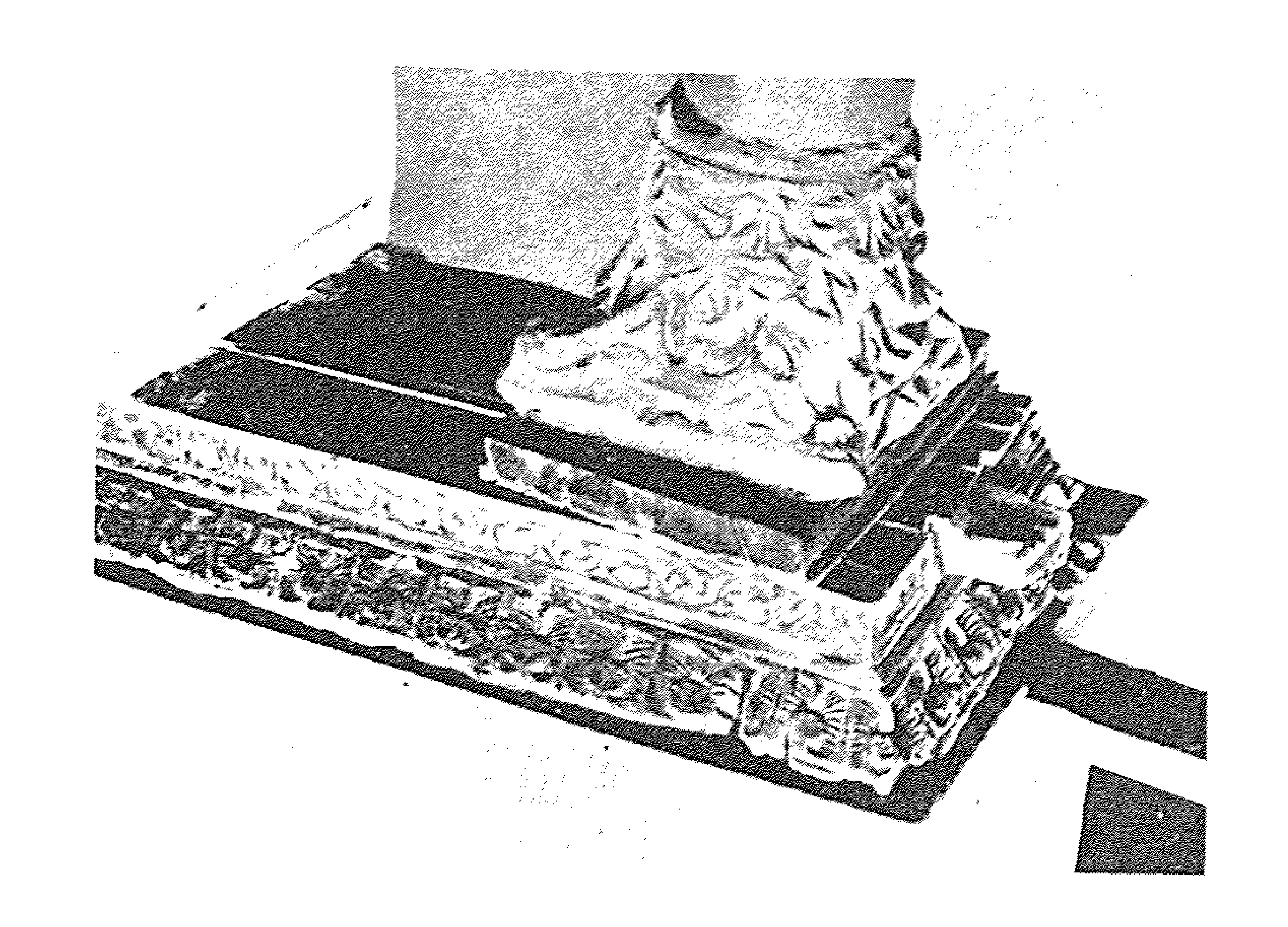
لوحة ٤٠ - جامع عمرو بن العاص - المسقط ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م



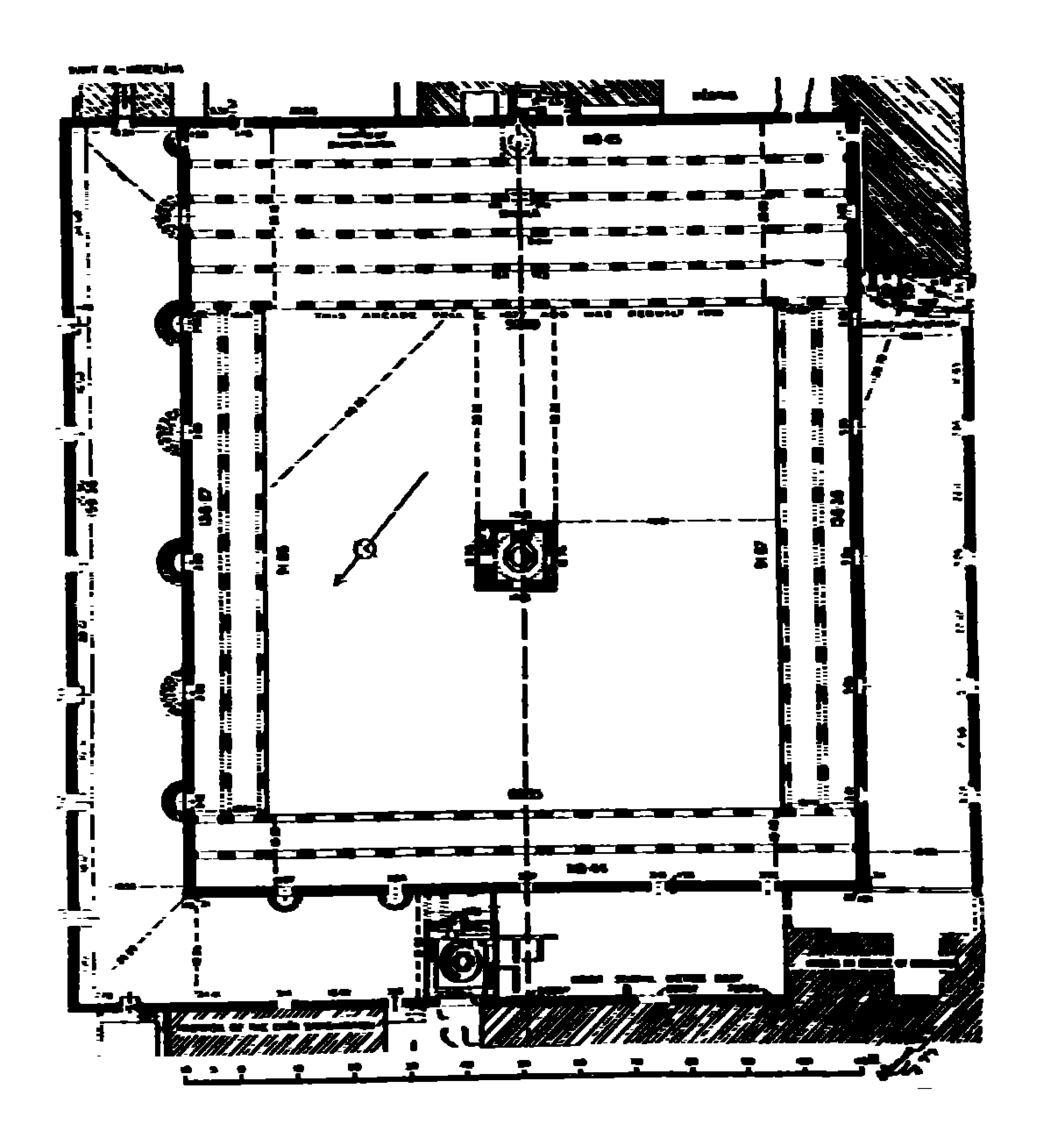
لوحة ٤١ - جامع عمرو بن العاص - الجناح الغربي من أروقة القبلة ٢١ هـ / ٦٤١ م - ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م



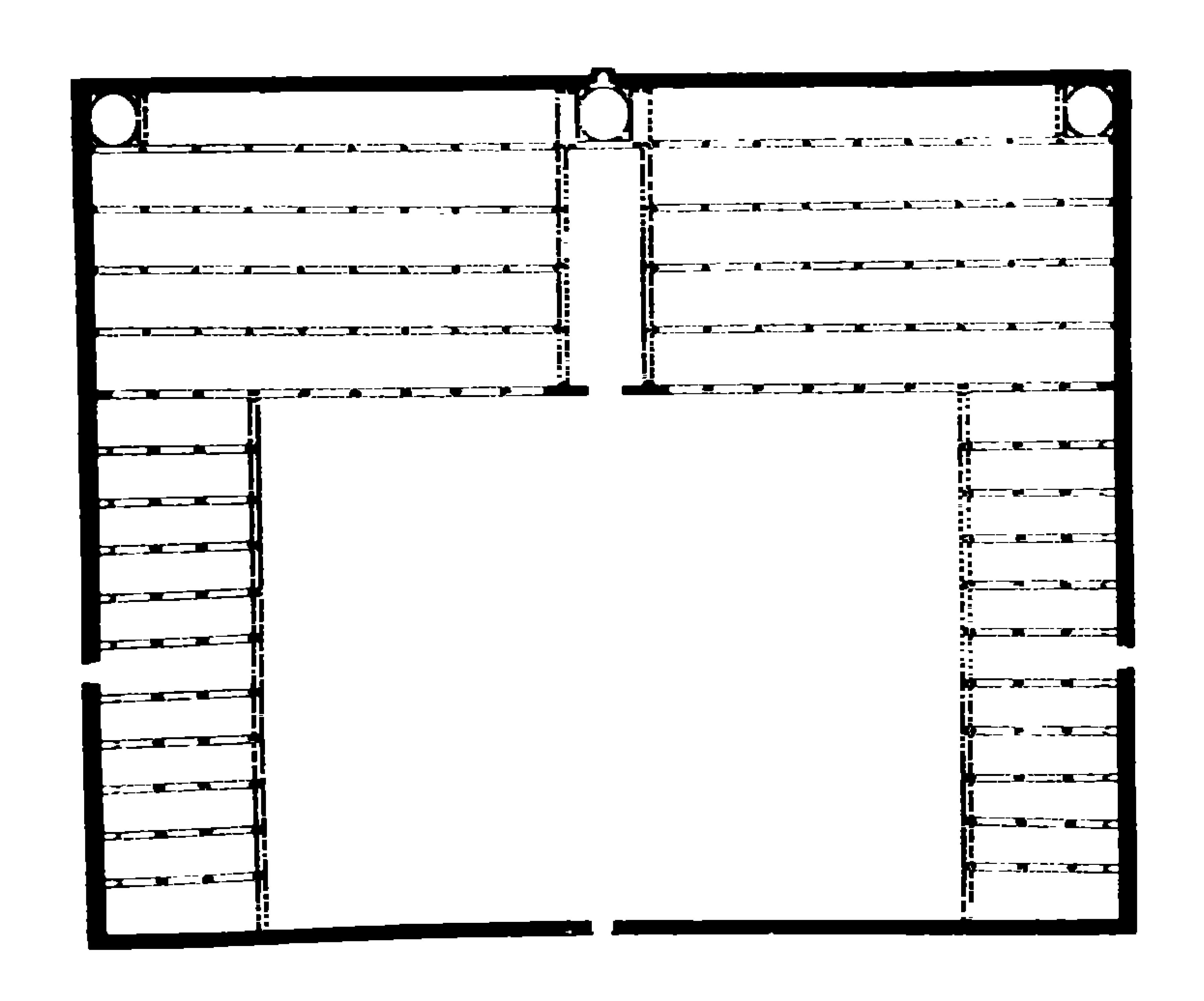
لوحة ٤٣ - جامع الأزهر - المجاز والأروقة (HOAG)
٣٥٩- ٣٦١ هـ/ ٩٧٠- ٩٧٢ م



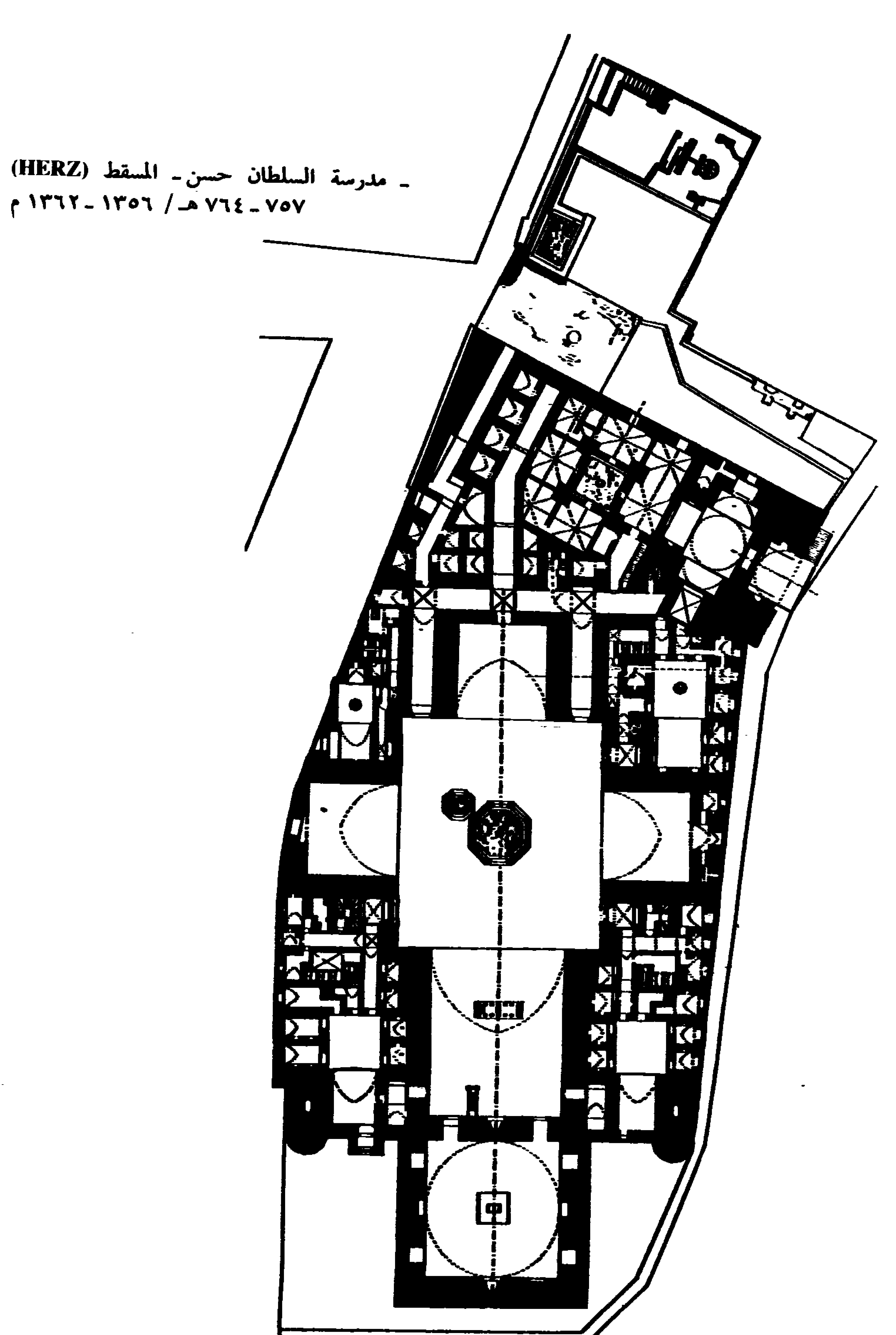
لوحة ٤٢ - جامع عمرو بن العاص - تاج عمود - ٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م



لوحة ٤٤ ـ جامع أحمد بن طولون ـ المسقط (CRESWELL)
٢٦٣ ـ ٢٦٥ هـ/ ٨٧٦ ـ ٨٧٩م



لوحة ٤٥ ـ جامع الأزهر ـ المسقط الأصلي (HOAG)
٣٥٩ ـ ٣٦١ هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م



- مدرسة السلطان حسن - المسقط (HERZ)
٧٥٧ - ٧٦٤ هـ / ١٣٥٦ - ١٣٦٢ م

- ومع نهاية القرن الثاني عشر حين، تعرضت مصر لغزوات الصليبيين التي وفدت من البحر المتوسط توجهت الحضرية المصرية ناحية الشمال وخاصة دمياط لتتحصن ضد الغزاة مثل مدينة المنصورة . وازداد الاهتمام بمدينة دمياط .

- في القرن الخامس عشر وقعت مصر تحت الحكم المملوكي الذي امتدت ايامه حتى القرن السادس عشر حينما جاء العثمانيون إلى مركز السلطة .

- في فترة حكم العثمانيين استمرت بعض مراكز الحضر في النمو وقد ظهرت هذه المراكز في القرن الثامن عشر كمدن عمرانية كبيرة مثل القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد والسويس .

- ولما تولى محمد على حكم مصر عام ١٨٢٠ م وضع أساس الثورة الزراعية حيث أدخل زراعة القطن وشق الترع ساعد هذا على نمو المجتمعات الحضرية .

- وقد أحدثت الثورة الزراعية والصناعية وتقدم وسائل المواصلات تغييراً شاملاً في الاقتصاد المصري وأدى هذا إلى تغييرات في التكوين الاجتماعي للشعب المصري .

وخلال الاحتلال الأجنبي البريطاني لمصر انحدر المستوى الزراعي والصناعي .

- ولكن مع بداية القرن العشرين وعلى وجه التحديد خلال الحرب العالمية الأولى حينما اشتدت الحاجة إلى خلق صناعة مصرية بسبب تعذر الاستيراد نمت الصناعة المصرية وقويت في الحرب العالمية الثانية وبالتالي نمت التجمعات الحضرية الصناعية .

- ومع الثورة الصناعية الثانية الأكبر فهي التي وضعتها ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أصبحت الصناعة من أهم معالم مصر وقد ساعد على هذا نمو الحضرية في مصر ولما كانت الصناعة قد تمركزت في المدن كان من ذلك أن تجذب اليد العاملة من كل صوب الى هذه - الأماكن وظهرت كثير من المدن الصناعية مثل كفر الدوار ونمت مدينة المحلة وقد أدى هذا إلى تغيير جذري في تركيب المدينة وفي توزيع السكان



لوحة ٤٧ ـ جامعا السلطان حسن والرفاعي ـ القلعة ـ القاهرة ـ

وتركزهم وفي توزيع الخدمات العامة ومع هذه المصانع نشأ مدن صناعية للعمال مثل كفر الدوار ـ والمحلة الكبرى وكفر الزيات في القاهرة في شبرا وأمبابة ولم تقتصر الصناعات على الغزل والنسيج وإنما الصناعات الثقيلة أيضاً التي صبغت المواقع العمرانية بصبغة صناعية مثل حلوان .

وهناك كانت محاولات لخلق مراكز حضرية في مناطق الاصلاح الزراعي مثل مديرية التحرير والنوبارية .

ـ ويمكن أن يقال أن حركة التصنيع الحديثة في مصر وتطور الصناعة بها قد دفع الامتداد العمراني والحياة المصرية دفعة كبيرة .

ـ وقد ساعد تطور وسائل النقل والمواصلات على تطور المواقع العمرانية كما أدى إلى خلق مراكز حضارية جديدة مثل كفر الزيات ـ الزقازيق وطنطا .

ـ كذلك الاتصالات السلكية واللاسلكية والخدمة البريدية ساعد على نمو وتحسين الخدمات الاجتماعية في معظم المواقع العمرانية بالاضافة إلى النقل الجوي .

ـ وقد ضاعف زيادة عدد السكان العمران في المناطق العمرانية (نمو السكان) فقد زاد عدد سكان مصر زيادة كبيرة خلال القرن العشرين وذلك بسبب الثورة الزراعية والصناعية إلى زيادة نسبة المواليد وانخفاض نسبة الوفيات حيث زيادة الخدمات الصحية .

ـ يلاحظ أن مصر السفلى زادت بنسبة كبرى في تعداد السكان وذلك لأن معظم المراكز الصناعية تتركز في الدلتا .

ـ ولما كانت المركزية في العاصمة فقد تأثر نمو العاصمة بذلك وكذلك عواصم مراكز مصر .

ـ ويبدو أن المدن المصرية قد مرت في نموها خلال القرنين الأخيرين بثلاث مراحل متميزة ـ وهذه المراحل هي ـ مرحلة النشأة ـ ومرحلة التكوين ومرحلة التفجير والمرحلة الأخيرة هي الأكثر تعقيداً حيث زيادة السكان زيادة كبيرة .

ـ أما المرحلة الأولى فقد استغرقت معظم القرن الماضي وامتازت بنمو سكان المدن والريف معاً . إذغمت القرى الى جانب المدن الصغيرة ـ إذالتي لا تعدو أن تكون قرى كبيرة الحجم ارتبط نموها بالثورة الزراعية وتطوير نظم الري الدائم وبلغت النسبة المئوية السنوية للزيادة في الريف من عام ١٨٩٧ م إلى ١٩٠٧ م حوالي ١,٧ ٪ بينما بلغت في المدينة حوالي ١,١ ٪ سنوياً .

ـ أما المرحلة الثانية فكانت مرحلة انتقالية بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين وكان فيها معدل الزيادة السكانية في المدن ٢,١٥٪ وفي الريف ١,٢٣٪ .

ـ أما مرحلة التفجير (المدني) فقد صاحبت التصنيع وازدياد الرقعة المدنية والحياة المتصلة بها وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية حيث بلغت نسبة ساكني المدن الى الريف ٣٧,٤٠ ٪ من جملة سكان مصر . وتتركز في الدلتا وخاصة في القاهرة والاسكندرية حيث يتركز ثلاثة أرباع سكان الدلتا في القاهرة والاسكندرية .

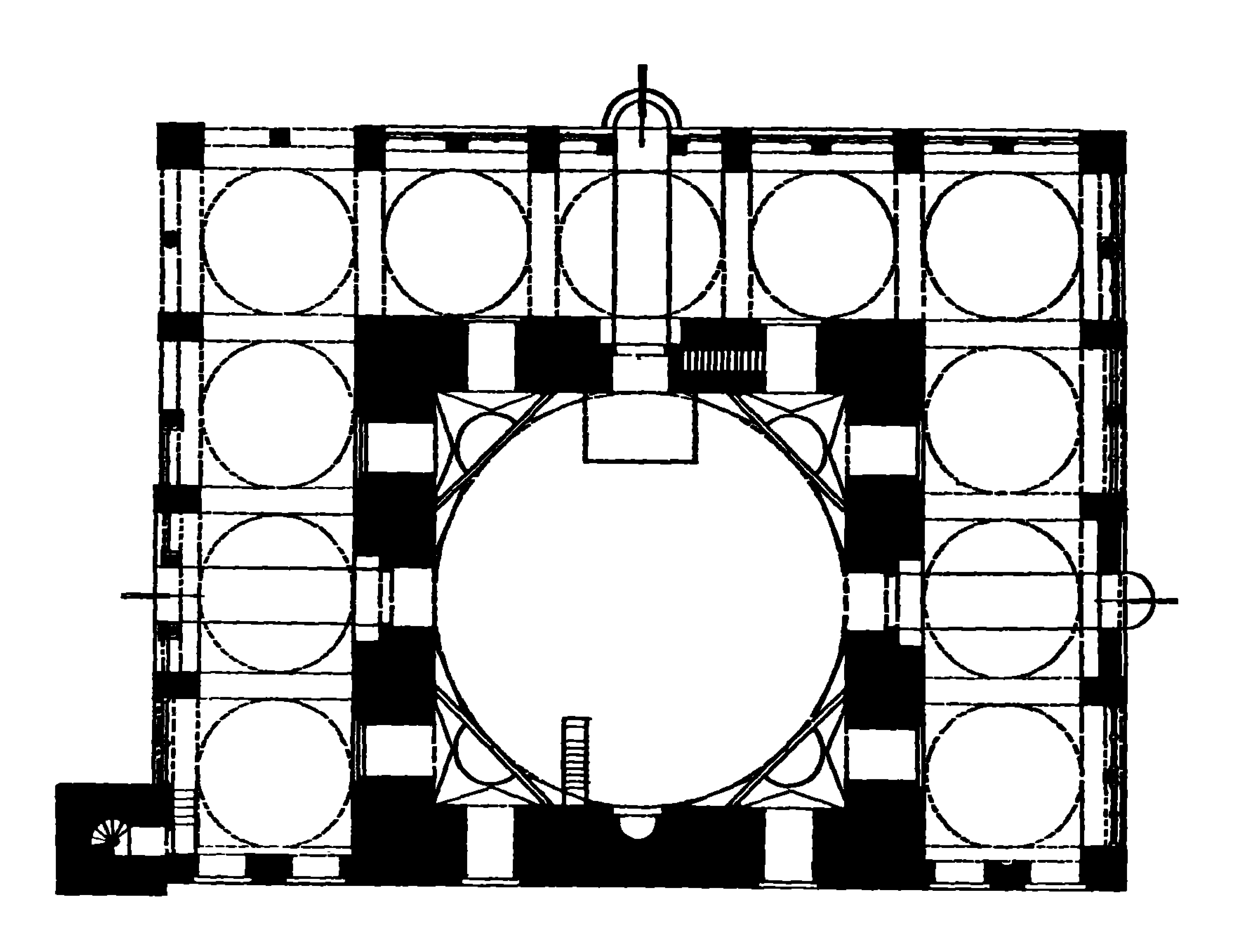
ـ وخلاصة القول بأن الثورة الصناعية وتقدم وسائل المواصلات وزيادة السكان خلال القرن العشرين قد وضع نهاية للاستقرار النسبي الذي كانت فيه المدن المصرية في غضون القرن الماضي وغيرت بقوة وعنف الحضر المصري وإذا كانت العوامل السابقة هي العوامل الرئيسة فإن هناك عوامل أخرى مثل انشاء دور العلم واعادة التركيز الاداري في العواصم وزيادة المرافق العامة بالاضافة إلى خروج المحتل والأجانب من مصر الذي ساعد على أن انتقل الكثير من أبناء الريف إلى المدن ليحلو محلهم .



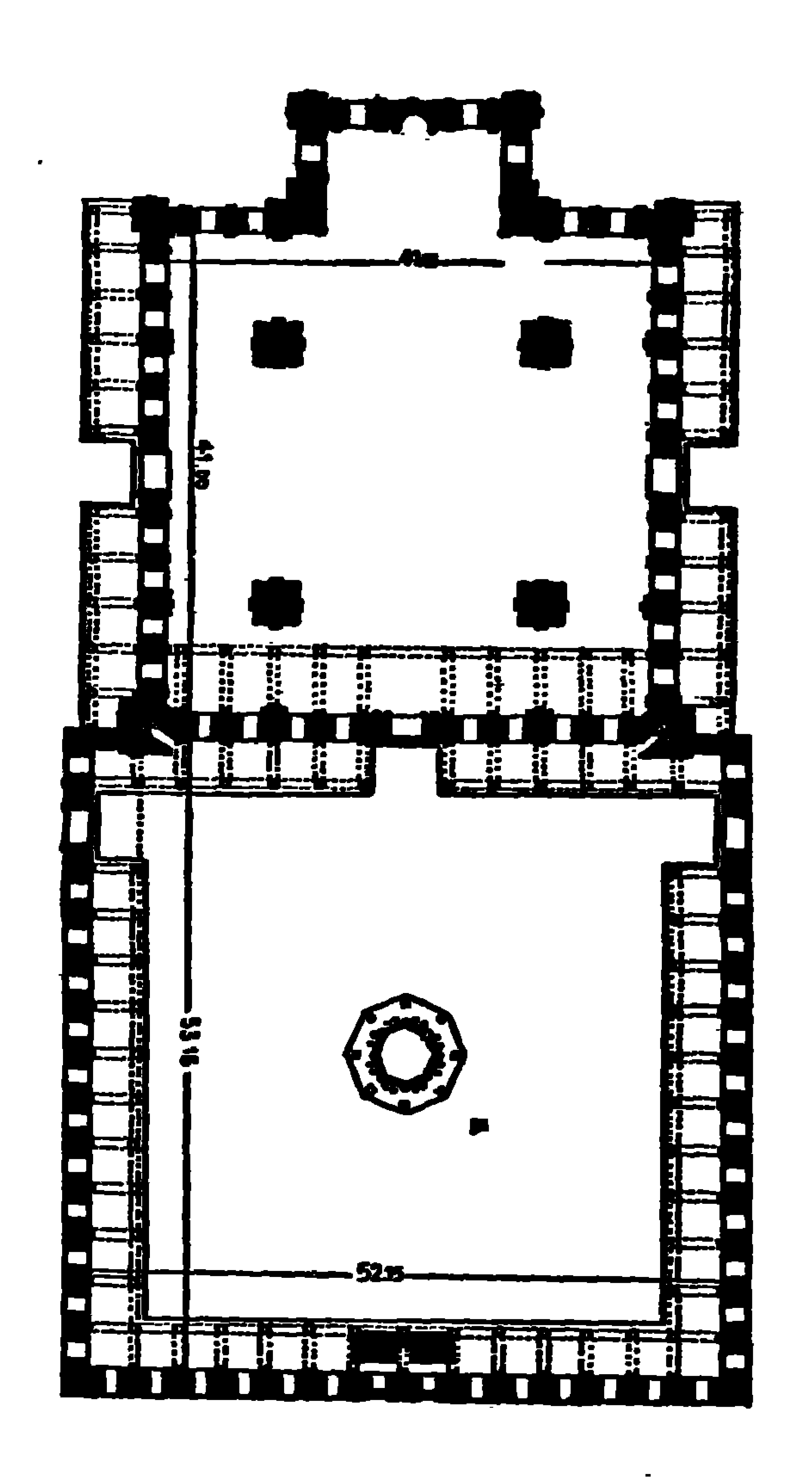
لوحة ٤٨ ـ جامع السلطان برقوق ـ (١٣٨٦ م) ـ القاهرة ـ



لوحة ٤٩ ـ مآذن مسجد المؤيد ـ القاهرة ـ ١٤٢٠ م ـ



لوحة ٥٠ ـ مسجد سنان باشا ـ المسقط ـ ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م



لوحة ٥١ ـ مسجد محمد علي بالقلعة ـ المسقط ـ ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م



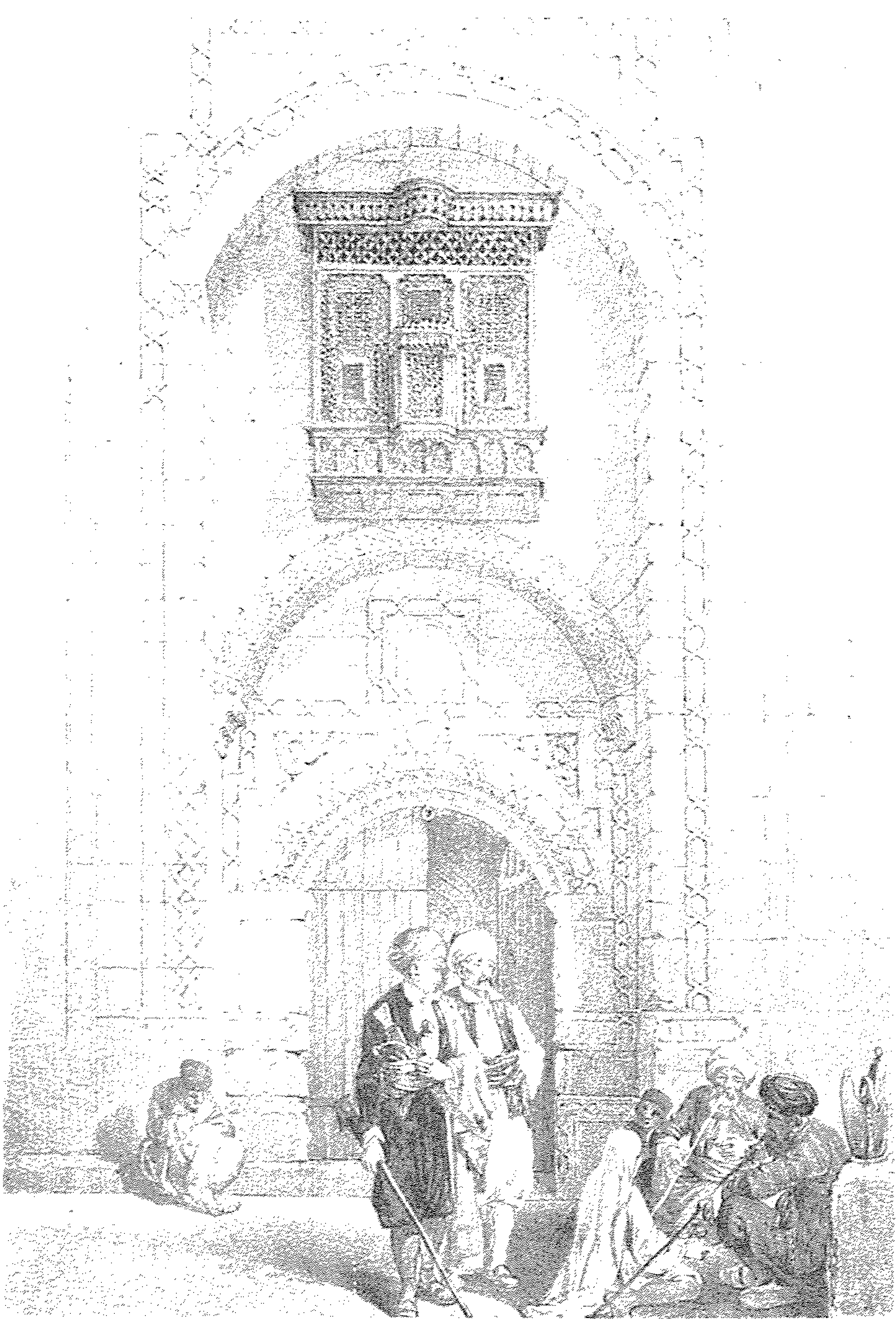
لوحة ٥٢ ـ مسجد محمد علي بالقلعة ـ
١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م



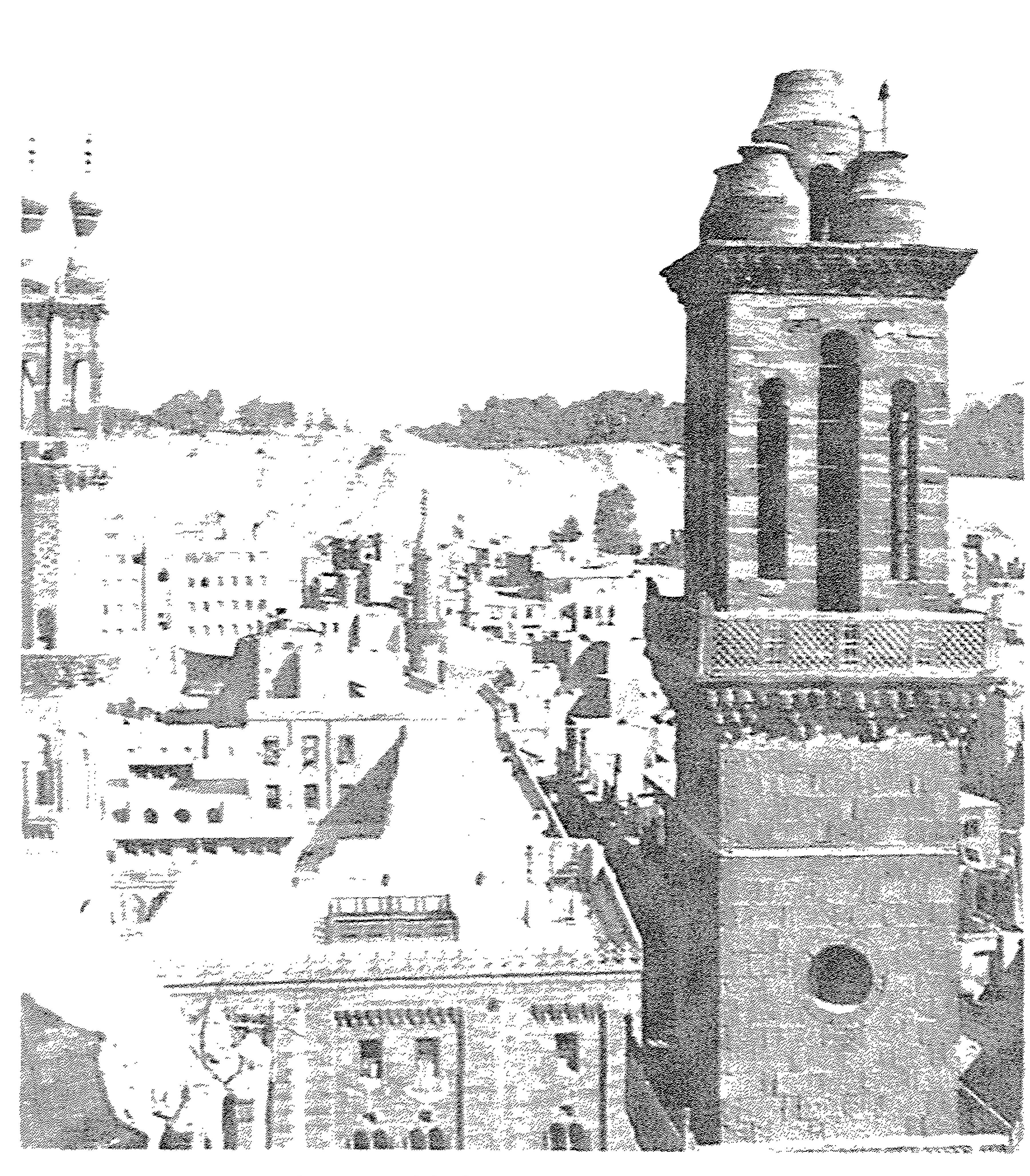
لوحة ٥٣ ـ القاهرة ـ ممر جانبي في أروقة صحن مسجد محمد علي ـ القلعة



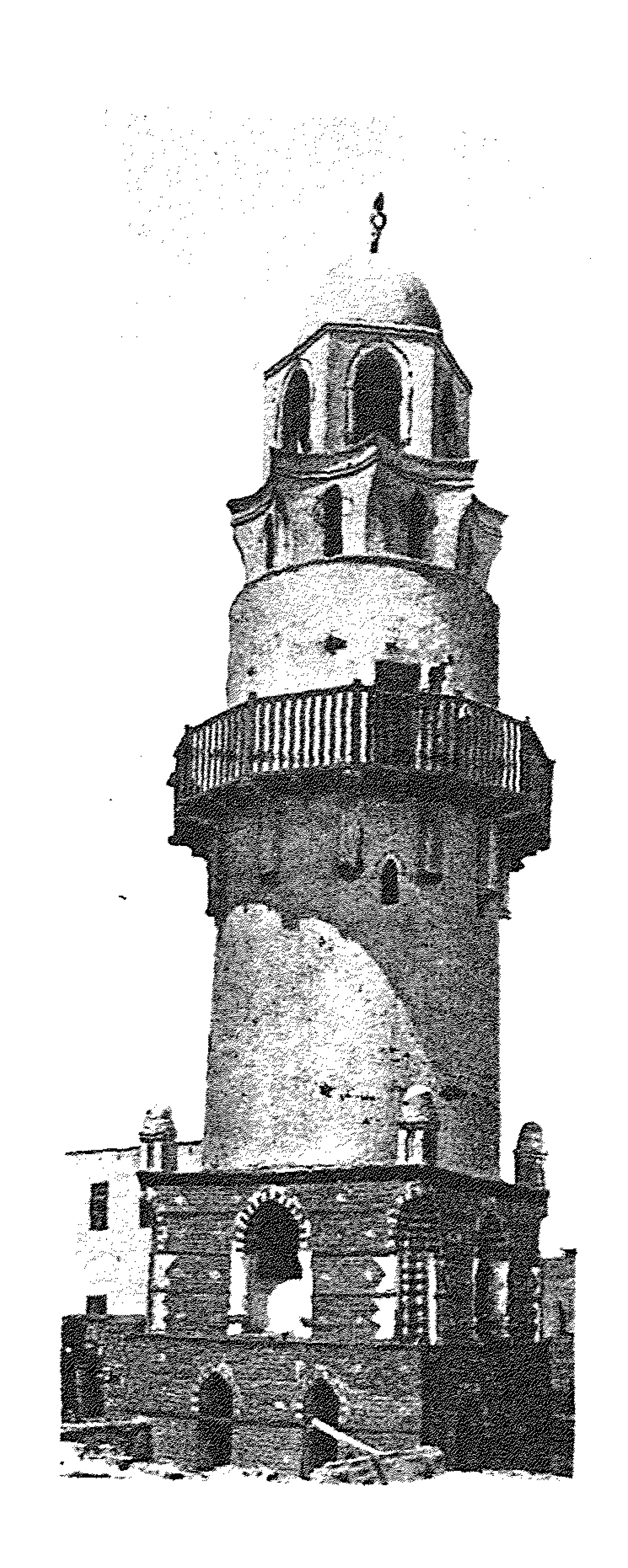
لوحة ٥٤ ـ القلعة ـ مدخل مسجد السلطان حسن

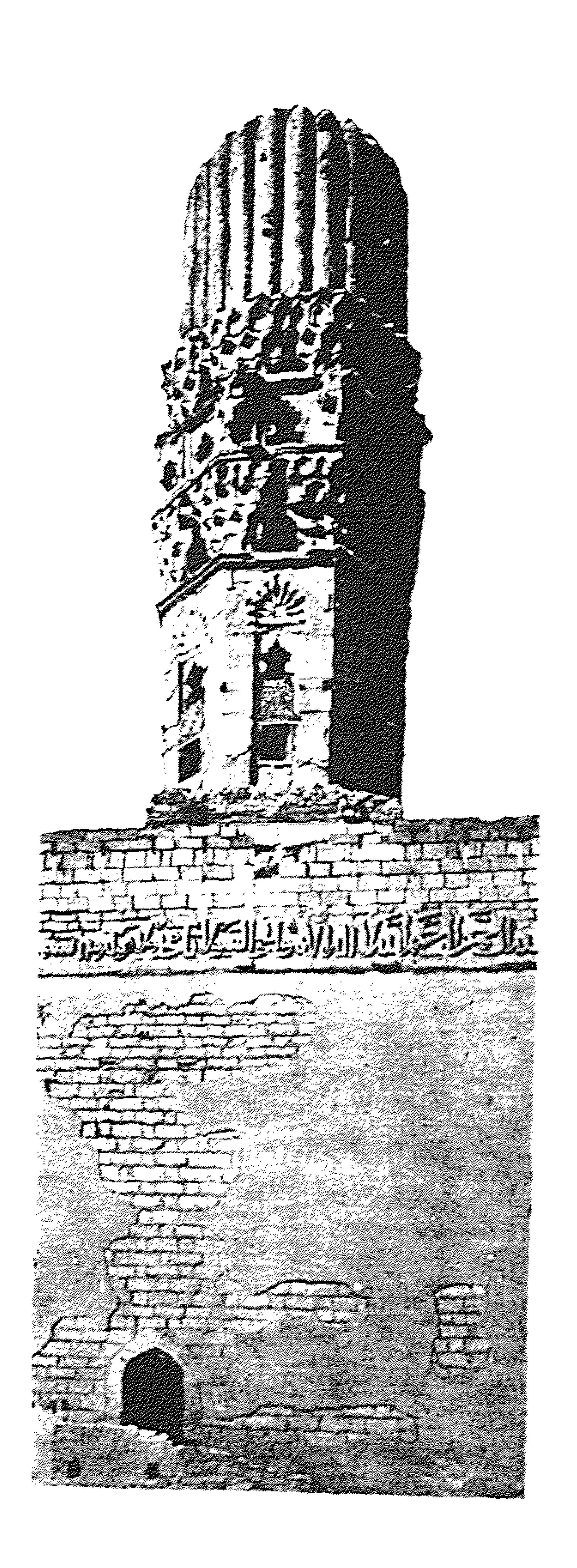


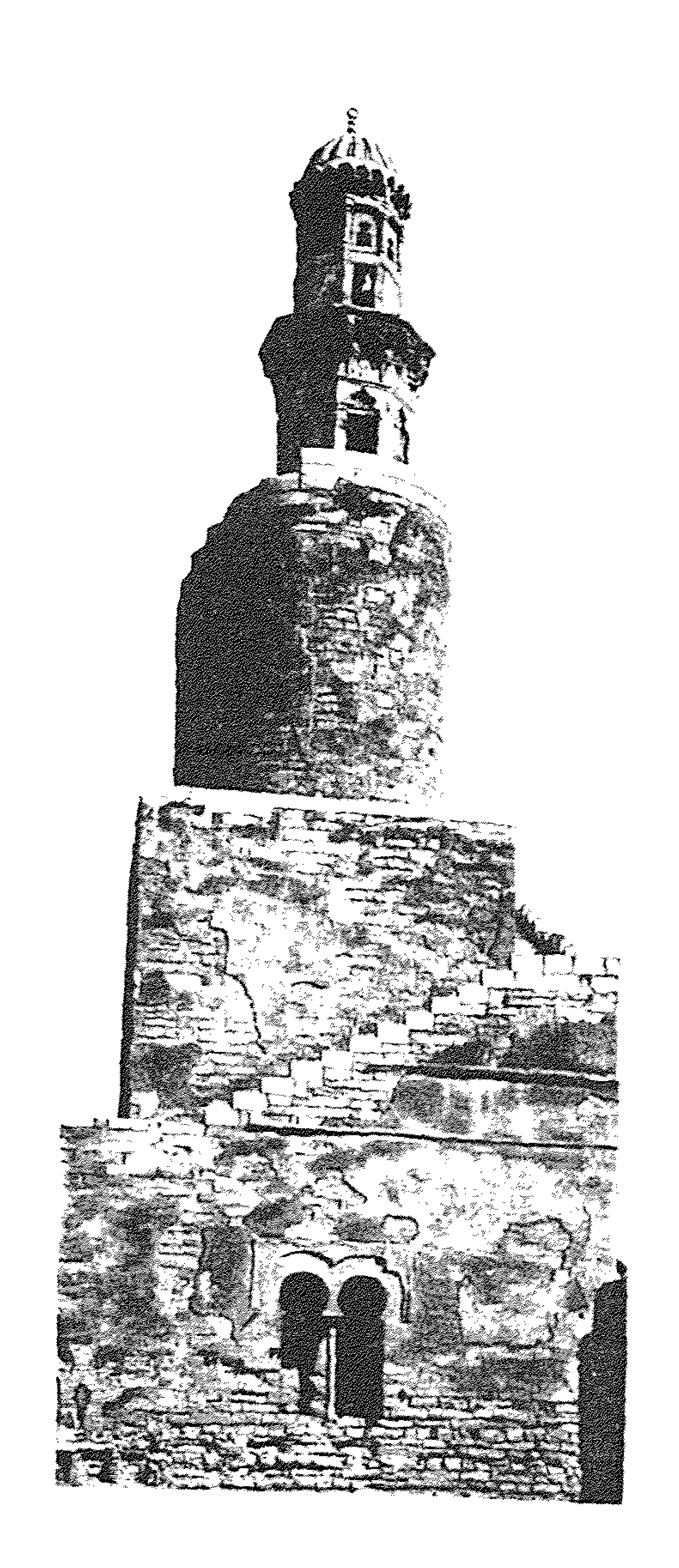
لوحة ٥٥ ـ مدخل أحد القصور الخاصة ـ القاهرة ـ (رسم ديفيد ١٨٣٩ م)



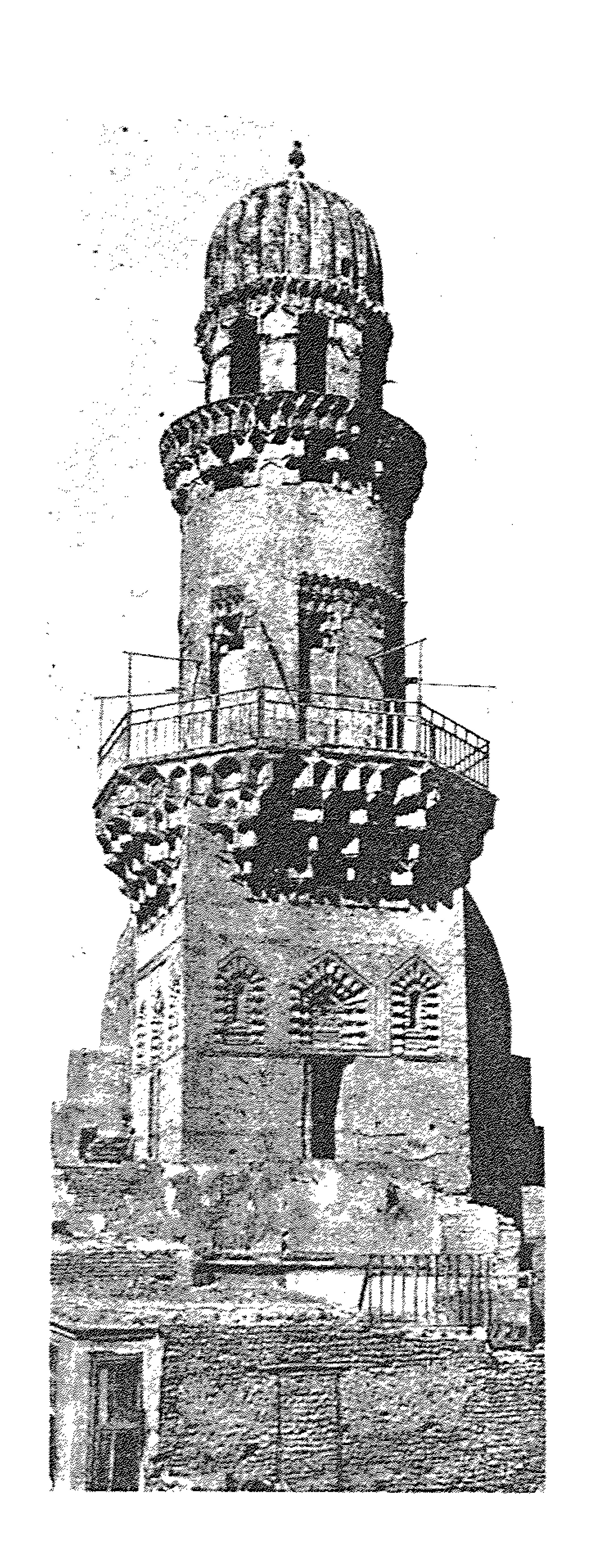
لوحة ٥٦ ـ القاهرة مسجد السلطان محمد بك

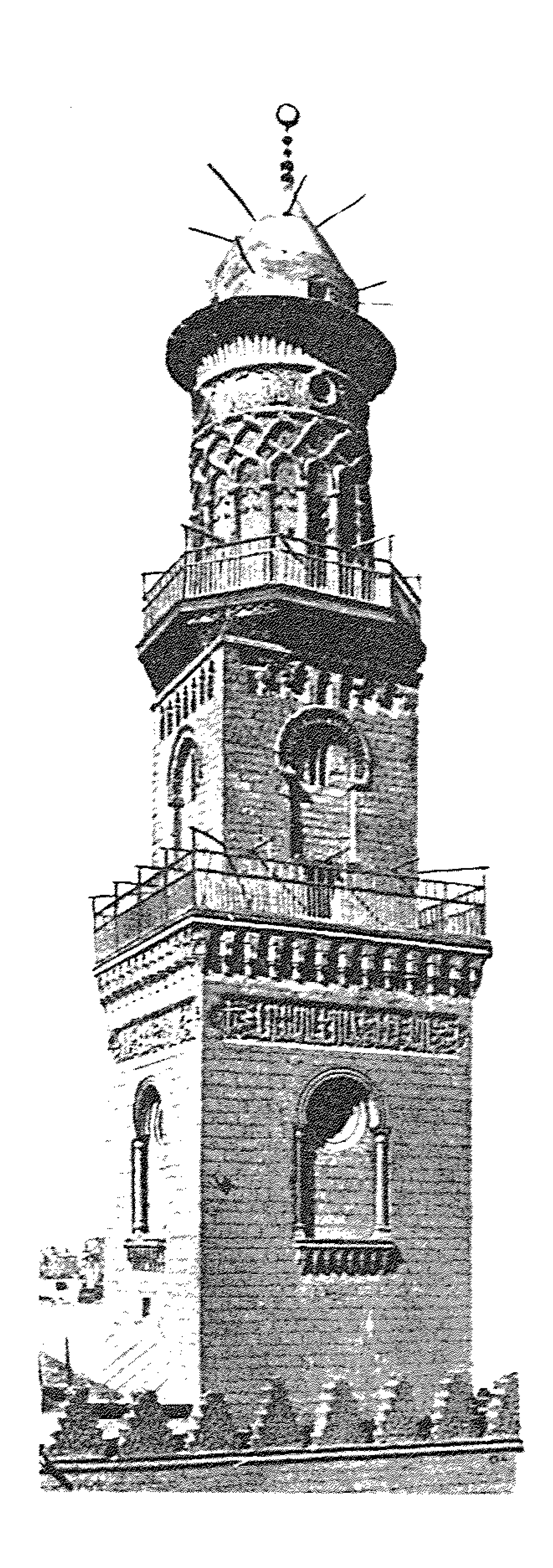


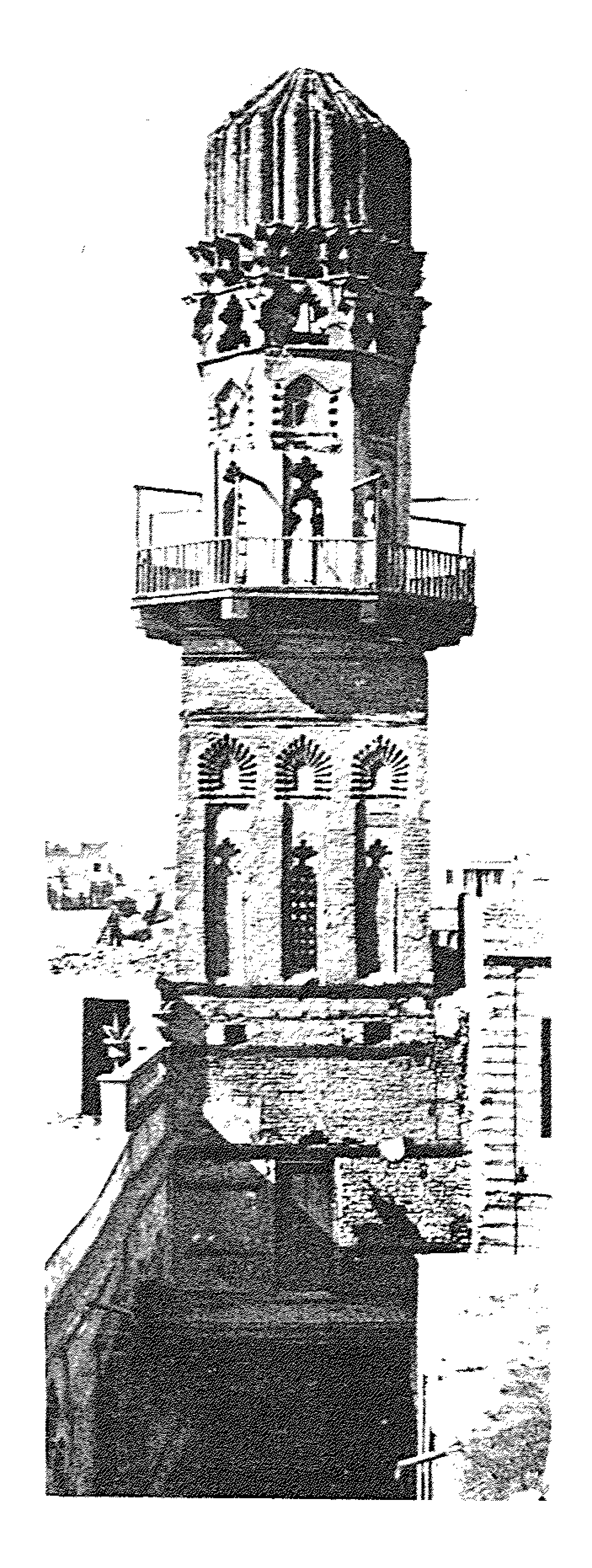




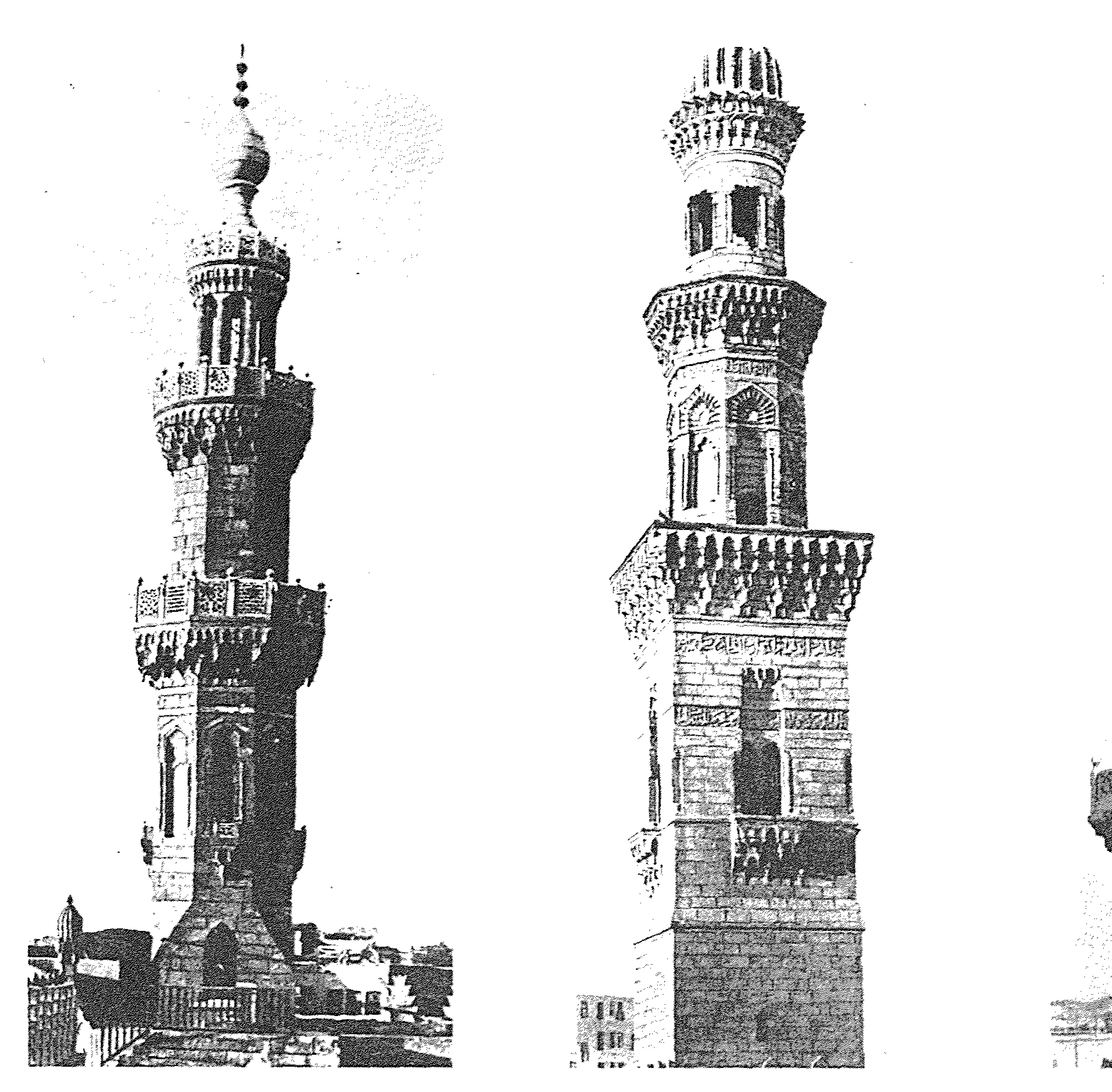
لوحة ٥٧ - جامع أحمد بن طولون / المئذنة - مساجد مصر ٢٦٣ - ٢٦٥ هـ / ٨٧٦ - ٨٧٩ م

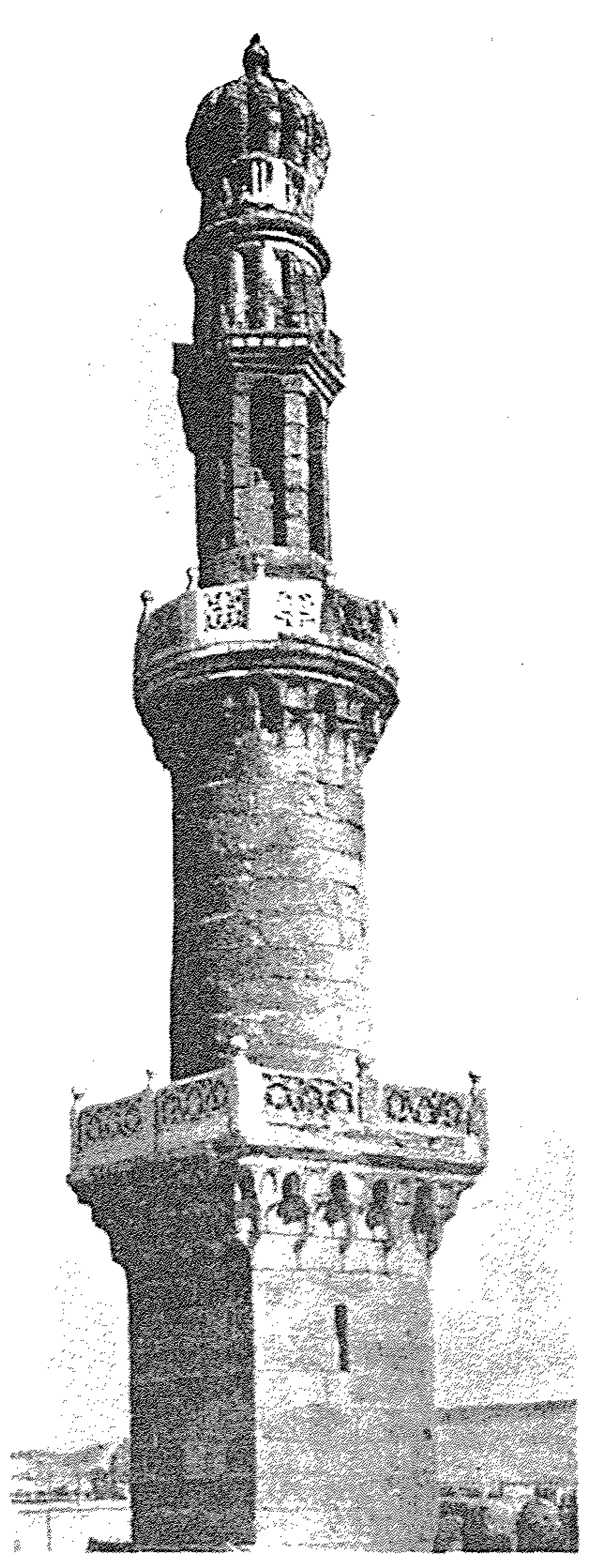




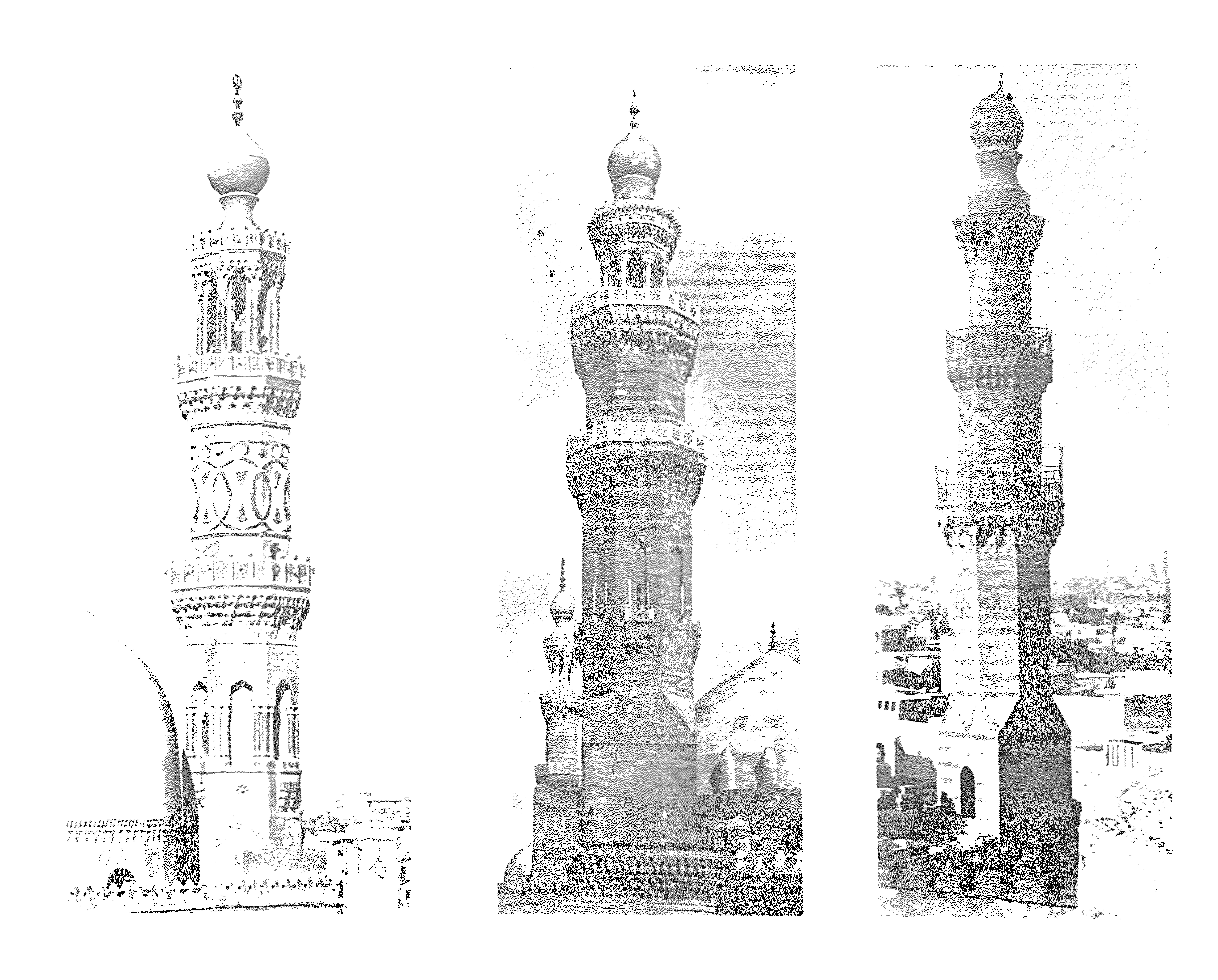


لوحة ٥٨ ـ مدرسة الصالح نجم الدين ـ المئذنة ـ مساجد مصر ـ ٦٤١ ـ ٦٤٨ هـ/ ١٢٤٣ ـ ١٢٥٠ م

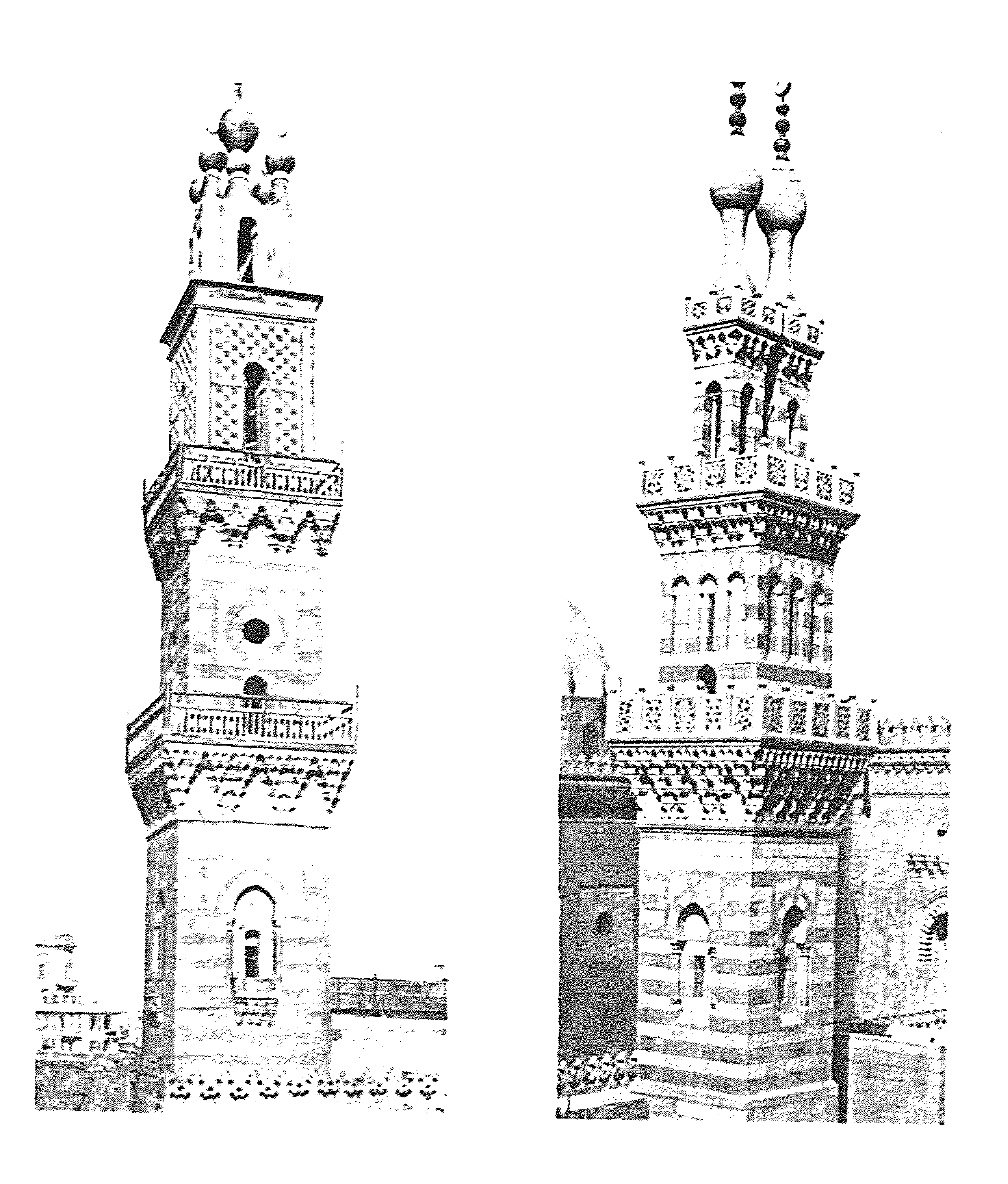




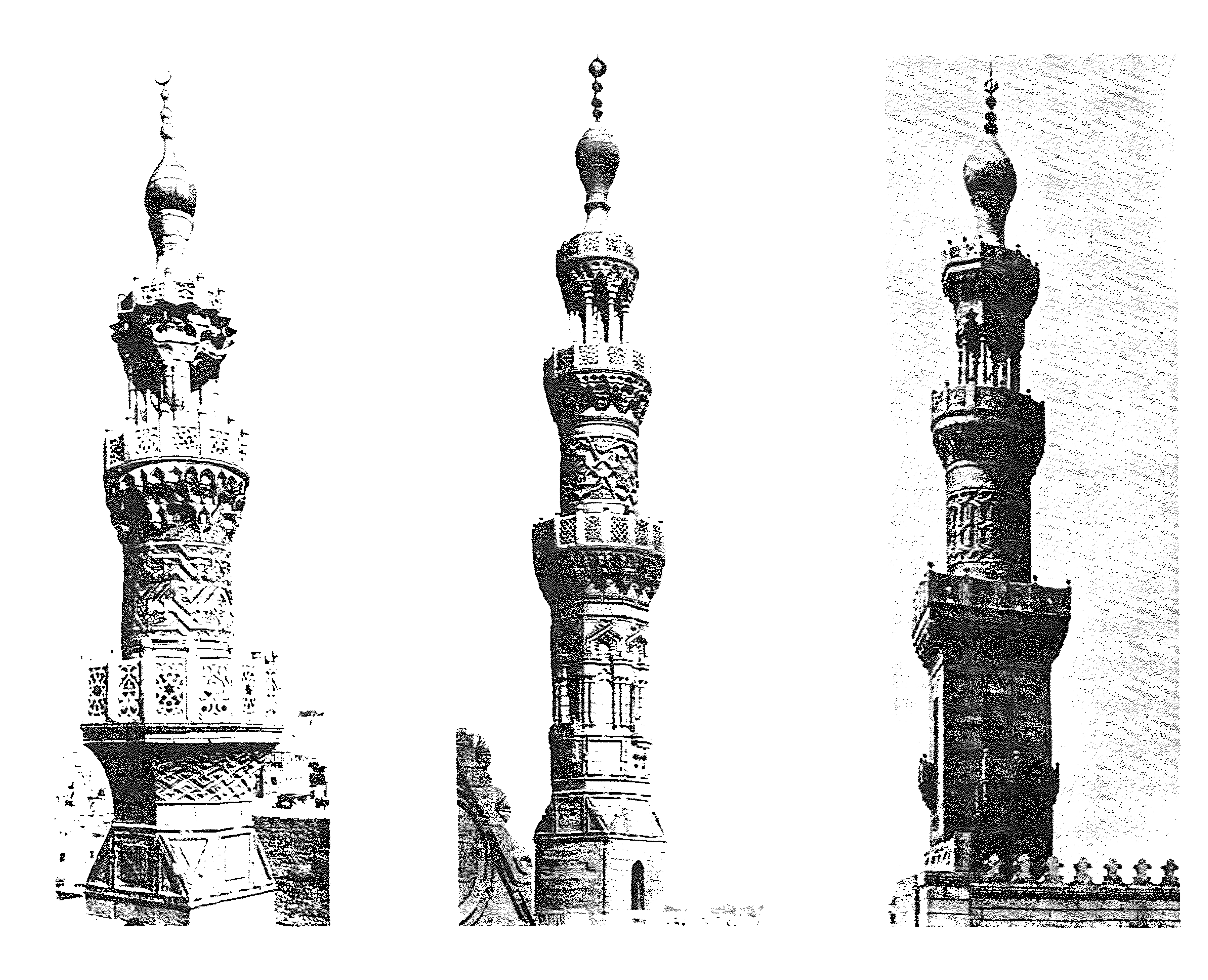
لوحة ٥٩ ـ مسجد الناصر محمد ـ المئذنة ـ مساجد مصر ٧٣٥ هـ / ١٣٢٥ م



لوحة ٦٠ - مدرسة صرغتمش - المئذنة - (مساجد مصر) ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م



لوحة ٦١ ـ مدرسة قايتباي أمير آخور ـ المئذنة ـ (مساجد مصر) ٩٠٨ هـ / ١٥٠٣ م



لوحة ٦٢ - خانقاة فرج بن برقوق - المئذنة - (مساجد مصر) ٨٠١ - ٨١٣ هـ / ١٣٩٩ - ١٤١١ م

تأصيل العمارة المصرية المحلية المعاصرة

- الإنسان والعمارة .
- البيئة والعمارة .
- المشاكل التي يواجهها الانسان المصري المعاصر .

وتتسائل نحن معماريو هذا العصر هل هذه الفراغات الحديثة المنبثقة هي فراغات ناجمة عن متطلبات مجتمع هذا العصر التطور الطبيعي للأشياء أو هي نابعة عن التطور الاجتماعي والثقافي والعلمي والظروف المحيطة التي يعيشها هذا المجتمع .

فمن المعترف به ، ومن قدرة الخالق ، وسمة الحياة استمرارية الحركة والتطور . وتتابع الفصول بين الربيع والصيف والشتاء والخريف والصيف ، وأن الصيف يختلف مظهره من عام إلى آخر ، وكذلك الفصول الأخرى ، والانسان نفسه من سماته الحركة المستمرة التي تنم عن الحياة ونهو الكائن البشري من سن الطفولة الى سن الشباب إلى سن الكهولة .

والإنسان على مر العصور يتغير في مظهره الخارجي، وتغيرت رؤ ياه لما هو محيط به إذ ليس من الضرورة الاستمرارية في الأشياء وسكون حركة نموها وتطورها بل على عكس ذلك لما كان هناك تطور مستمر موجباً أم سالباً فهو يبرهن على وجود الإنسان وبالتالي فإن الفراغات المتواجدة في العمارة المصرية المعاصرة هي نتيجة لهذا التطور وضرورة حتمية لهذه الفترة الزمنية ولا بد أنها تكون مختلفة عما سبقها لأن من طبيعة الشعب المصري قدرته على تصريف أموره تبعاً لظروفه المحيطة به لذلك كانت استمراريته خلال تلك القرون العديدة محافظاً على شخصيته المصرية قادراً على توفير البيئة التي تناسبه في كل عصر .

ويمكن أن نتفحص الشخصية المصرية للعمارة المصرية المعاصرة حيث نجد بالنسبة للنظرة العامة على مستوى القطر المصري أن هناك نوعية من العمارة هي :

(أ) عمارة الوادي (اقليم الوادي) .

(ب) عمارة الصحراء (اقليم الصحارى) .

ويمكن بالتالي تقسيمها إلى :

١ - (أ) عمارة المدن .

٢ - (أ) عمارة القرى .

١ - (ب) عمارة الواحات .

٢ - (ب) عمارة التجمعات الصحراوية .

المشاكل التي يواجهها الانسان المصري المعاصر

إذا نظرنا إلى تطور نمو السكان في مصر في القرن الحالي يتبين لنا أن عدد السكان في أوائل القرن الحالي كان قرابة تسعة ملايين نسمة ثم زاد إلى أن وصلوا اليوم إلى حوالي اثنين وأربعين مليوناً وهي زيادة تشير إلى خطورة حيث الانفجار السكاني وبالتالي لها بعض الأعباء الأقتصادية والاجتماعية على اقتصادنا القومي في مجموعة وعلى طريقة حياتنا .

ومصر تتميز بمعدل عال للمواليد فهو اثنان وثلاثون في الألف في السنة ويكاد يتمشى مع أعلى معدلات العالم النامي .

ومما لا شك فيه أن معدلات المواليد مرتبط بانخفاض المستوى المعيشي للأفراد ودخل الفرد ومصر بتعدادها البالغ أكثر من ٤٢ مليوناً اليوم لا تنعم بمستوى اقتصادي متقدم فهي لا تزال تكافح في رفع مستوى معيشة أبنائها .

والانسان هو ابن البيئة وابن الماضي والحاضر وهو ابن العادات والتقاليد ومهما حاول أن يتلخص منها فهي ما تزال كامنة في عقله ونفسيته .

البيئة المصرية وانطباعها على الانسان المصري

مما لا شك فيه أن الانسان منذ أن وجد على الأرض وهو في حركة مستمرة باحثاً عن الاستقرار وتكييف الطبيعة حوله لملائمة حاجاته الجسدية والروحانية والانسان بطبيعته محباً للجمال والابداع فشكل كل ما هو تحت يديه في قالب فني عن طريق الصورة أو الكلمة أو النغمة أو المجسمات .

ولقد كان الانسان محباً للطبيعة فهي مصدر الهامه وتكويناته حيث كانت الطبيعة تحيطه من كل جانب وليس بعيداً عنها كما هو في عالمنا المعاصر . حيث كانت لا توجد المدن المكدسة بالكتل البنائية ولا هذه الكثافات العالية من السكان التي نشأت بعد الثورة الصناعية العالمية .

كيف بدأت الكهوف والمغارات لسكن الانسان وكيف ظهرت العمارة الفرعونية لقد استلهمت أنماط بنائها من معالم البيئة المحيطة حولها وأوفت بمتطلبات المجتمع في ذلك الوقت .

لقد استقر في قلب وعقل المصري الذي تواجد على ضفاف نهر النيل الخصب الأخضر وحركة المياه المتدفقة في النيل القادمة من الجنوب صوب الشمال وحركة الهواء القادمة من الشمال إلى الجنوب واعتدال المناخ وصفاء السماء وكيف كان هذا المصري تضمه الأرض المنبسطة بقبتها السماوية الصافية ممثلة للكون الكبير العام الذي انطبع على فراغاته بتكوين كونه الصغير متمثلاً في الحوض المتصل بالكون الكبير فجاءت جميع أبنيته متصلة بهذا الكون الكبير عن طريق الأحواش وجاءت جميع رسوماته ونقوشاته متأثرة بهذه البيئة المحيطة ونابعة منها .

هذا الوادي الغناء من الأرض الخصبة وألوان المزروعات وثماره وأزهارها وطيور هذا الوادي وحيواناته قد ألهمت المصري وأذكت فكره ونشطت العلوم وأثر الفنان المصري فألهمته أن يحكيه فيما يبدع وأن يطبع به ما ينشيء لذلك جاء العمارات تحكي ما يقع عليه البصر في الأرض وما يمتد إليه الطرف في السماء فكانت تلك العمائر والفنون ظاهرة للعيان على أصالتها وقوة شخصيتها لأنها من مصدر البيئ وصانعها هذا الإنسان المحب للطبيعة الأليف في طباعة الهادىء في سلوكياته المرتبطة بمجتمعه مثل ترابطه مع أرضه وهو متشابك مع مجتمعه مثل تشابك الحقول على طول الوادي الصافي القلب والذهن مثل صفاء الطبيعة هادىء الخلق مثل هدوء سطح أرضه وهدوء نيله الدائم العطاء والخير ، الدائم النمو الفكري والفني مثل دوام نمو تربة الوادي من ترسبات طمي النيل كل عام . هذه البيئة هي المكونة لشخصية الإنسان المصري على مر العصور والنابعة فيه هذه الصفات على مر الأجيال ومن تلك الصفات التي تطبعت وشكلت هذا الإنسان المصري كان لا بد أن يكون انتاجه الفكري والفني نابعاً عن وعي وفكر قوي طبيعي دون الحاجة إلى بعثه لأنها مستمرة على طول العصر من عصر الأسرات وقبلها إلى وقتنا هذا ، فهو الإنسان المصري وهي البيئة لمصرية التي لا يستطيع أن يغير معالمها . وإذا كان هناك من فترات خاملة أو ليست في نفس القوة بالنسبة للفترات التي سبقتها فما هي إلا - فترات سكون سرعان ما تندفع من جديد لتحقق هذا الإطار الجميل وهذا ما هو مؤكد في التاريخ المصري .

لذلك يجب أن نتوقع الانتاج الجيد دائماً من هذا الانسان المصري وأن يكون الانتاج متمشياً مع واقعه وعصره .

ويجب أن لا ننسى العامل الأساسي في ذلك وهو تكامل الانسان المصري مع بيئته وتأثير البيئة عليه .

تأثير البيئة المصرية والانسان المصري
على العمارة على مر العصور

كما وضحنا أن هناك تكامل تام بين الانسان المصري وبيئته الذي انطبع على انتاجه في العمارة على مر العصور المختلفة .

أولاً : ما قبل القرن الرابع قبل الميلاد خلال حكم الاسرات وما قبله :

إن المطلع على الحضارة الفرعونية ليدرك كيف كانت للطبيعة والانسان من قدرة على تشكيل هذه الحضارة وتواجدها في هذه المنطقة من العالم .

كيف كان طول الوادي يشكل تكويناً موحداً وعضوياً بينه وبين ما عليه من مزروعات ومواقع عمرانية أو حضرية حيث كان هذا بمثابة وحدة واحدة كمدينة - واحدة كتكوين معماري موحد ربط بينه الخضرة وكيف كانت المقابر تقع غرب النيل وكيف كانت التجمعات السكنية شرق النيل استمر هذا قبل وطول حكم الاسرات .

كيف استطاع الانسان المصري بناء المعابد المتواجدة حتى الآن وكيف شيد وحفر المقابر حفاظاً على العظام ؟

كان من نتيجة الاستقرار والأمان أن تلاشت الأسوار حول المدن والقلاع وهي الحضارة القديمة ذات النظرة الأعم التي لا تقارن بها حضارة أخرى بعد ذلك .

لقد جاءت التكوينات المعمارية قوية التكوين حيث تسلسلها الكتلي من الأرض إلى أعلى (السماء) فجاءت الحوائط الخارجية مائلة مشكلة زاوية حادة مع الأرض مكونة الرسوخ والترابط بالأرض وصاعدة إلى السماء مثل الاهرامات - والبيلون والأعمدة بتيجانها والمصاطب والمنحدرات مثل الدير البحري .

لقد كانت الكتل راسخة مستقرة معبرة مثل رسوخ الطبيعة واستقرارها ومعبرة عن الاستمرارية والخلود تظهر فيها العبقرية الهندسية وأصول البناء والمقدرة في اختيار مواد البناء الملائمة .

لقد استطاع الانسان المصري أن يجد النسب المناسبة الملائمة لكل مبنى وتماشيها مع البيئة حيث قوة الاضاءة الشديدة والشمس القوية والأرض المنبسطة القاتمة اللون .

وإنه لمن المؤكد أن ما تم انجازه من مبان خلال تلك الفترة هو فريد من نوع بالنسبة للحضارات الأخرى المعاصرة لها (بين النهرين) أو التالية لها .

فلو نظرنا إلى المسلات هذه الكتلة التذكارية كيف أنها قوية صارخة مندفعة إلى أعلى كالسهم يشق الفضاء صاعداً إلى أعلى حيث السماء حيث الشمس والقمر والنجوم .

ولقد استمر هذا التأثير وهذه الشخصية القوية إلى ما بعد القرن الرابع قبل الميلاد أبان حكم البطالسة والرومان .

تأثير البيئة المصرية والانسان المصري
على العمارة على مر العصور

تأثير الانسان المصري والبيئة المصرية على عمارة القرن الرابع قبل الميلاد حتى القرن السابع الميلادي

مع فتوحات الاسكندر الأكبر لمصر وابان حكم البطالسة والرومان لم يتخل الانسان المصري عن بيئته وتكوينه الحضاري فهو انسان صاحب حضارة قوية في وجدانه وتكوينه توارثها جيل بعد جيل وشكلته بهذه الصورة .

انسان حضاري يستطيع أن يؤثر ويتقبل من غيره ما هو مفيد له قوى الارادة مرن الرؤية قادر على أخذ قراراته لأنه مثل هذه الاهرامات راسخ وثابت بحضارته يقف على أرض صلبة يستقبل الحضارات الأخرى عن فهم ووعي لذلك استطاعت عمارته أن تؤثر ويسير على خطاها الفاتحون فجاءت معابدهم ومبانيهم متماشية مع الأسلوب الفرعوني لأنه كان من الصعب أن يتم البناء وفقاً للنظم الاغريقية أو الرومانية لأنها لا تستطيع أن تجاري العمارة الفرعونية ولا تنافسها في بيئتها والدليل على ذلك أنه لم يستمر من المعابد من ذلك العصر البطلمي أو الروماني إلا ما كان تابعاً للعمارة الفرعونية مثل معابد الفيلة ـ ادفو ـ دندرة ـ اسنا ـ كوم أمبو .

كل هذه المعابد أنشئت على الأسس الهندسية والفنية والعقائدية المصرية .

إنه من المؤكد أن الشخصية المصرية بقواعدها القوية قد استطاعت أن تفرض نفسها على التكوينات المعمارية التي شيدت فيها خلال تلك الحقبة (المعابد ـ المسلات) .

مصر ما قبل القرن السابع الميلادي وبعده

إنه ليسير على من ينظر في تاريخ مصر قبل القرن السابع وبعده أن يلمس ما أصابها من جراء ذلك التحول فبدل علاقتها بالشعوب الأخرى وأثر في اتجاهاتها الروحية والاجتماعية والسياسية جميعاً . فمن المعروف أن مصر اتصلت بشعوب المشرق وشعوب المغرب منذ القدم . اتصلنا بشعوب آسيا القريبة بصلة وثيقة تحدثنا عنها قصص بني اسرائيل ووثائق تل العمارنة والحروب التي نشبت بين المصريين وما قام في تلك الأمصار من دول قوية كالهكسوس والأشوريين والفرس واتصلت مصر بالدويلات اليونانية عدة قرون قبل حرب طروادة ونحن نستطيع أن ـ نتصور مدى هذه الصلة مما يذكره كتاب اليونان القديمة عن علاقة مصر ببلادهم في ذلك الوقت وانحدار آلهتهم وكثير من الأبطال الذين ألفوا بذور حضارتهم منها ومما أصبح لا ينكره أصدقاء الثقافة اليونانية من الأثر المصري في الحضارة الاغريقية ومنه عبادة الويزيس التي قامت في اليونان كصورة من عبادة ايزيس وانتشرت منها في بلاد البحر المتوسط تحت البطالمة والرومان وقد اشتدت هذه الصلة بين نهاية القرن الثامن قبل الميلاد وفتوح الاسكندر الأكبر حين عمد الأغارقة إلى انشاء المستعمرات بمصر السفلى . إذ كانت هذه المستعمرات تقوم كأجزاء حية من العالم الاغريقي يشهد بها المصريون أحدث ثمار هذا العالم ويتصل الأغارقة بالحضارة المصرية ويقع الاختلاط الاجتماعي بين الشعبين فإلى هذا العهد يرجع تردد العلماء اليونانيين وقادتها على مصر . واقتراح أمراء المصريين على ندب رجال السيف من الأغارقة لجيوشهم كما فعل بسماتيك رأس الأسرة السادسة والعشرين واقبال الأغارقة على انشاء المعابد لايزيس ووضع القصص التي ترجع بنشأة آلهتهم إلى مصر كما فعل الرومان بعد ذلك إذا وضعوا القصص على نشأة آلهتهم في اليونان وقد أفلح الفرس في دخول مصر وقد كان الاسكندر متأثر

بالنفوذ الفارسي بحيث اتصل بصلة المصاهرة بالفرس وبيئة مشيعة أشد التشيع بالفكر الديني المصري فحمل طول حياته للفرس ونظمهم وشجاعتهم احتراماً عظيماً ومن ثم كان اعتناقة عبادة آمون . وقد كان حكم الأسرة العشرين موزعاً بين الأقاليم المستقلة فأخذت منطقة الدلتا تعيش في الجو الاغريقي الذي كان ينتشر حول البحر المتوسط واتصل الصعيد ببلاد النوبة اتصالاً شديداً .

وكان للدلتا اتصالاً شديداً بآسيا ومنطقة البحر المتوسط حيث صارت ـ الاسكندرية هي العاصمة حتى الفتح الاسلامي وكانت مصر هي أول الأمم التي حاولت أن تضم أطراف امبراطوريتها في دين واحد بثورة اخناتون الدينية .

وقد كانت مدن الدلتا تشترك في حياة المجتمع العالمي وقد أتسمت شعائر البلاط البطلمي بالطابع المصري اتساماً بارزاً وامتزاج الفن الأغريقي بالفن المصري في معابد العهد البطليمي كمعبد كو أمبو.

وقد أجمع المؤرخون الذين كتبوا في ذلك العصر (البطليمي) على القول بأن البطالمة لم يغيروا في حياة مصر شيئاً يذكر . وقد كان المصريون خلال العصر الروماني يذهبون الى روما كهنة وأطباء وصناعاً .

وقد قدم عمرو بن العاص مصر في القرن السابع وأهلها خليط من الروم والقبط والنوبة أي من الشعوب التي صهرتها المسيحية . وقد أقبلت القبائل العربية على مصر عقب الفتح في موجات متوالية فقدمها في العهد الأموي ١٢ قبيلة من قريش وقيس وجهينة و . . . وهبطتها في العهد الفاطمي قبائل أخرى من عرب الشام وأفريقيا الشمالية وكانت هناك صلة بينها وبين قبائل الجزيرة والشام وافريقيا الشمالية .

وقد لحق بهذين العاملين في نهاية العهد الفاطمي وعهد المماليك وبنى عثمان عامل ثالث هو اتساع الأراضي الصحراوية الزراعية وامدادات قبائل الصحراء المحيطة بمصر . وآثار الفتح العربي لمصر يظهر في أول مصري كتب عن مصر بعد الفتح العربي وهو ابن الحكم حتى نجدنا أمام مجتمع عربي بارز المعالم فأهل هذا المجتمع عرب وتفكيرهم عربي وتقاليدهم عربية وليس في عروبة من ليس منهم من أصل عربي كابن عبدالحكم نفسه أي تكلف أو زيف . ومصر ابن عبدالحكم ذاتها مصر سامية عربية منذ أن كانت الخليفة وليس في تاريخها الطويل ما يستحق أن يذكر سوى قصص ابراهيم واسماعيل معاصري ابن عبدالحكم المسلمين جميعاً من علماء أو غير علماء وظل إلى رأي من كتب بعدهم حتى الجبرتي لأنهم ربوا عليه وربي عليه كل من نشأ في مصر من أصل عربي أو مصري ما دام مسلماً .

وهكذا تغيرت مصر تغييراً عميقاً شاملاً بعد الفتح العربي عما كانت عليه من قبله فصار أبناؤها يفكرون بالعربية بعد أن كانوا يفكرون بالـ (هيروغلوفية) أو الاغريقية ويشعرون شعوراً اسلامياً لا (فرعونياً) أو مسيحياً ويتنفسون في جو آسيا المغولية بعد أن كانوا يتنفسون في جو البحر المتوسط . وهناك من يقول بأن المصريين لم يتغيروا قط وأن الذي تغير وتمصر هو من هبط عليهم من الخارج وبين هؤلاء الدكتور طه حسين وبدون شك أن من قدم مصر من الشعوب الأخرى المختلفة تأثر بفعل شمسها ونيلها وماضيها ، كما تأثر الاغراب في كل بلد يهبطونه إن اختلفت مناخه عن مناخ بلادهم وكانت له حضارة تختلف عن حضارتهم وتفضلها .

٣ ـ تأثير البيئة المصرية والانسان المصري على العمارة الاسلامية بمصر من القرن السابع الميلادي حتى القرن الثامن عشر ومن الفتح الاسلامي حتى نهاية عصر المماليك :

دخل العرب مصر عن طريق الصحراء الشرقية وكان الاستقرار والتوطن أول أمره شرق النيل في نقطة مركزية في واديه عندما يتفرع النيل إلى فرعين في نقطة تلاقي الحركة بين دلتا النيل ومجراه بين مصر السفلى والعليا .

كانت الحضارة المصرية وهذه البقعة بما تحتويه مادياً وانسانياً بصفات متميزة كانت محط أنظار كل المحيطين بها ، ولما كانت هناك صلات وحركة مستمرة بين الوادي والاتجاه الشرقي الجزيرة العربية طوال العصور قبل الفتح الاسلامي هذه العلاقات كانت عاملاً للتفاهم والتلاقي في الرؤية والعقيدة الدينية الاسلامية هذا التفاهم ساعد على اعتناق المصريين للدين الاسلامي وتقبله بصدر رحب لأنهم أصحاب حضارة

واصحاب فكرة التوحيد في بدايتها وأصحاب منطق وعقل متفتح لأنهم استطاعوا قبل ذلك هضم الحضارات التي مرت عليهم واستفادوا منها وأفادوا تلك الحضارات بما لديهم من حضارة فهذه الحضارات الاغريقية والرومانية استوعبوها وهذه الاسكندرية شاهدة على هذا المعنى حيث كانت مصر للفكر والثقافة والعلوم وكذلك كانوا بالنسبة لدعوة الدين المسيحي حيث كانوا أصحاب دعوة له ونشره لا اعتناقه فقط هكذا هم المصريون متقبلون كل ماهو جديد قادرون على أن يخرجوا إلى الوجود كل ما هو مفيد ونافع ومتساير مع متطلبات الحياة فبعد مباني المعابد المصرية نجد المباني الاغريقية والرومانية من مسارح وجمنزيوم وحمامات وطرقاً وميادين عامة ، أجوراً وفورم ، وهذه الكنائس والأديرة أوجدها ذلك المصري بايمان بما يعتقده وبوضوح بما يحمله من فكر وثقافة وشخصية قوية قادرة على الاندماج والتفاعل مع بيئتها . إذا كان هذا الانسان قد أوجد كل ذلك في هذه العصور فهو بالتالي قد تفاعل مع الدعوة الاسلامية عند حضورها إلى مصر وكان من أقدر الشعوب على التقبل والايمان بأركان الاسلام واعتناقه لأنهم أصحاب عقل وتجارب وأصالة . لذلك قامت في مصر حضارة اسلامية قوية كانت دعامة من دعائم الاسلام وجزء لا يستهان به من أجزاء الأمة الاسلامية .

استقت حضارة العرب في مصر من نفس الينبوع الذي استقت منه حضارتهم في سوريا والعراق وقامت حضارتهم في مصر بعناصر اقتبسوها من البيزنطيين على الخصوص على أساس أنها آخر حضارة مرت بهذه المناطق ودلت مباني العرب الأولى في مصر على ذلك المصدر ولم يلبث العرب أن تحرروا من المؤثرات الأجنبية كما تدل عليه مبانيهم التي أقيمت بعد الزمن الأول .

وإذا كانت المؤثرات الأولى للحضارة الاسلامية مصدرها التراث البيزنطي فإنها بعد ما تبحثت وتعمقت في الحضارات التي ورثوها توصلوا إلى مصادر الحضارة وتفاعلوا مع أهل البلاد وصار لا فرقاً بين المسلم المصري أو المسلم العربي لذلك نجد بعد ذلك تأثيرات التراث الفرعوني على العمارة الاسلامية المصرية هذه المسلات وعلاقتها بالمآذن وهذا المحراب وعلاقته بالعتبة الأبدية في المعبد الفرعوني القديم وذلك التغير للواجهات والتشكيل للحوائط وكيف احتوى قصر ابن طولون على البحيرات والتماثيل كما كان بالمعابد والقصور الفرعونية . لقد كان للانسان المصري الفضل الكبير في الانشاء والتشييد ونقل الحضارات وتلك البيئة التي أمدت الانسان بمواد الانشاء حيث توفرت المواد الطبيعية كالأحجار التي استخدمت في المباني والأسوار بجانب الطمي الذي تم تصنيعه في قوالب وعمل الطوب واستخدم في الانشاء .

ولقد وجه المعماري المسلم جدران المسجد نحو الكعبة كذلك وضع قبله أو محراباً في الجدار المقابل لاتجاه الكعبة على شكل حنية تعلوها قبة . وشكل هذا المحراب وفكرته الرمزية يذكرنا (بعتبة الأبدية) التي أقامها المصريون القدامى في مقابرهم كي تنفذ الروح منها إلى العالم الأبدي .

وفي البدء عندما كان الجامع مسطحاً من الأرض مسوراً غير مسقوف لم يكن ثم ما يحجب نظرة المصلين إلى السماء حتى إذا تطلب الأمر تغطية مكان الصلاة في الجامع اتقاء حرارة الشمس وتقلبات العوامل الجوية ، حرص المعماري على أن تكون نظرة المسلم إلى السماء غير محجوبة ، فشطر المسطح شطرين أحدهما مسقوف للصلاة والآخر مكشوف هو الصحن . ولكي يعوض المصلى احساس المصلي بعدم الانفصال عن السماء جعل حوافي أسطح جدران الصحن بعرائض أو شرفات متجاورة تتجه رؤوسها إلى أعلى موحياً ارتباط الأرض بالسماء أو بتلاصق المسلمين سواسية كأسنان المشط أمام الله .

وحقق المعماري المسلم فكرة الاتجاه إلى أعلى بطريقة درامية في ابتكاره للمئذنة للدعوة إلى الصلاة وعلامة مميزة لوجود مكان العبادة بعد ما كثرت المباني المحيطة بالمسجد .

ويكاد تصميم المآذنة أن يكون نحتاً اخضعت فيه التقنية الانشائية للتعبير الفني المعماري الذي يهدف إلى الصعود والتسامي .

ولقد كان من الطبيعي للمئذنة نظراً لبروزها ووظيفتها الشعائرية أن تظفر برعاية اسلامية خاصة حتى غدت رمزاً للاسلام .

وتقع المأذنة عادة في موقع يشكل مع القبة تكويناً جمالياً .

لقد كان جدران البيوت تغطى بألواح القيشاني المطلي أو بالبلاط الكلسي الرخامي المزين بالزخارف الزاهية والنقوش العربية وكانت أرض تلك القصور تفرش بالفسيفساء أو البسط الموشاة وكل أثاثها يصنع من الخشب الثمين المرصع بالصدف أو العاج تلك كانت الحال بقاهرة الفاطميين وهذا تأثير بدون شك قادم من شمال افريقيا من التأثيرات الأندليسية وهذا يعطي صورة أن الفترات الزمنية التي مرت على مصر حتى العصر الاسلامي قد حملت ألواناً من العناصر والتأثيرات الخارجية القادمة من خارج مصر وقد تقبلها واستفاد منها مثل التأثيرات الفارسية أو بين النهرين خلال حكم أحمد بن طولون والتأثيرات الاسيوية كل ما هو شرق فارس خلال فترات حكم المماليك لمصر وكذلك التأثيرات التركية خلال حكم العثمانيين .

والشاهد على ذلك مسجد أحمد بن طولون ـ قصر خماروية بن طولون سنة (٢٧١ هـ ـ ٨٨٤ م) .

والناظر إلى القاهرة من بعيد يراها ذات طابع شرقي يستوقف النظر أي يراها ذات طابع لا يشاهد مثله في أي مدينة أخرى فهي مؤلفة من بيوت ذات لون أبيض ذوات سقوف مستوية يشرف عليها مئات من المآذن الهيف منفصلة عن النخل ارتفاعاً وتسخر القاهرة ممن ينظر إليها من أعلى القلعة .

وشوارع القاهرة ضيقة ملتوية غير منتظمة كشوارع كل مدينة شرقية وتكاد أطناف نوافذ البيوت في أحياء مصر القديمة على الخصوص تماس والحكمة في ضيق تلك الشوارع هي الاستكثار من الظل واستبقاء الرطوبة ومن يقطع شوارع القاهرة وميادينها الكبيرة التي أنشأت على النمط الأوروبي تحت وهج الشمس يعلم سر تفضيل الناس في مثل ذلك الجو للشوارع الضيقة المملوءة بالظل على الشوارع الواسعة التي تلهبها نار الشمس على الدوام .

إن الدارس لمباني القاهرة الاسلامية يستدل على تطور فن العمارة في جميع أدوارها وتعتبر مساجد القاهرة خير مقياس ، لذلك فالقاهرة تحتوي على الأقل على أربعمائة مسجد .

جامع عمرو بن العاص (٢١ هـ - ٦٤٢ م) :

وهو من أقدم مساجد المسلمين .

وهو مثال المساجد الأولى حيث البساطة ويتكون المسجد من ساحة مستطيلة محاطة بأورقة واسعة ذات سقوف مستندة إلى صفوف كثيرة من الأعمدة ويخصص أكبر هذه الأروقة الأربعة مكاناً للعبادة ويقع في وسط هذه الساحة بركة الوضوء وتقوم على أركان المسجد أبراج مرتفعة تسمى مآذن . والمساجد الأولى كانت أماكن للعبادة ومنازل للمسافرين أيضاً . وتنعدم النقوش في هذا الجامع حيث البساطة .

جامع بن طولون (٢٤٣ هـ - ٨٧٦ م) :

قام الجامع على الطراز البسيط وإن كان أكثر زخرفة من جامع عمرو بن العاص مكون من ساحة مربعة تحيط به الأقواس من كل جانب والأعمدة ذات تيجان منقوشة على الطراز البيزنطي . والسقف مصنوع من الخشب كما في جامع عمرو بن العاص ولا ترى فيه زخارف ونقوش متدلية وهـذا المسجد يبشر بظهور فن الزينة العربي . حيث - توجد النقوش والرسومات للخطوط الكوفية وقد بني الجامع من الأجر المكسو بملاط من الكلس والرخام وصنعت نقوشه وزخارفه من هذا الملاط أيضاً .

الجامع الأزهر (٣٥٩ هـ - ٩٧٠ م) :

الجامع الأزهر أرقى زخرفاً من جامع بن طولون ولكن يجب أن نذكر أن كثيراً من دقائقه تم بعد انشائه بزمن طويل ، ويتمتع الجامع الأزهر الذي بدأ بعمله كجامعة منذ سنة ٣٧٥ هـ بشهرة واسعة بين المساجد الاسلامية .

جامع قلاوون (٦٨٣ هـ - ١٢٨٣ م) :

وهو مثال لما كاد يبلغه فن العمارة في أرقى أدواره حيث المدخل الضخم للمسجد الذي يزيد المدخل زخرفاً وزينة والذي يرى فيه كثيـر من الحنايات المتداخلة المرتكزة على أعمدة صغيرة متفاوتة .

جامع السلطان حسن (٧٥٧ هـ - ١٣٥٦ م) :

وهو مثال لأنضر أدوار العمارة الاسلامية وهو أجمل مباني القاهرة حيث تظهر سعة الجامع وعظمته . بنيت جدرانه من الحجارة المنحوتة خلافاً للمساجد القديمة التي بنيت من الآجر وهو قائم على نظام مختلف حيث الفناء الأوسط والساحات المحيطة به وتقام الصلاة في أكبر أبهائه ذي القبة ويشمل البهو الكبير على المحراب ومنبر الوعظ .

جامع برقوق (٧٨٤ هـ - ١٣٨٤ م) :

بني هذا الجامع من مداميك حجرية بيضاء وحمراء وهو من المباني التي نسميها مزارات الخلفاء وتعبر مأذنته مع مأذنة جامع قايتباي أحسن تعبير عن المآذن الإسلامية ويشتمل الجامع على منبر من الرخام المنقوش .

جامع المؤيد (٨١٨ هـ - ١٤١٥ م) :

عد من أغنى مساجد القاهرة من حيث الزخارف .

جامع قايتباي (٨٧٢ هـ - ١٤٦٨ م) :

حيث قبته المكسوة بالزينة الإسلامية البارزة النقوش وبمأذنته الرائعة المثلثة الطبقات .

المساجد التركية :

أن المساجد المبنية في أوائل القرن السادس عشر لا تكاد تذكر بجانب ما ذكر من المساجد المبنية الأزمنة السابقة لها حيث حدثت هوة عميقة بين الذوق المصري الاسلامي والذوق التركي ولا يوجد غير مسجد محمد علي الضخم .

فلقد استطاع العرب مع اخوانهم المصريين من ابتداع طراز عمارة جديدة ولكن الأتراك لم يكونوا أهلاً للانتفاع بمواهب أساتذة الفن وأمثلته والذين لم يروا حين أرادوا انشاء جامع في القاهرة غير نسخ عمارة أيا صوفيا الثقيلة التي كانت كنيسة بيزنطية والتي هي عنوان مرحلة فنية جاوزها المصريون منذ زمن طويل فعند تلك المرحلة توقف الترك ولم يستطيعوا تجاوزها.

بجانب تلك المساجد خلال تلك الفترة يمكن أن نشير إلى أبواب المدينة والقلاع بئر يوسف الخ . . . إن من أهم الأبواب في القاهرة باب النصر وباب الفتوح في القرن الحادي عشر ومن القلاع قلعة صلاح الدين في القرن الثاني عشر .

تأثير البيئة المصرية والانسان المصري على العمارة المصرية خلال القرن التاسع والقرن العشرين :

بعد وصول العثمانيين إلى حكم مصر عام ١٥٢٠ انتهى على أثره حكم المماليك وتمكن محمد علي من التربع على عرش مصر وطرد المماليك كلية عام ١٨٠٢، ومع بداية حكم محمد علي يمكن أن يقال أن النظرة إلى حل مشاكل مصر بدأ يتجه إلى شمال البحر الأبيض المتوسط بدلاً من الشرق وبدأ ينظر إلى شمال المتوسط بأنه مصدر التطور الحضاري وأنه ليس مفيداً النظر محلياً فقط إلى بعث التطور ومسايرة الحضارة الغربية التي بدأت فوائدها تظهر بقوة في محيطها .

عصر محمد علي :

ولما كان محمد علي قادماً من البحر المتوسط برؤية جديدة وأمل جديد أتيح لمصر هذه البيئة وهذا المجتمع القادر أن يشق مرة أخرى طريقه إلى حضارة متماشية مع حضارة الغرب .

لقد بدأت أسس جديدة للزراعة حيث تعتبر ثورة زراعية في مصر صاحبتها ثورة في طرق المواصلات والاتصالات وقامت الثورة الصناعة ولكي يحدث كل ذلك كان لا بد من اليقظة والحض على الاستفادة من التطور الغربي عبر البحر المتوسط وخاصة فرنسا وانجلترا . فمن حسنات عهد محمد علي إحياؤه العلوم والآداب والفنون في مصر وذلك بنشر المدارس على اختلاف درجاتها وارسال البعثات العلمية إلى أوروبا وإن اقتبس النظم الأوروبية الحديثة في نشر العلم والعرفان والفنون فأخذ من الحضارة الأوروبية الحديثة خير ما أنتجته العلوم والفنون فنهض بالأفكار والعلوم في مصر نهضة كبرى كانت أساس تقدم مصر العلمي الحديث .

إن أول ما فكر فيه محمد علي من بين المدارس العليا مدرسة الهندسة لحاجة البلاد إلى العمران فبدأ بتعليم الهندسة حيث بدأت أول مدرسة هندسية (١٨١٦ م) وكان التعليم فيها مجانياً ويفهم من نشأة هذه المدرسة أنه راجع إلى ما ظهر من المصريين من المواهب في الكفاءة والأبتكار . ويفهم من رواية الجبرتي بأن المدرسة كان بها مدرسون أجانب ولم يكتف بالمدرسة العليا للهندسة بالقلعة بل إن محمد علي انشأ مدرسة أخرى ببولاق (١٨٤٣ م) للهندسة .

ويؤخذ من هذا الكلام أن فن العمارة والعمران بدأ من بداية القرن التاسع عشر ينظر إليه على أنه لابد له أن يستند إلى سند علمي مثل ما هو موجود في الدول المتقدمة

الأوروبية أي من حوالي مائتي عام والعلوم الهندسية متواجدة لفائدة العمران فهذه أيضاً مدرسة الفنون والصنائع تقام عام (١٨٣٩ م) إلى جانب المدسة التجهيزية بالاسكندرية .

وبالاضافة إلى الثورة التعليمية والتكنية في الحياة المصرية في بداية القرن التاسع عشر أرسل محمد علي البعثات العلمية التي كان لها دور كبير في تكوين فئة كبيرة من ـ المثقفين المصريين على أحدث ثقافة أوروبية حيث استطاع محمد علي أن ينقل إلى مصر معارف أوروبا وخبرة علمائها ومهندسيها ورجال الحرب والفنون فيها وأراد لمصر أن تضارع أوروبا في مضمار التقدم العلمي والاجتماعي فأرسل إلى ايطاليا الطلبة المصريين لتعلم الهندسة والفنون مع بداية عام (١٨١٣ م) وكذلك أرسل التلاميذ الى انجلترا وفرنسا.

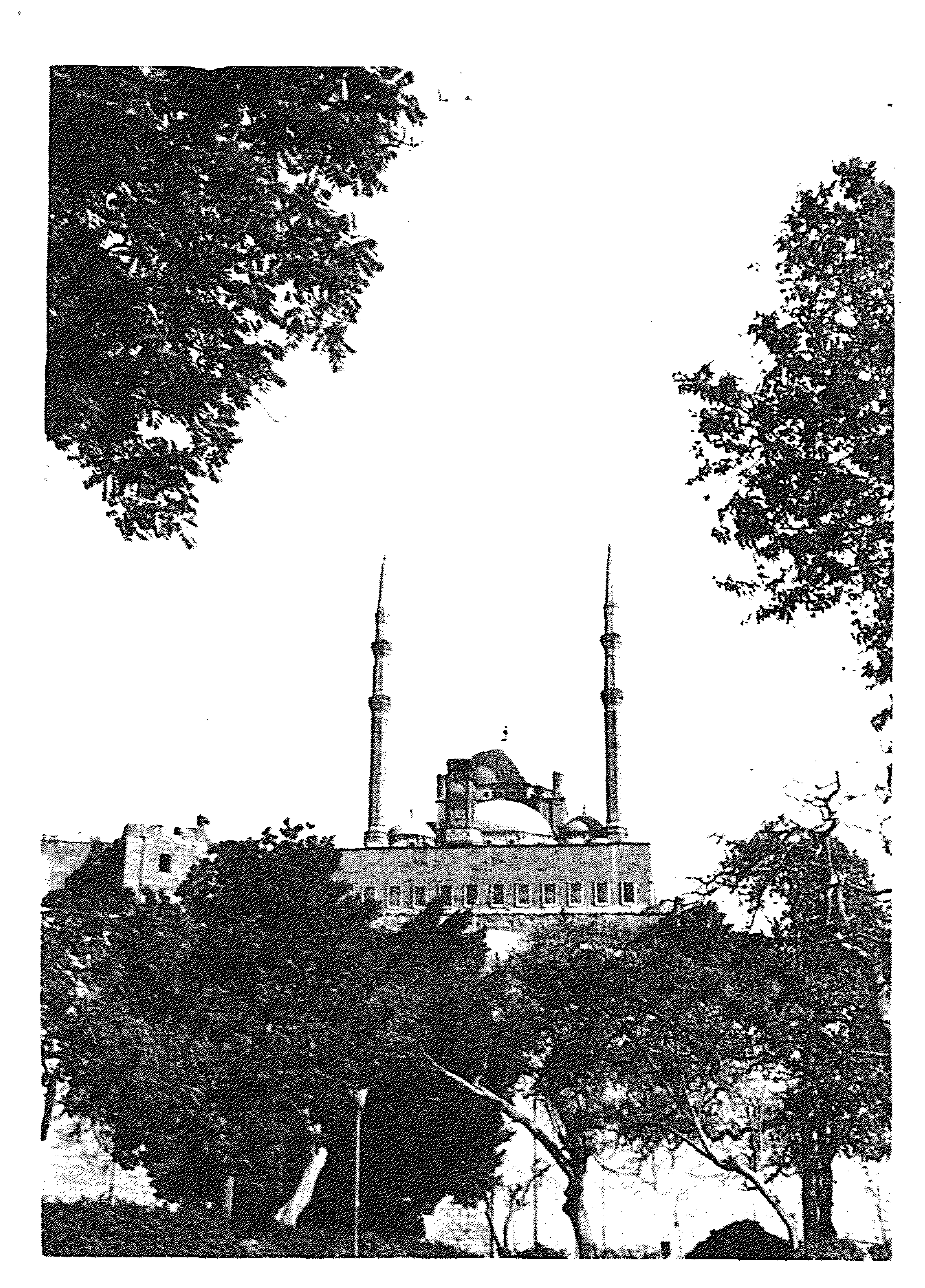
كان من نتيجة البعثات المصرية إلى الدول الأوروبية أن نقل رجال البعثات المصرية عند عودتهم لمصر رؤيتهم للحضارة الأوروبية فقامت حركة تعريب كبيرة للعلوم الأوروبية وفنونها واسترضخت رؤيتهم للمدن والعمارة (العمران) والتحضر في المدن الأوروبية .

وها هو رفاعة الطهطاوي أحد أعضاء البعثات إلى أوروبا وما نادى به من فكر وعلم وكذلك مصطفى بهجت باشا الذي مكث في باريس عشر سنوات لتعلم الهندسة والفنون وكيف اشترك مع المهندس الفرنسي في وضع تصميم وبناء القناطر الخيرية وعهد إليه عباس باشا بوضع التصميم لتجديد الجامع الأحمدي بطنطا فقام بها إلى أن تم بناؤه في عهد اسماعيل وباشر انشاء السكة الحديدية من بنها إلى كفر الزيات (١٨٠٧ م) فمنذ ذلك العهد بدأت الأعمال تسند إلى المهندسين لوضع الخرائط والتفاصيل وبدأت ـ تظهر فكرة المهندس على النظام الحديث ويعتبر مصطفى بك فهمي من كبار المهندسين في تاريخ مصر الحديث .

وهذا محمد مظهر باشا من تلاميذ البعثة الأولى إلى فرنسا وهو الذي بنى فنار الاسكندرية الكبير القائم بطرف شبه الجزيرة برأس التين . واشترك في بناء القناطر الخيرية وقناطر رشيد ، وهذا ابراهيم رضمان بك الذي وضع كتاب (القانون الرياضي في فن تقسيم الأراضي) طبع بمطبعة بولاق عام (١٨٤٤ م) وهذا حسن بك نور الدين مخطط السكك الحديدية ومنها أنه رسم سكة حديد الفيوم ودسوق والصالحية في مكان تخصصه خلال بعثته في فرنسا لدراسة الأعمال الهندسية في المدن والأقاليم والتطور كالقناطر والموانىء والسكك الحديدية والمصانع . ولم تتوقف بعثات المصريين إلى أوروبا بل إلى أمريكا أيضاً والمكسيك حيث زيارة مناجم الذهب بها (أحمد يوسف أفندي) .

ولقد نالت الفنون الجميلة الحظ الوفير من البعثات إلى فرنسا وايطاليا حيث دراسة الرسم والزخرفة والفنون الجميلة .

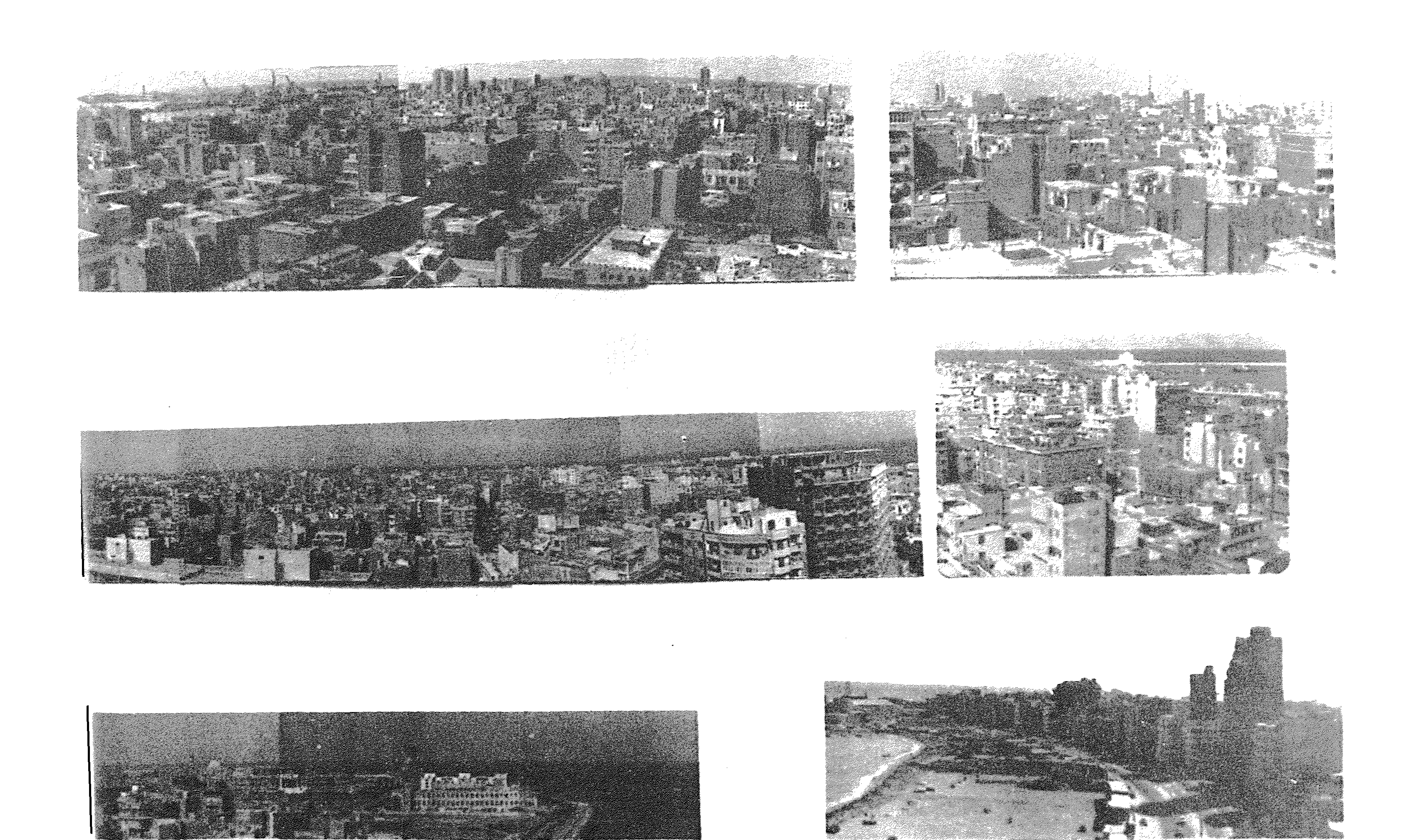
فهذا حسين باشا فهمي المعمار كان من تلاميذ البعثة الخامسة ونبغ في فنون الهندسة والرسم والزخرفة وتولى ديوان الأوقاف وهو واضع تصميم مسجد الرفاعي بالقاهرة .



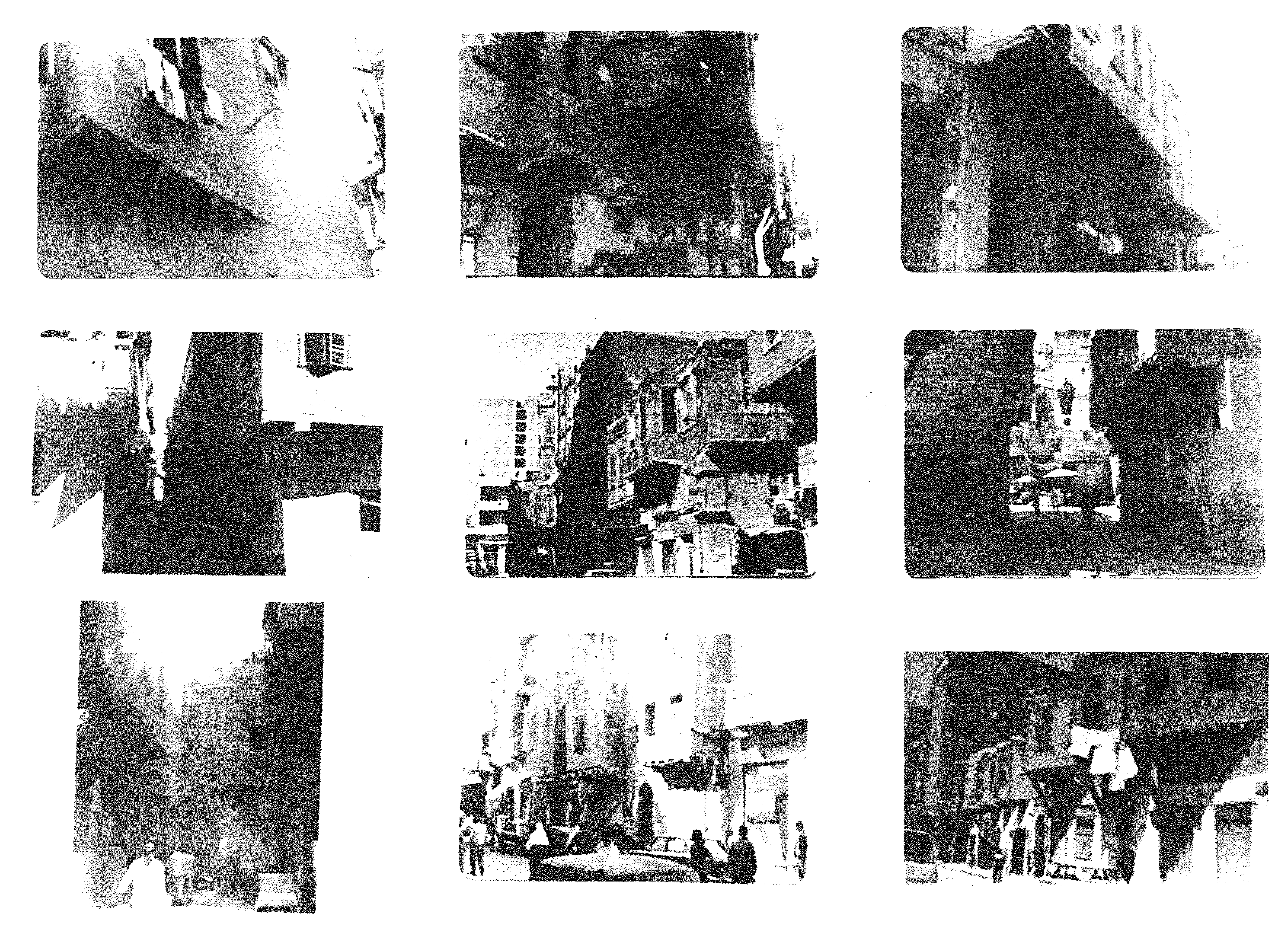
لوحة ٦٣ ـ القاهرة ـ جامع محمد علي باشا ـ القلعة



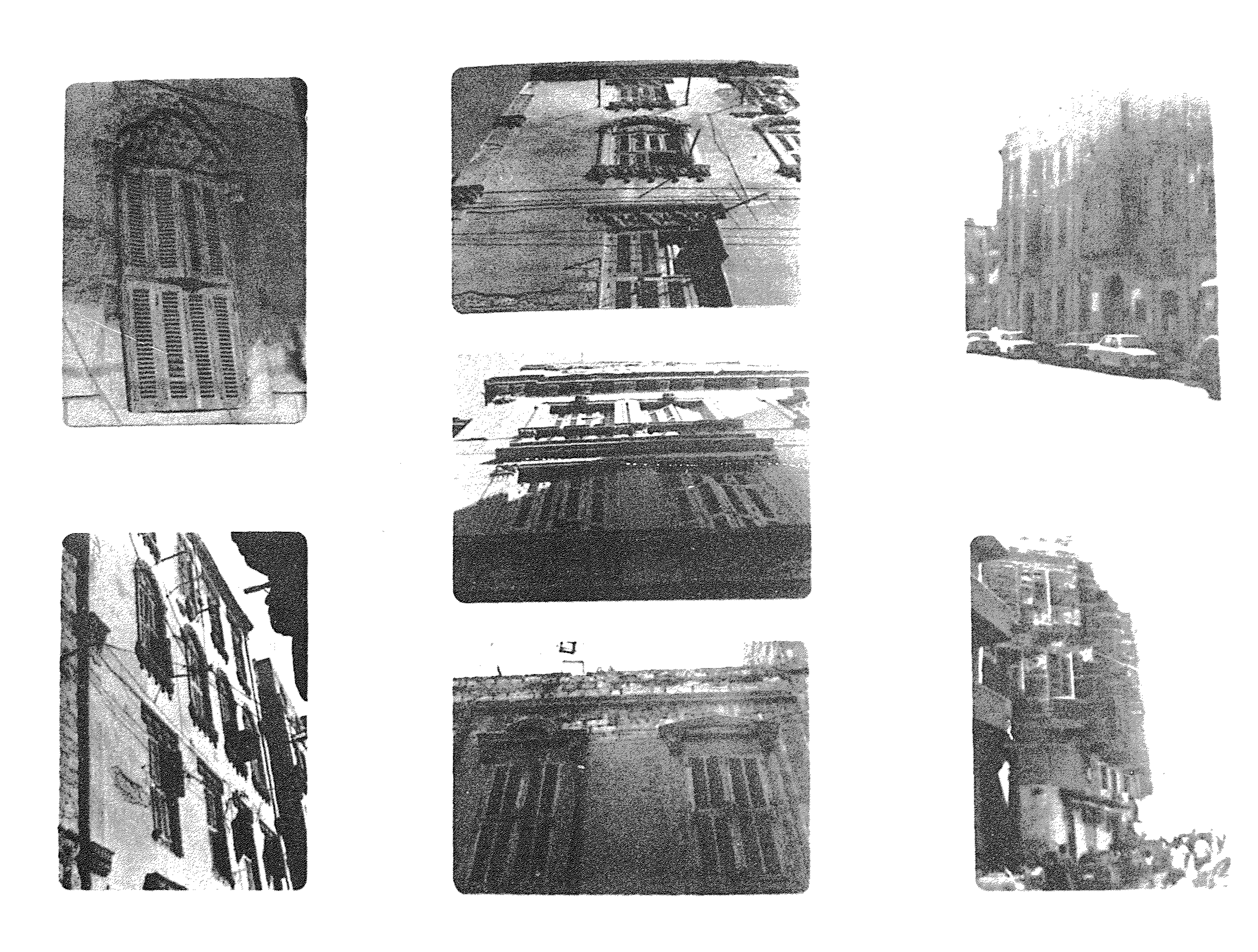
لوحة ٦٤ ـ القاهرة ـ تمثال ابراهيم بك



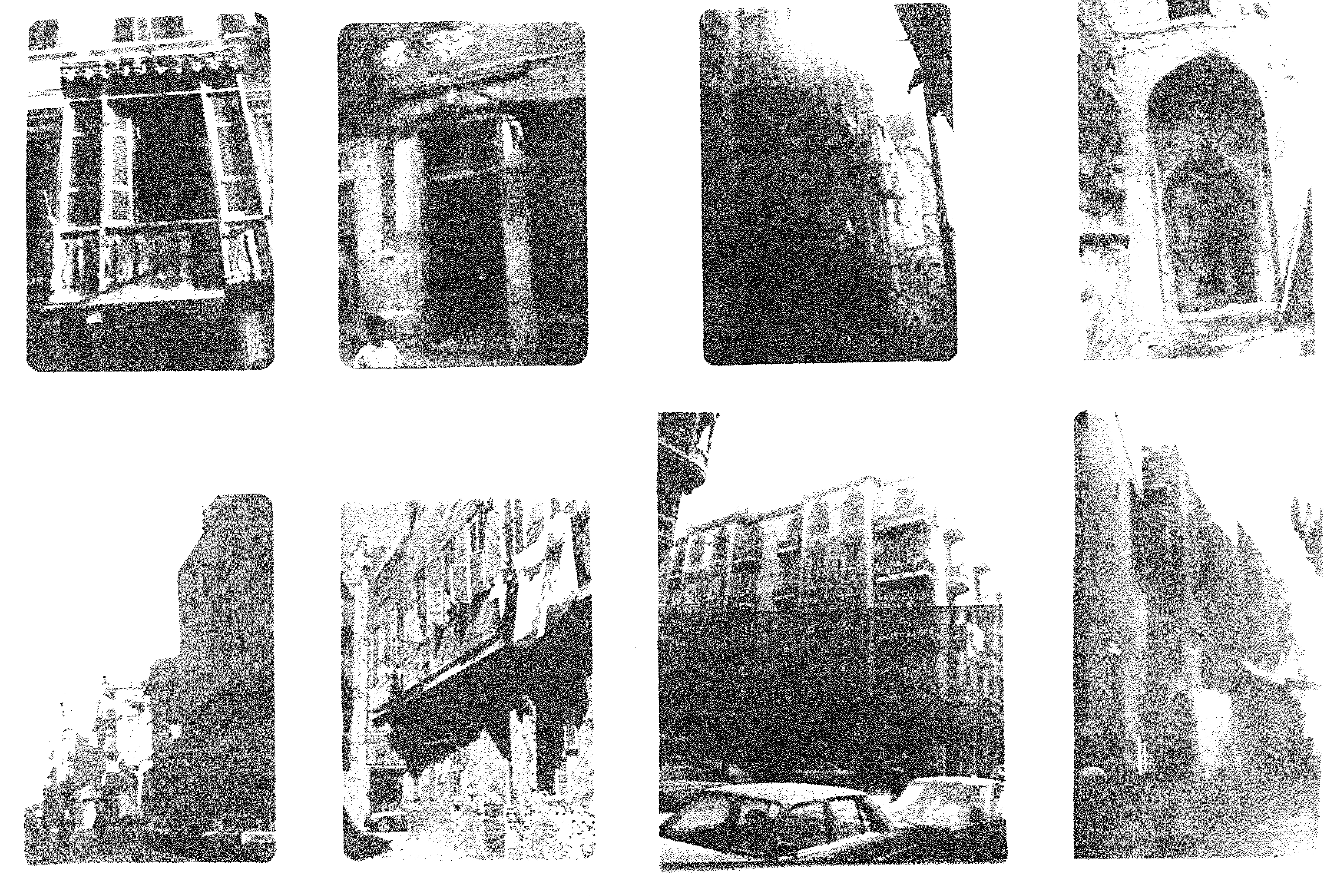
لوحة ٦٥ - الاسكندرية - الجمرك - ملامح منطقة الجمرك التاريخية - المدينة التركية - تصوير م . اسامة مسعود



لوحة ٦٦ ـ الاسكندرية ـ الجمرك ـ نماذج لأسلوب حل الكوابيل ـ تصوير م . أسامة مسعود



لوحة ٦٧ - الاسكندرية - الجمرك - نماذج الفتحات الخارجية - من الجمرك التاريخي - تصوير م . أسامة مسعود



لوحة ٦٨ ـ الاسكندرية ـ الجمرك ـ نماذج الفتحات الخارجية ـ من الجمرك التاريخي ـ تصوير م . أسامة مسعود

أعمال العمران

من القواعد الأساسية في نهضة الأمم أن انماء ثروة البلاد والحفاظ على كيانها المالي من أكبر دعائم الاستقلال لأن العمران مادة التقدم والثروة الأهلية هي قوام الاستقلال المالي ولا يتحقق الاستقلال السياسي ما لم يدعمه الاستقلال المالي والاقتصادي لقد كانت نظرة لمحمد علي منذ أوائل حكمه إلى اصلاح حالة البلاد الاقتصادية وانشاء أعمال العمران فيها لتنمو ثروتها القومية حيث قام بمنشآت الري والزراعة من شق الترع مثل ترعة المحمودية حيث كانت من أهم العمران في ذلك العصر حيث تحولت الأراضي الواسعة التي تمر فيها الترعة إلى مزارع مزدهرة بالحياة والعمران وكذلك تحولت الاسكندرية مرة أخرى إلى مدينة هامة وكذلك انشاء الجسور والقناطر ـ واصلاح الجسور والسدود والقناطر الخيرية ـ حوض السفن بميناء الاسكندرية حيث وضع محمد علي حجر الأساس للقناطر عام (١٨٤٧ م) وكان مشروع القناطر الخيرية في عصره من أعظم وأكبر أعمال الري في العالم قاطبة .

وفي عهد محمد علي تم توسيع نطاق الزراعة زادت في ثروة مصر الزراعية وغرس أشجار التوت والأشجار عامة إلى غير ذلك في أعمال العمران وبناء السفن .

وقامت في عصر محمد علي نهضة صناعية في الصناعات الكبرى مثل صناعة الغزل والنسيج ومعامل السكر في الوجه القبلي .

وقد عني محمد علي بعمران المدن بما استحدثه فيها من المباني العامة كالقصور والمصانع ودور الحكومة والمدارس . من ذلك قصر الجوهرة بالقلعة حيث كان مقر الحكم وقصر شبرا وقصر سراي رأس التين بالاسكندرية وأنشأ الدفتر خانة بجوار القلعة لحفظ ـ وثائق الحكومة وقام بتصليح مجاري الماء التي كانت تنقل المياه من النيل



لوحة ٦٩ - الاسكندرية - الجمرك - نماذج الطرق المنتشرة - من الجمرك التاريخي - تصوير م . أسامة مسعود

إلى القلعة وشق طريقاً واسعةً محفوفةً بالأشجار بين مصر وشبرا . وأصلح بركة الأزبكية وتحولت أرضها إلى بستان جميل . وبنى جامعه الكبير بالقلعة . وأنشأ داراً للرصد (رصد خانة) في بولاق وأصدر أمراً بمنع خروج الآثار من مصر إلى الخارج وتأسيس دار للآثار في منزل الدفتر داروعني باستخراج الأحجار والرخام من المحاجر المصرية .

وتقدمت الاسكندرية في عهد محمد علي بفضل وصول ترعة المحمودية إليها بين مصر والخارج وكان يطيل الاقامة بها كل سنة وشق شارعاً فسيحاًبين باب رشيد وسراي رأس التين مرصوفاً بالأحجار . وأنشأ مدينة الزقازيق المستشفيات والمحاجر الصحية على النظام الأوروبي وادخل نظام البريد والتلغراف وشرع في انشاء السكة الحديدية بين القاهرة والسويس .

يتضح من عصر محمد علي أن النشاط الاجتماعي قد تغيرت أهدافه وأن الثقافة العامة قد تغيرت ملامحها وأن متطلبات المجتمع في ذلك العصر قد تبدلت عما كانت عليه سابقاً حيث ظهرت المدارس المختلفة وظهرت الحاجة إلى علم الهندسة والطب والفلك والحربية وظهرت القصور والمباني العامة كالدواوين الحكومية والمستشفيات وظهرت مباني مدنية عامة مثل القناطر حيث الحاجة إلى هندسة الري بجانب النهوض بالنشاط الاقتصادي فزاد مستوى الدخل العام وزادت حركة التعليم والأقبال عليه بل زاد النظر إلى العلم فيما وراء البحار وأصبحت الرؤ ية الأوروبية هي المثال للنهوض بالمجتمع،وبدون شك مع زيادة الدخل العام والانتعاش الاقتصادي والتعليمي في البلاد، وجدت نهضة عمرانية عيب عليها في بعض الأحيان أنها قامت على أساس أنها انحازت إلى الرؤ ية الأجنبية ولكن سرعان ما أظهرت ولاءها لشخصيتها المصرية وخاصة أن كل الذين قامت على أيديهم الحركة التعليمية الجديدة هم من المصريين من الشمال والجنوب لذلك كانت آراؤ هم نابعة من شخصيتهم المصرية بعد ما صقلت بالحضارة الأوروبية .

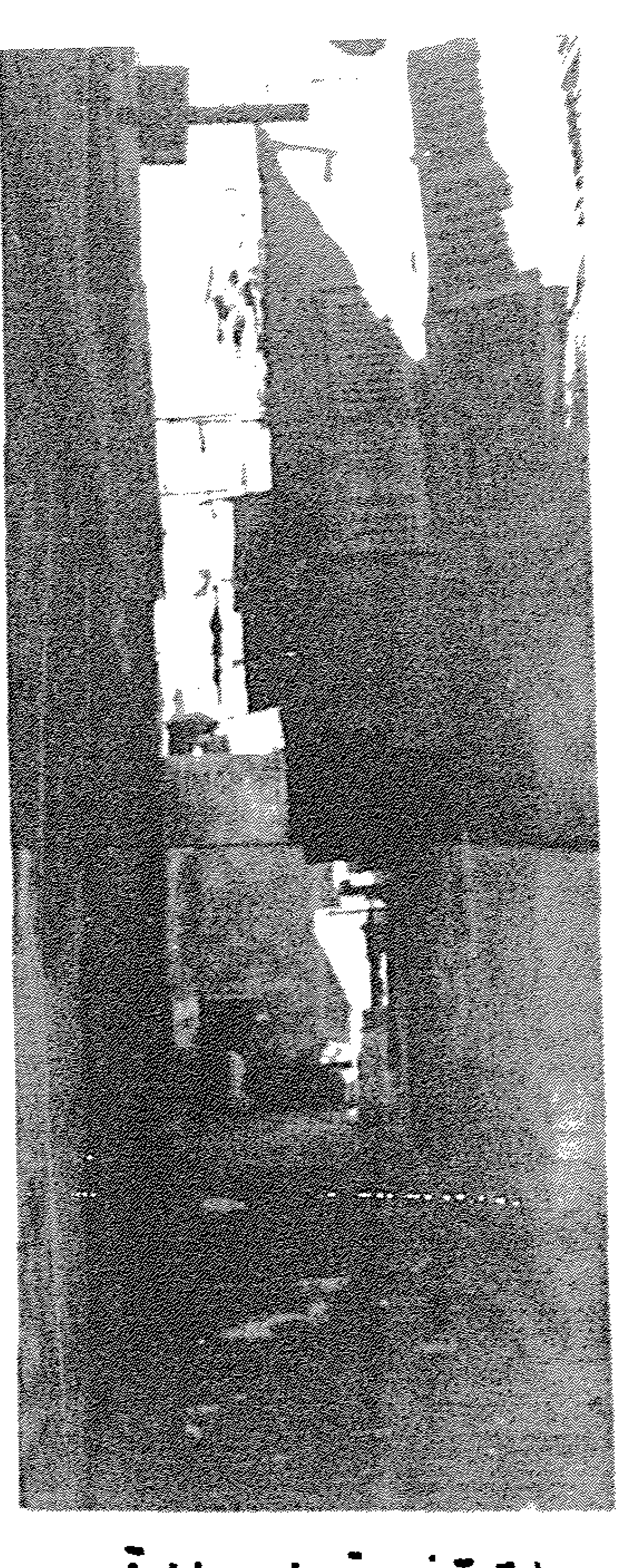
جدول رقم (٣) يوضح التطور العددي والنسبي لسكان مدينة الاسكندرية موزعين حسب النوع مصريين وأجانب في الفترة (١٨٨٢ - ٢٠٠٠) .

سنة التعداد	التوزيع العددي والنسبي					
	ذكور		اناث		جملة	
	عدد	نسبة مئوية	عدد	نسبة مئوية	عدد	نسبة مئوية
١٨٨٢	١١٨٢٣٨	٥٠,٨	١١٤٣٩٩	٤٩,٢	٢٣٢٦٣٦	١٠٠
١٨٩٧	١٦٥٧٠٧	٥٢,٥	١٥٠١٣٧	٤٧,٥	٣١٥٨٤٤	١٠٠
١٩٠٧	١٨٦٦٥١	٥٣,٨	١٦٦٨٥٦	٤٧,٢	٣٥٣٨٠٧	١٠٠
١٩١٧	٢٢٦٨٢٣	٥١	٢١٨٢٣٧	٤٩	٤٤٥٠٧٠	١٠٠
١٩٢٧	٣١٥٤٣٢	٥٣,١	٢٨٩٦١٦	٤٧,٩	٦٠٥٠٤٨	١٠٠
١٩٣٧	٣٦٣٧١١	٥٠,٧	٣٥٣٦٥٨	٤٩,٣	٧١٧٣٦٩	١٠٠
١٩٤٧	٤٨٥٣٥٢	٥٠,٥	٤٧٥٧٧٥	٤٩,٥	٩٦١١٢٧	١٠٠
١٩٦٠	٧٧٧٠٦٣	٥٠,٨	٧٥٣٤٩٧	٤٩,٢	١٥٣٠٥٦٠	١٠٠
١٩٦٦	٩٢٩٣٧٧	٥١,١	٨٨٨٣٣٤	٤٨,٩	١٨١٧٧١١	١٠٠
١٩٧٦	١١٨٨٨٤٠	٥١,٣	١١٢٨٨٦٥	٤٨,٧	٢٣١٧٧٠٥	١٠٠
١٩٨٦	١٥٨٧٠٠٠	٥١,٥	١٤٩٤٠٠٠	٤٨,٥	٣٠٨١٠٠٠	١٠٠
١٩٩٦	٢٠٨٣٠٠٠	٥١,٦	١٩٥٣٠٠٠	٤٨,٤	٤٠٣٦٠٠٠	١٠٠
٢٠٠٠	٢٣٧٠٠٠٠	٥١,٩	٢١٩٦٠٠٠	٤٨,١	٤٥٩٦٠٠٠	١٠٠



شارع سيدي الحلوجي





حارة متفرعة من ميدان رقم ٣١٩

شارع سوق السمك القديم



شارع سوق السمك القديم



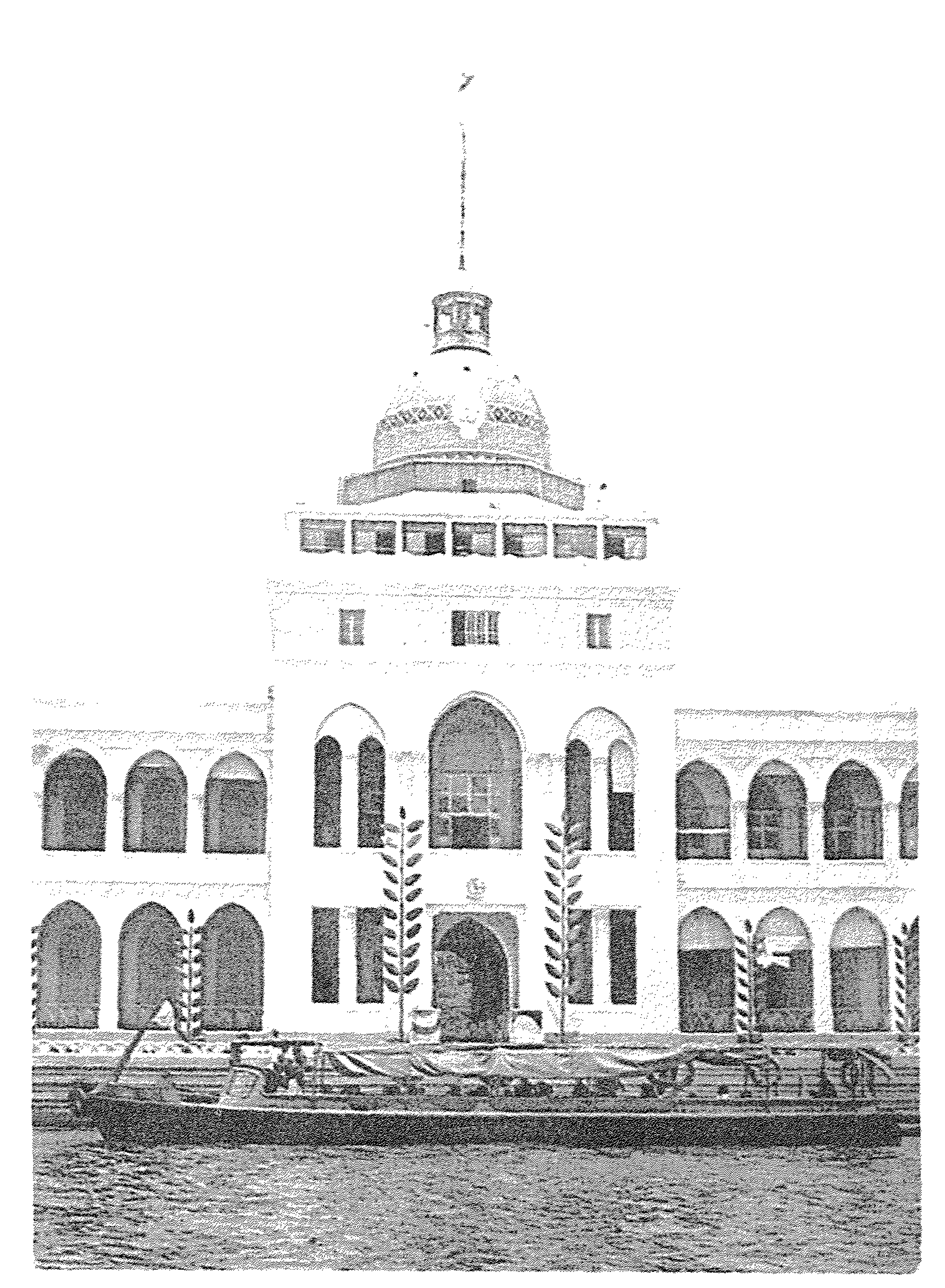
لوحة ٧٠ ـ الاسكندرية ـ الجمرك ـ نماذج الطرق المنتشرة ـ من الجمرك التاريخي ـ تصوير م . اسامة مسعود

لقد استطاعت الشخصية المصرية أن تجذب إليها محمد علي وقد تقرب منها محمد علي للاعتماد عليها في كل الميادين ولولا هذه الشخصية المصرية ما استطاع محمد علي أن ينفذ خططه العسكرية أو العمرانية . واستمر عصر محمد علي ما يقرب من النصف الأول للقرن التاسع عشر .

بدأ في النصف الثاني في القرن التاسع عشر بالمشروعات التي تخدم النقل والمواصلات والاتصالات كان أهمها شق قناة السويس وخلال هذه الفترة كان النفوذ ـ الأجنبي في ازدياد للعلاقات القوية بين عباس وسعيد واسماعيل من جهة والانجليز والفرنسيين من جهة أخرى .

انشيء في عهد اسماعيل مدرسة (الري والعمارة) وسميت المهندسخانة بالعباسية (١٨٦٦ م) وقد كثر عدد المدارس الأجنبية الأوروبية التي فتحتها البعثات الدينية فبلغ عددها في عهد اسماعيل سبعين مدرسة .

ومن محاسن عصر اسماعيل ظهور العلامة علي باشا مبارك الذي قدم خدمات ـ جليلة في التعليم وكذلك خدماته في أعمال العمران التي تمت في عصر اسماعيل منها ما يختص بالري ومنها ما يتعلق بتنظيم القاهرة والمدن الأخرى حيث توسيع وتنظيم شوارع القاهرة وانشاء أحيائها الجديدة مثل شارع محمد علي وميدانه وشوارع الأزبكية وميدانها والشوارع المنشأة بعابدين وباب اللوق وغيرها حيث المباني الحسنة والشوارع المستقيمة المتسعة المحفوفة بالأشجار وأزيل ما كان بجهتها الشمالية من تلال وتبرع اسماعيل بالأراضي لمن يقيم عليها المباني والبساتين العديدة واستحدث الانارة بغاز الاستصباح واقامة وابور المياه لتغذية القاهرة بماء الشرب الصالح واقامة كوبري قصر النيل وساهم علي مبارك في أعمال عمران مدينة الاسكندرية والسويس .



لوحة ٧١ ـ بورسعيد ـ مبنى هيئة قناة السويس

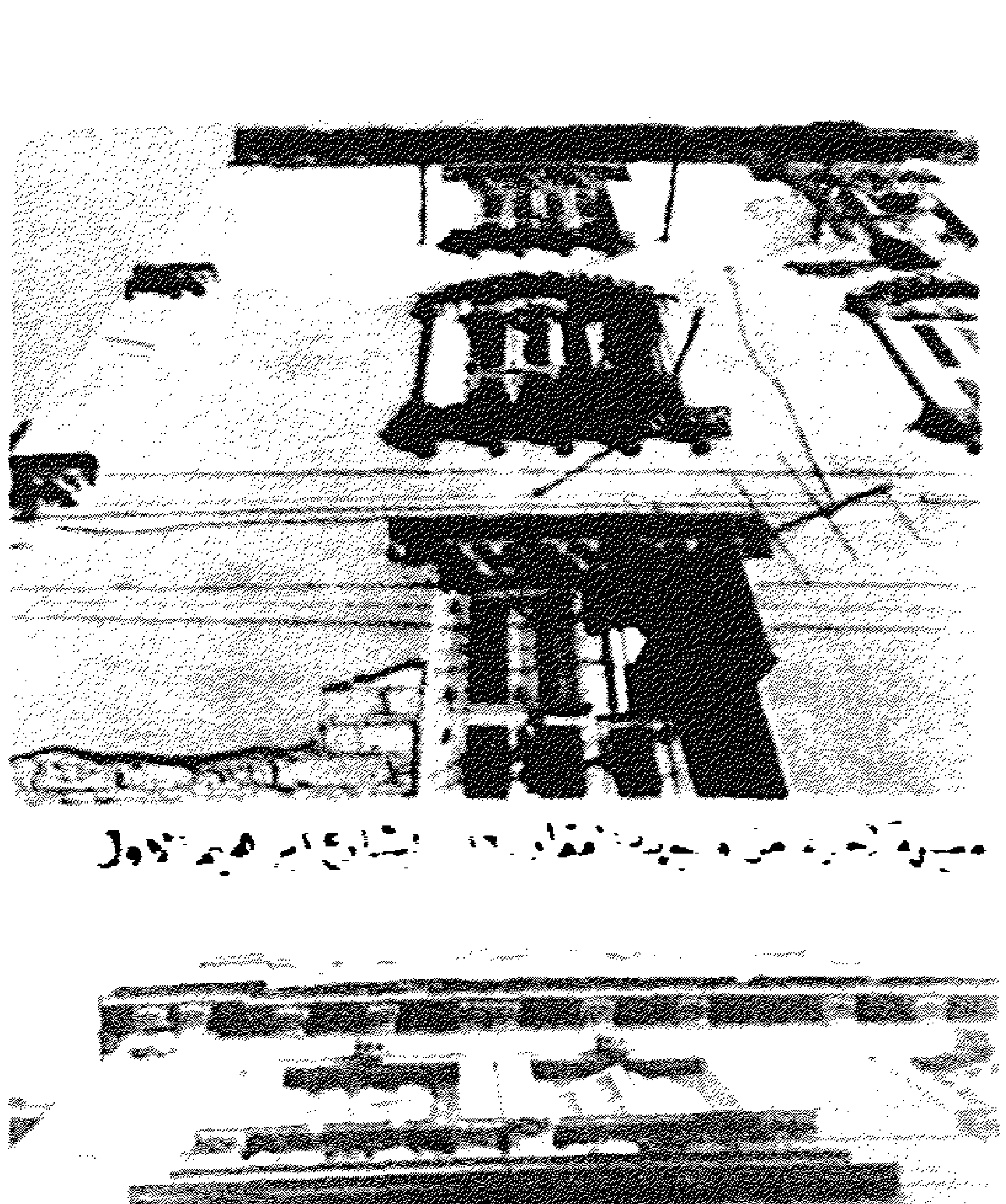
ولقد ازدهرت النهضة العلمية والأدبية في عصر اسماعيل في ابان النصف الثاني من القرن التاسع عشر وذلك لأسباب انتشار التعليم في المدارس والمعاهد ،وظهور طائفة من العلماء والأدباء ممن تخرجوا في مدارس البعثات أو في الأزهر على عهد محمد علي وخلفائه وقد ظهرت نتائجه في عهد اسماعيل ونلاحظ من أعلام الأدب والفكر في عهد اسماعيل ـ رفاعة بك الطهطاوي ـ علي باشا مبارك ـ السيد جمال الدين الأفغاني باعث روح الحياة في النهضة العلمية والأدبية والسياسية ـ الشيخ حسين المرصفي ـ محمود باشا سامي البارودي باكورة الاعلام في الشعر الحديث ـ الشيخ محمد عبده الأستاذ الامام وفيلسوف الاسلام ـ ابراهيم بك المويلحي وزعيم الكتاب في عصره ـ محمد بك عثمان جلال واضع أسس القصة الحديثة في الأدب المصري ـ عائشة عصمت تيمور زعيمة طليعة اليقظة النسوية وغيرهم ولا ننسى السيد عبدالله النديم الكاتب الشاعر الأديب والخطيب الوطني .

العناية بالمتحف المصري والحفاظ على الآثار المصرية وكذلك دار الآثار العربية ودار الرصد ومصلحة الأحصاء والمساحة والأعمال الصحية من انشاء المستشفيات على مستوى القطر المصري :

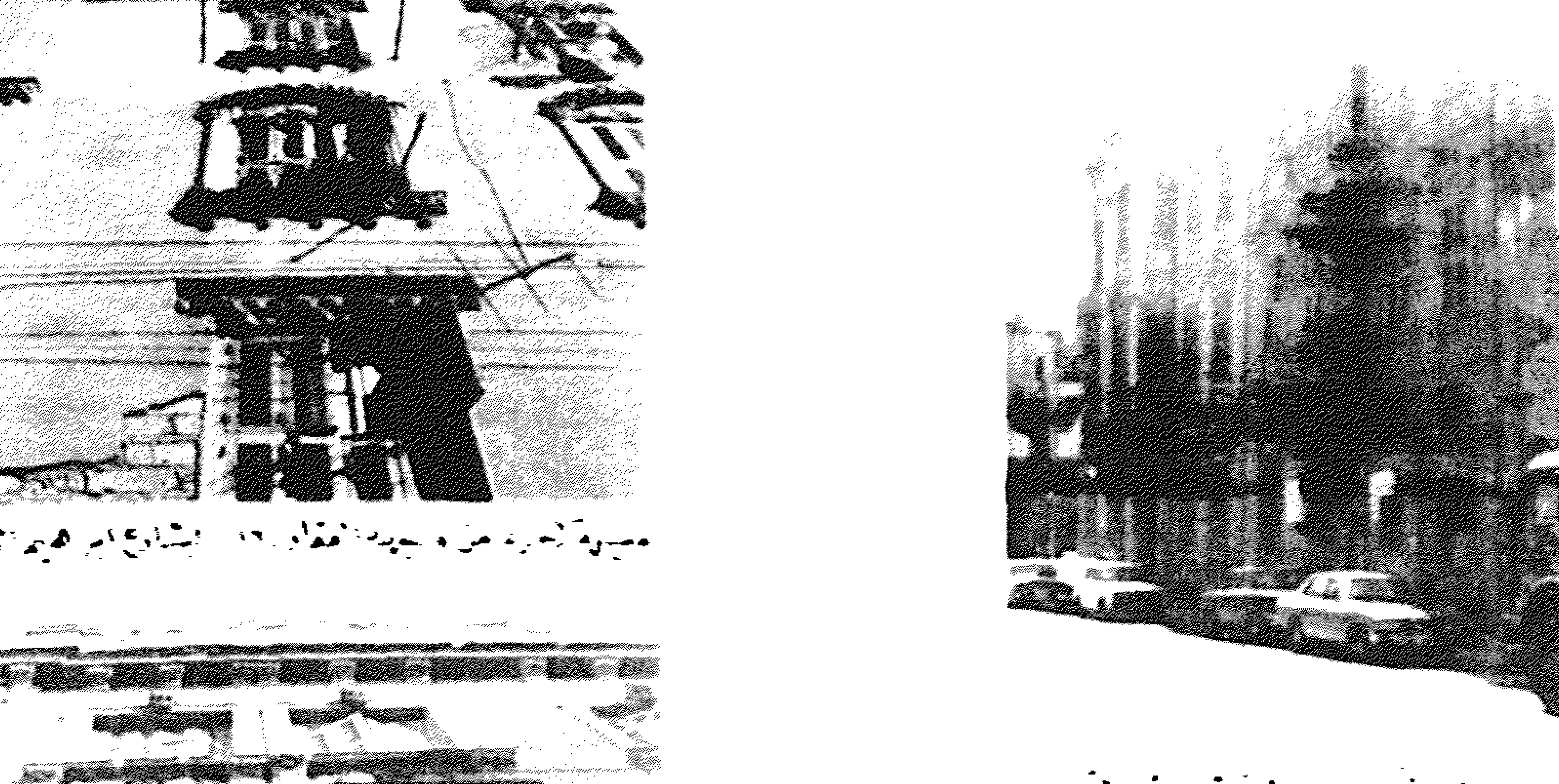


لوحة ٧٢ ـ بورسعيد ـ منظور عام لمدينة بورسعيد ـ قناة السويس

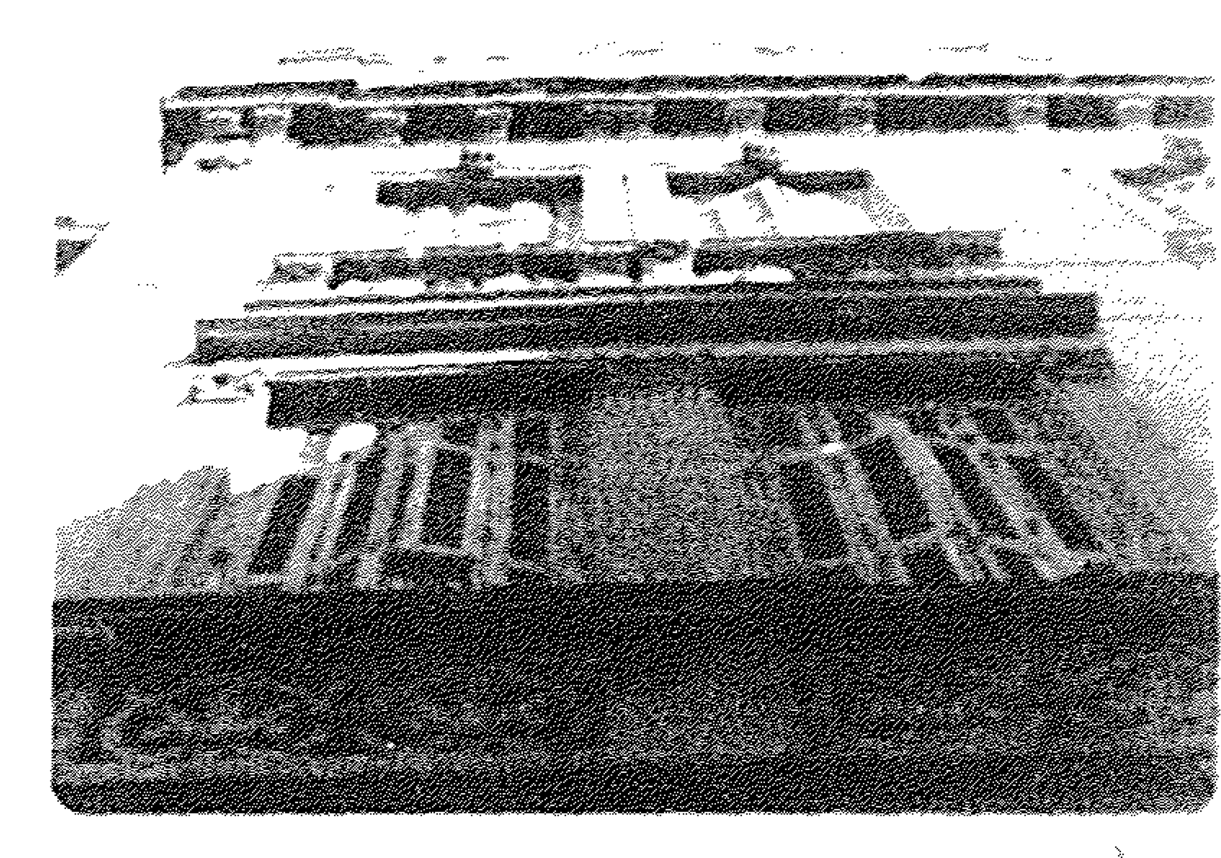
تمثيلة لنموذج شباك بالعقار ١٦
بشارع ابراهيم الأول



صورة أخرى من واجهة العقار ١٦ بشارع ابراهيم الأول



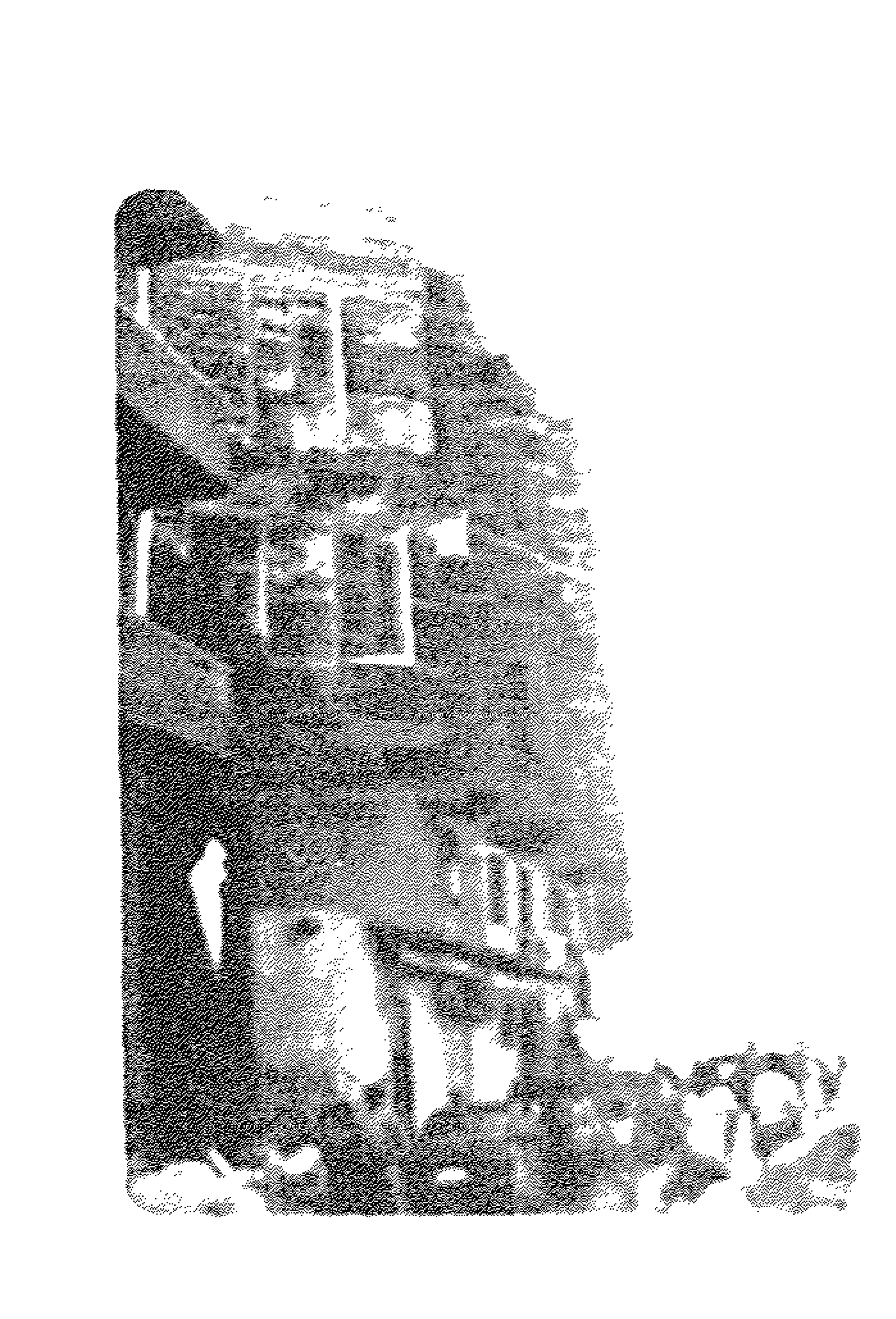
[illegible]



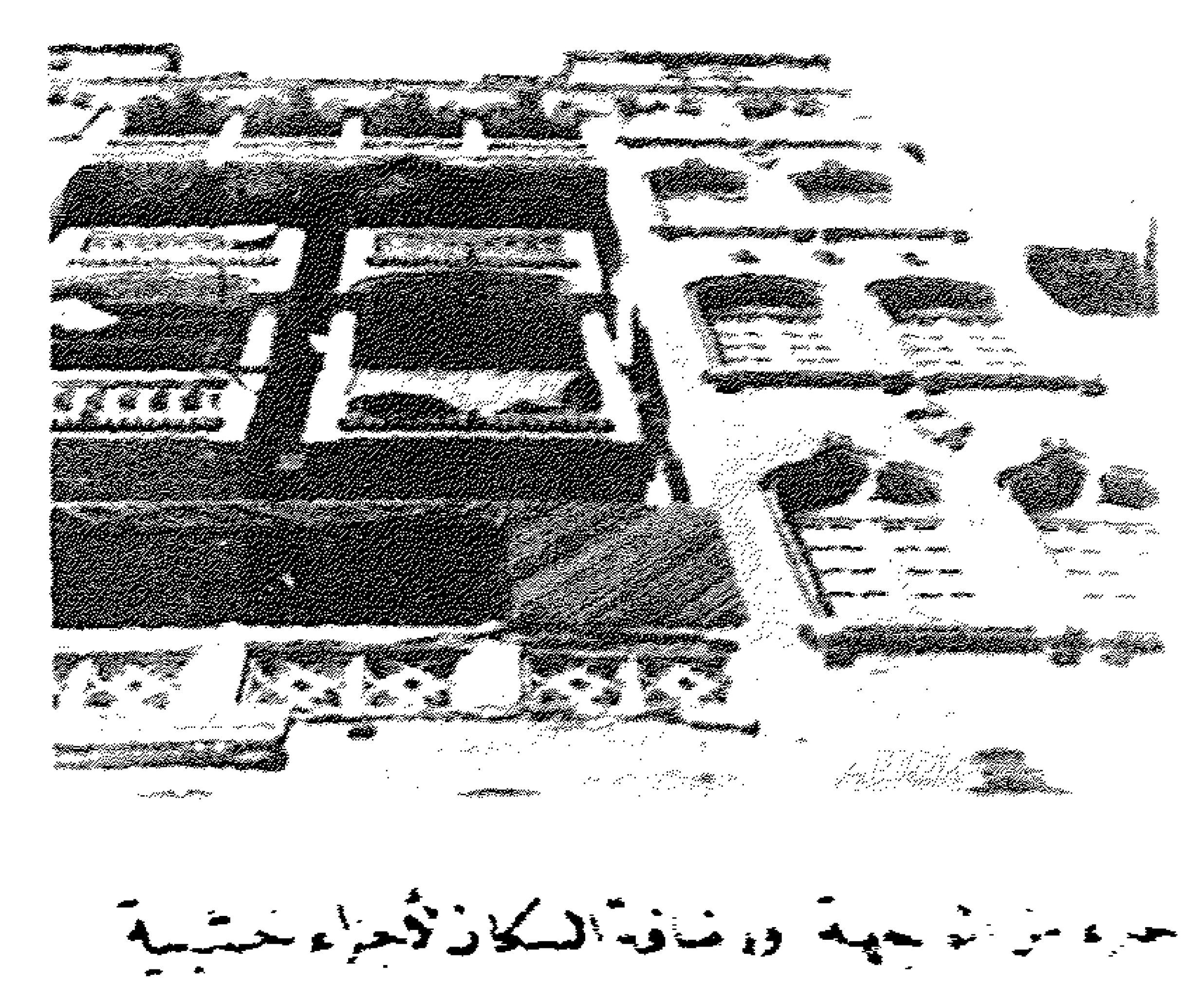




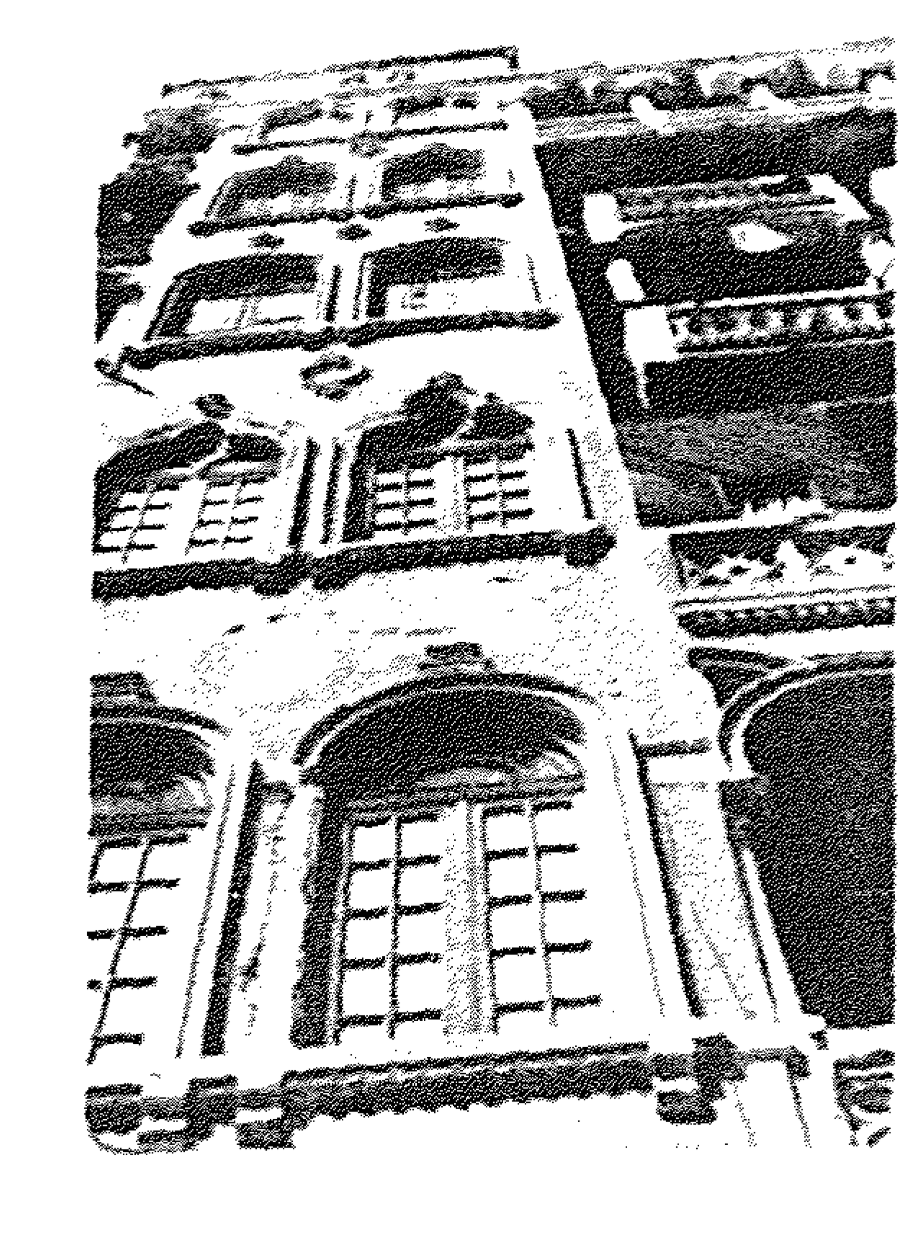




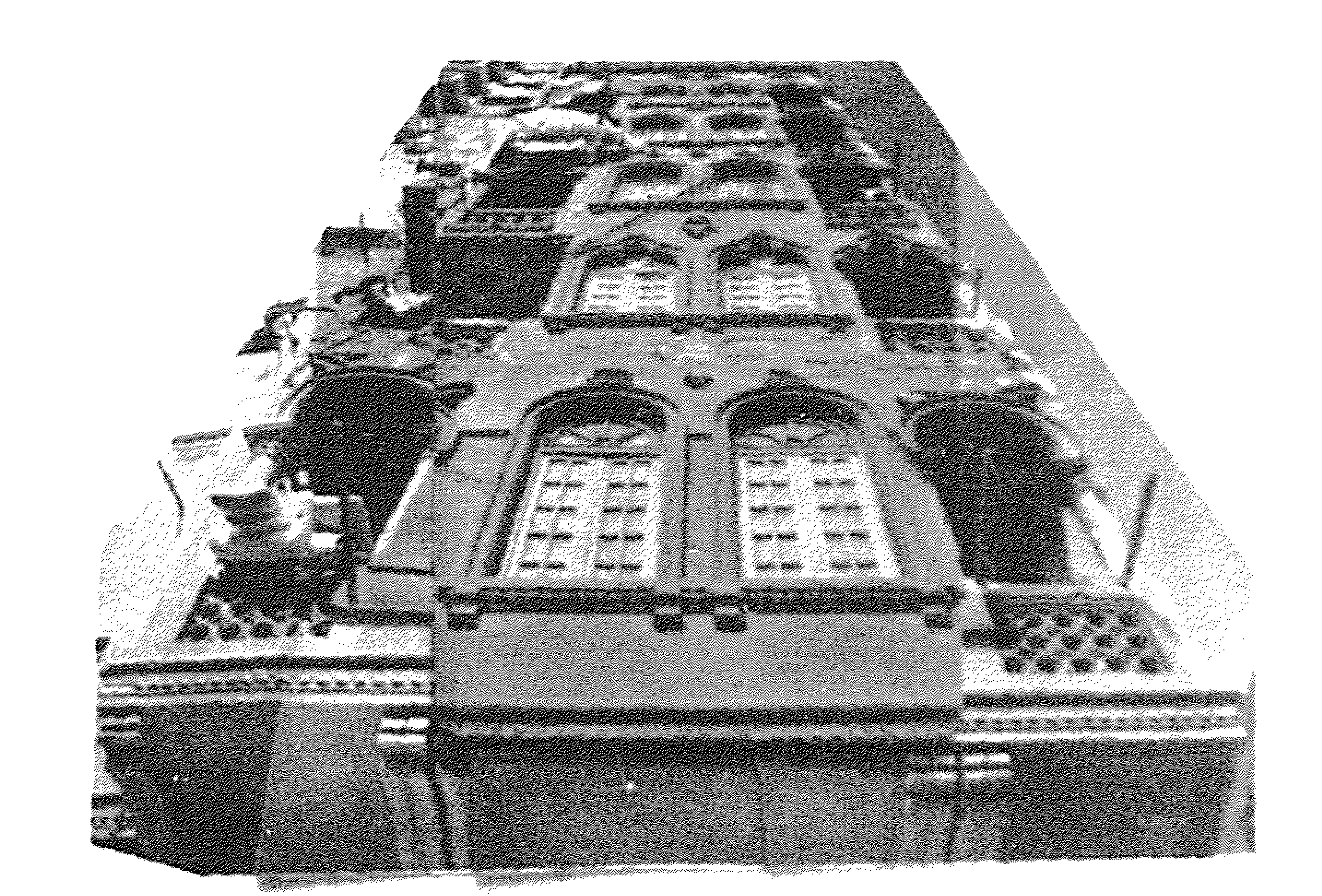
لوحة ٧٣ ـ الاسكندرية ـ الجمرك ـ نماذج الأبواب والشبابيك بالحي

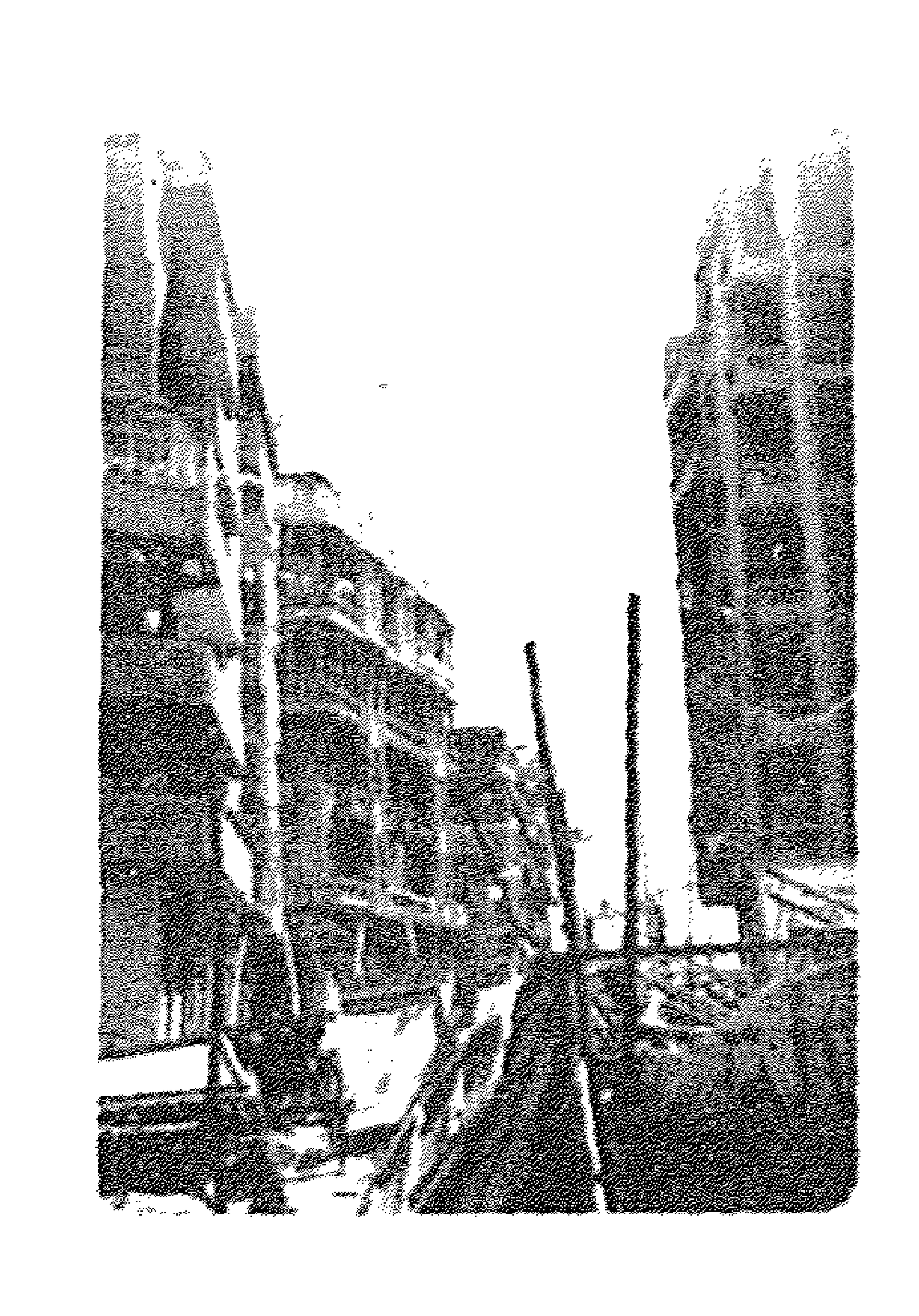


جزء من الواجهة وإضافة السكان لأجزاء خشبية



لاحظ الفتحات التي تعود لعصر النهضة





لوحة ٧٤ ـ الاسكندرية ـ الجمرك ـ نماذج الأبواب والشبابيك بالحي

كان لتعلم اسماعيل بباريس وميوله نحو العلوم الهندسية وخاصة تنظيم المدن وتخطيطها وتجميلها حيث وجه عنايته إلى القاهرة والاسكندرية اثره في هذا الموضوع .

ففي القاهرة أزيلت التلال الرملية التي كانت تحيط بها وتم تخطيط شوارع وميادين جديدة بها مثل الفجالة الجديدة وشارع كلوت بك وشارع محمد علي وشارع عبد العزيز وشارع عابدين .

وأنشأ أحياء بأكملها كحي الاسماعيلية والتوفيقية وعابدين وميدان الأوبرا ونظم جهات الجيزة والجزيرة وأنشأ حديقة البنات بالجيزة وحدائق الجزيرة .

وكان لفتح الشوارع والميادين فضل في توسيع الشوارع وتوفير الهواء النقي وتدبير الوسائل الصحية للسكان وازدهار العمران .

وأهم الأحياء التي أقيمت في ذلك العصر حي الأسماعيلية حيث أقيم على تخطيط شبكي ودكت شوارعه بالدقشوم وأقيمت على جوانبه الأرصفة ومدت في ارضيته أنابيب المياه وأقيمت فيه أعمدة الانارة بغاز الاستصباح وكان حي الأمراء والأعيان . وأنشأ مسرح الكوميدي ومسرح الأوبرا وشق حديقة الأزبكية وكذلك كوبري البحر (كوبري الجلاء الآن) وكوبري قصر النيل وأنشأ الطريق المعبد بين القاهرة والأهرام ومد أنابيب المياه في أحياء المدينة لتوزيع مياه النيل العذبة في البيوت .

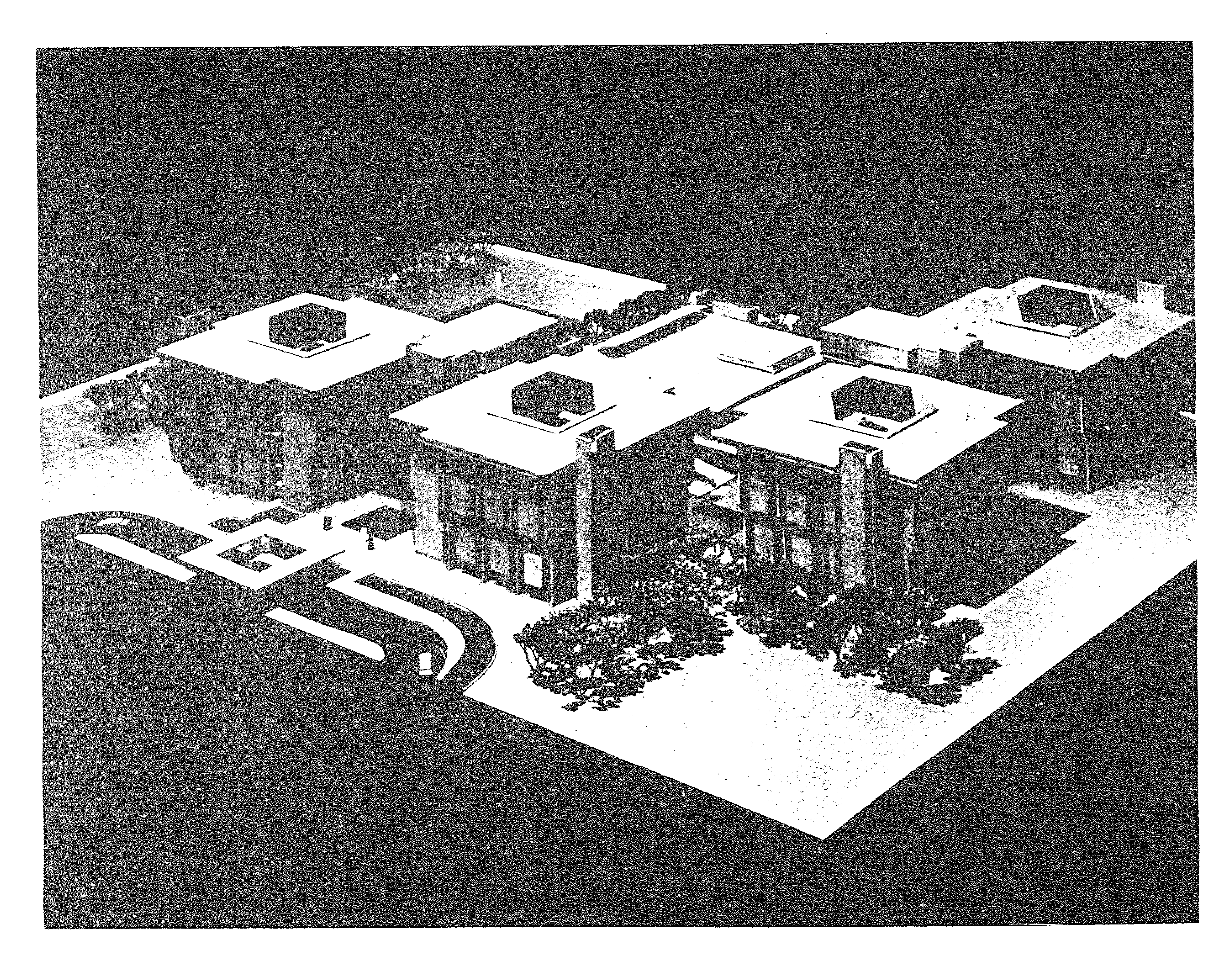
لوحة ٧٥ ـ القاهرة ـ ميدان التحرير ودار الآثار



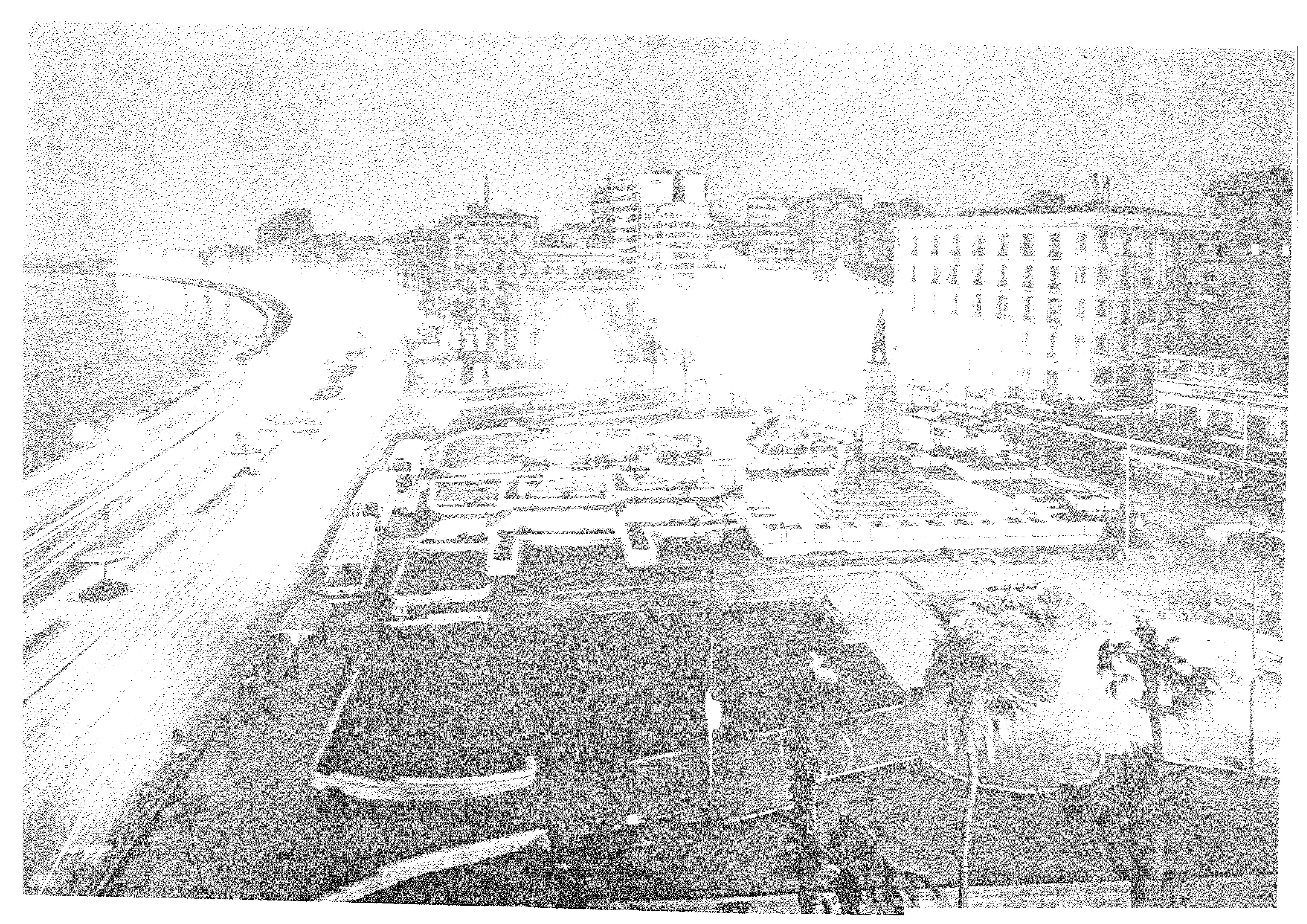
لوحة ٧٦ ـ القاهرة ـ متطور عام على النيل ـ ميدان الجيزة



لوحة ٧٧ ـ القاهرة ـ ميدان الأوبرا



لوحة ٧٨ - مشروع مستشفى عام بحي الجمالية - القاهرة - تصميم أحمد مسعود



لوحة ٧٩ - الاسكندرية - ميدان سعد زغلول . الميناء الشرقي

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ في اقامة التماثيل في الميادين العامة تخليداً لذكرى العظماء وبذلك دخل عنصر جديد للشاعر المصري .

وعمر المسجد الحسيني وأفسح ميدان الرميلة أمام القلعة ووصل بشارع محمد علي وخلال تلك الفترة أقيمت حمامات حلوان لمزايا مياهها الكبريتية وعني بعمران مدينة حلوان .

وقد زاد عمران مدينة الاسكندرية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر فأختط فيها شوارع وأحياء جديدة مثل شارع ابراهيم وشارع الجمرك وشارع المحمودية وأدخل غاز الأستصباح لإنارة الشوارع بواسطة شركة أجنبية وأنشأت بلديتها وتم تنفيذ وأبور المياه لتوصيل المياه إلى المنازل .

وعمرت جهة الرمل عمراناً كبيراً واتصلت بالمدينة بخط حديدي يرجع إلى هذا العهد وجعلت مدينة الاسكندرية مصيف للقطر المصري وفتح شارع عظيم ممتد من باب رشيد إلى حدود الملاحة (المندرة) ماراً بسراي الرمل حوالي أربعة ونصف كيلو وأنشئت حدائق النزهة على ترعة المحمودية وجعلها متنزه عاماً وشيد سراء الحقانية وأصلح ميناء الاسكندرية وبلغ عدد السكان في المدينة إلى ٢١٢,٠٠٠ نسمة .

وقد ظهرت عدد من القصور منها قصر عابدين وكان مقراً لحكم اسماعيل وسراي الجيزة وسراي بولاق الدكرور وقصر القبة وقصر حلوان وسراي الاسماعيلية وسراي الزعفران بالعباسية وسراي الرمل بالاسكندرية .

وكان الحاكم الخديو اسماعيل ينظر إلى مصر على أساس أنها قطعة من أوروبا وليست قطعة من أفريقيا .

وهكذا خلال القرن التاسع عشر شهدت المدن المصرية تطوراً ليس له حدود حيث اعتبر كل ما فيها من تراث هو من توابع القرون الوسطى فكان لا بد من إقامة الأحياء الجديدة لتفي بمتطلبات المتطلعين إلى أوروبا والنظرة الجديدة للتقدم .

وإذا كانت سمة العصر هذا هو سرعة المواصلات والاتصالات والحركة السريعة فقد كان لابد من تخطيط الطرق على هذا الأساس فظهرت الطرق المستقيمة العريضة على أساس النظام الفرنسي أو الانجليزي ورصت على جوانبه الأشجار وظهرت الميادين العامة والحدائق والمتنزهات والتماثيل وبناء القصور لمنافسة قصور أوروبا وبذلك يعتبر القرن التاسع عشر قرن ـ التحول من مجتمع ساكن إلى مجتمع حركة فبرغم ما احدثه هذا العصر من اختلاف في ـ المعنوي والمادي ولكن يقال بصدق أنه كان لا بد منه لأنه عن طريقه توصلنا بكل قوة وسرعة إلى حضارة كنا لا نعلم عنها شيئاً ووضع الانسان المصري يديه على مصادر هذه الحضارة ليستفيد منها وليكون منها اليوم الإنسان المصري المعاصر.

فلو نظرنا إلى المجتمع قبل القرن التاسع عشر وما بعده لوجدنا الاختلاف الكبير في طريقة الحياة وكيفية تعامله معها فمن مجتمع يعتمد فقط على الزراعة إذا بالصناعة تشارك في النظم الاقتصادية وإذ بالزراعة حدث فيها التطور الكبير من حيث طريقة الري ونوعيات المزروعات وكذلك في سائر النواحي الاقتصادية والتعليمية والسياسية .

كل هذا عمل على أن ينقل المدينة من مدينة مقفلة متراصة متضافة الى مدينة مفتوحة تكثر بها الميادين والمتنزهات العامة والتماثيل والشوارع المستقيمة .

وإذا كانت هذه المسح الجديدة للعمران بالمدينة المصرية خلال القرن التاسع عشر فإنه خلال القرن العشرين وخلال نصفه الأول استمر الحال على ما هو عليه من التأثير والتشبع بالروح الأوروبية لحلول المشاكل المصرية، وسار العمران في نفس الاتجاه حتى إنك تجد مباني هي ذاتها مباني أوروبية لا تمت بصلة للمصريين وخاصة عند توغل النفوذ الأجنبي في مصر .

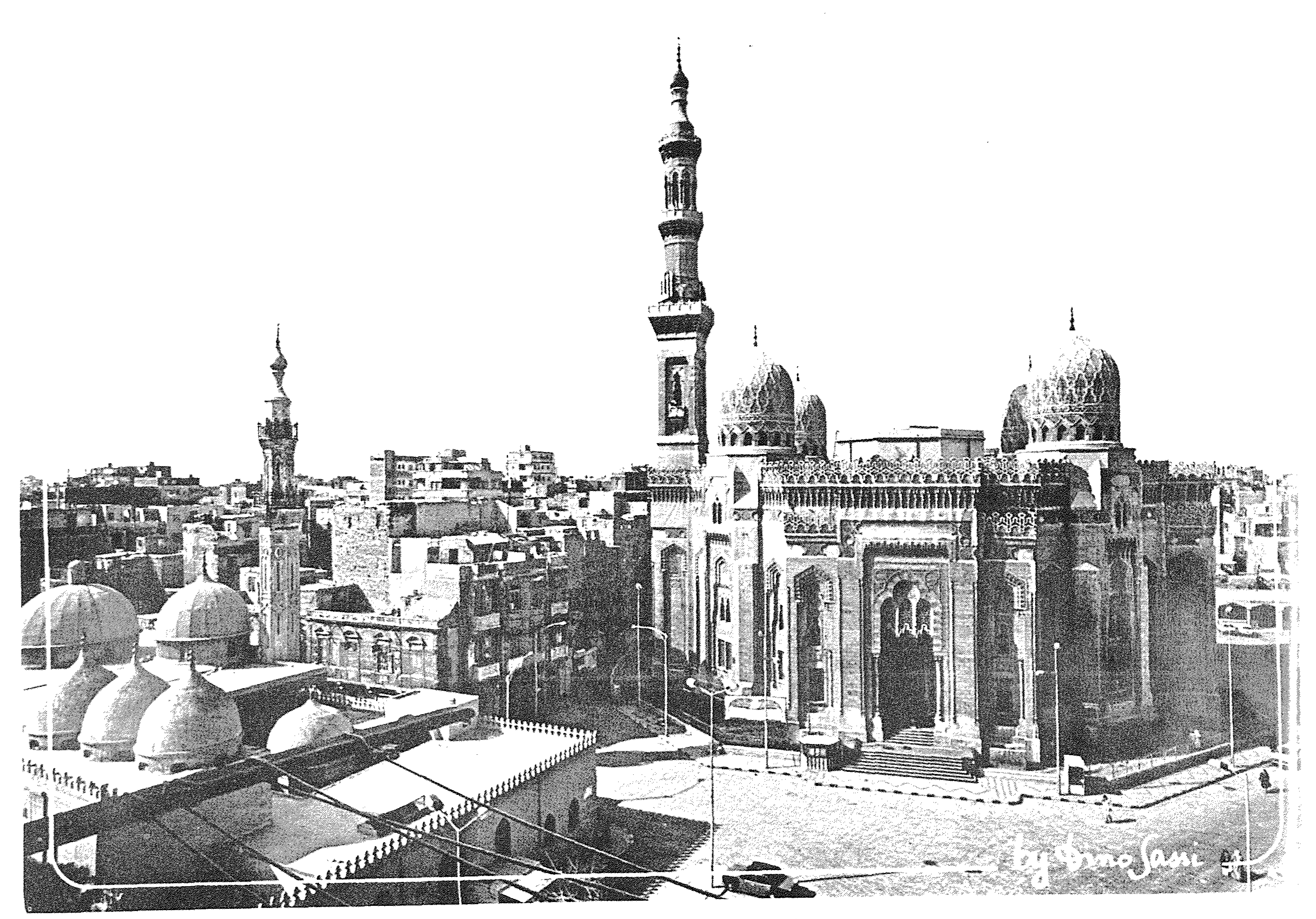
فمع محاولة تمصير الأوضاع في نهاية القرن التاسع عشر وظهور المفكرين والقادة المصريين حاملي التطور الحضاري والنظرة الغربية ولكن بنظرة شرقية إذ بالاحتلال الانجليزي لمصر وبعد أن كان يباشر الأجنبي توجيهاته من خارج البلاد إذا به يباشر توجيهاته من داخل البلاد ولكن استطاع المصري أن يقف أمام هذا الوضع الجديد لأن الفكر المصري قد نضج وحدد طريقه وبدأ المجتمع المصري في الظهور بصورته ـ

الجديدة مجتمعاً صناعياً وتجارياً واقتصادياً بجانب النشاط الزراعي .

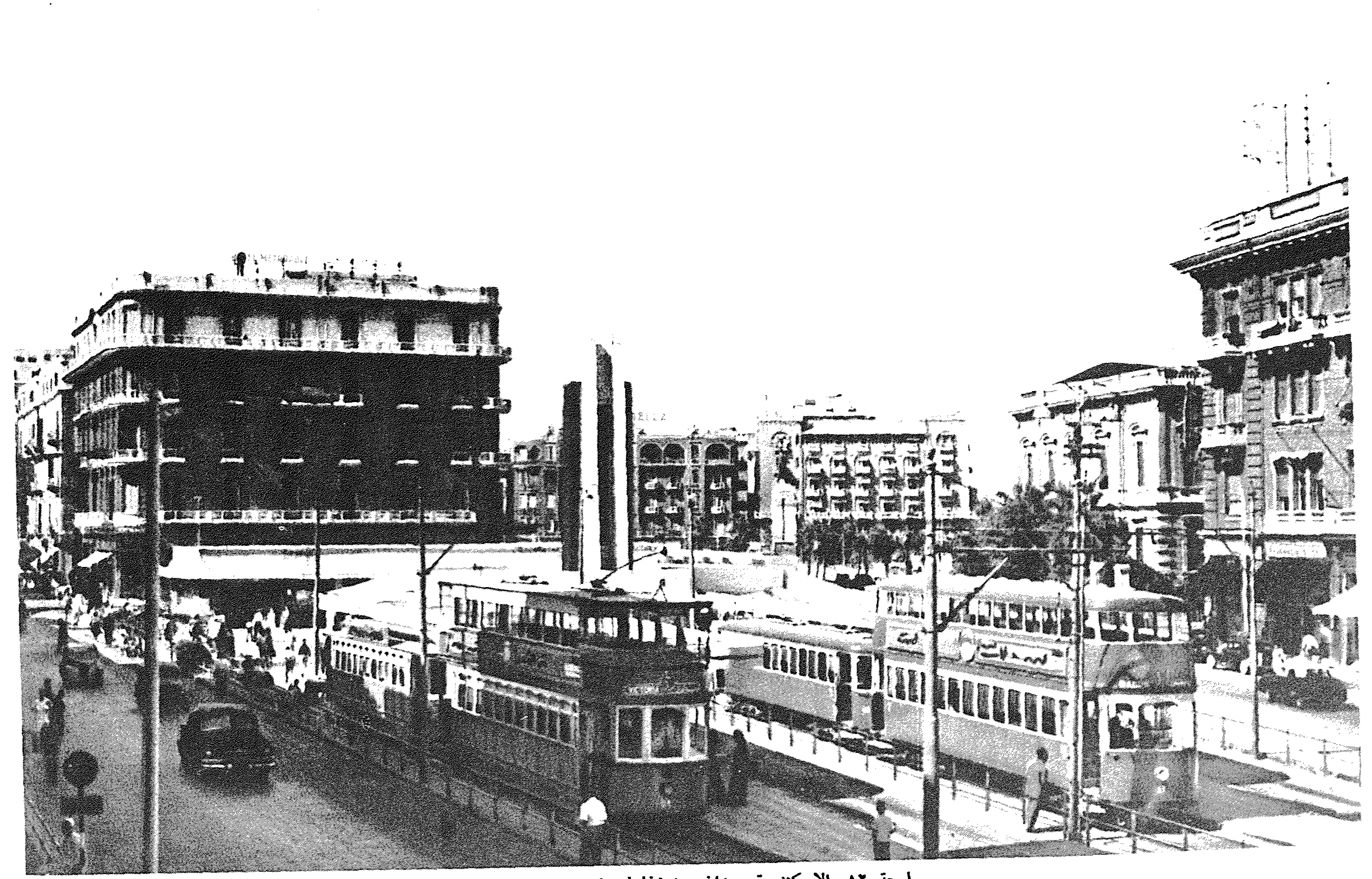
وإن استمر التأثير والنفوذ الأجنبي يوجه الأنشطة في الاتجاه الغربي حتى تم اجلاء الأجنبي في بـداية النصف الثاني من القرن العشرين والذي على أثره أصبحت كل القرارات تتخذ بنظرة مصرية بحتة وحل الوطنيون محل الأجانب في جميع الأنشطة .



لوحة ٨٠ـ الاسكندرية ـ ميدان التحرير وشارع النصر

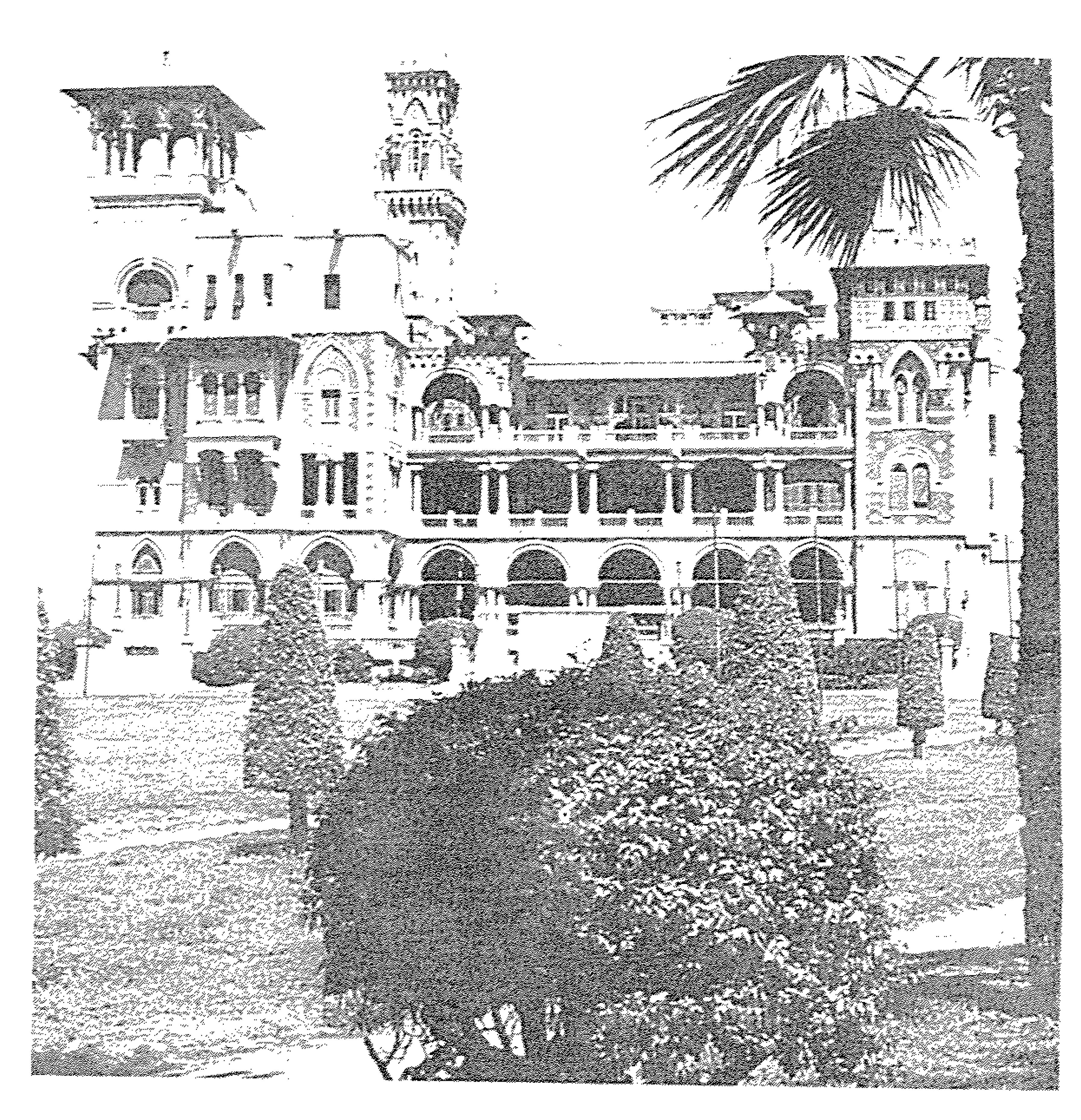


لوحة ٨١ - الاسكندرية - جامع أبو العباس - الجمرك



لوحة ٨٢ - الاسكندرية - ميدان سعد زغلول - محطة الرمل - منطقة وسط المدينة

ملامح العمارة المحلية المعاصرة ومدى انطباعها بالشخصية المصرية وتكاملها مع التكنولوجية



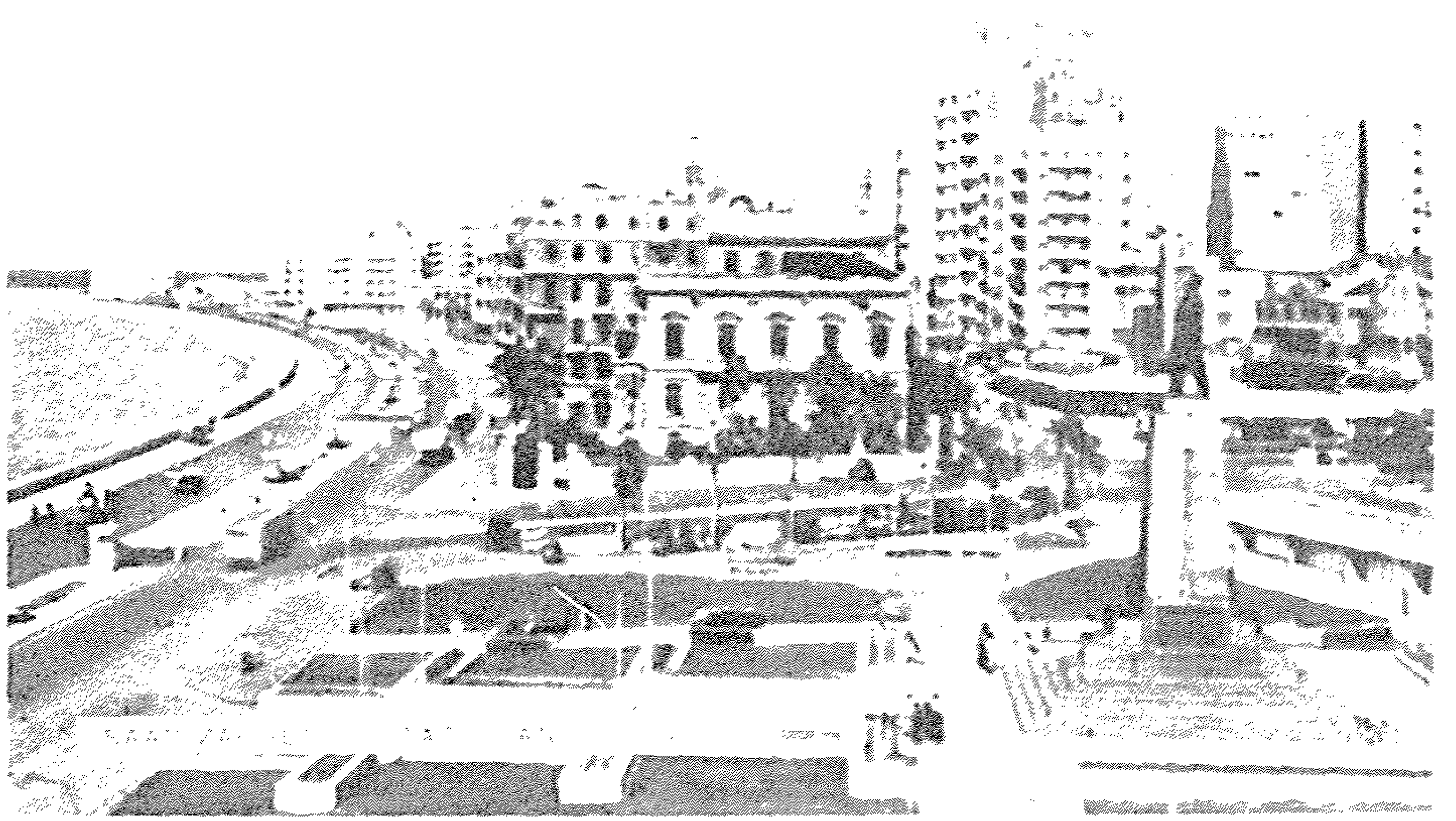
لوحة ٨٣ - الاسكندرية - قصر المنتزه - المنتزه

وخلال النصف الثاني من القرن العشرين أصبحت الشخصية المصرية مصرية بحتة حيث عهد بجميع شؤ ون البلاد الى المصريين وظهرت الثورة الصناعية والتعليمية وفيها تم التعويل على طبقات الشعب عامة وانعكس هذا على ما يقوم به هذا الشعب من أنشطة حيث زاد الدخل العام للأفراد وانتقل كثير منهم من مستوى اجتماعي معين الى مستوى آخر وكان من نتيجة هذا الطلب الزائد على الوحدات السكنية حيث انتقل الكثير ـ من أهل الريف إلى المدن ليحلو محل الأجانب في جميع الأعمال وكذلك حدثت حركة داخلية داخل المدن بين السكان لنفس السبب السابق وزادت طلبات المجتمع على توفير الخدمات والكماليات هذه الشخصية المصرية التي وجدت نفسها مرة أخرى صاحبة هذا البلد ومن حقها أن تعيش كما كان يعيش الأجنبي المحتل واحتكرت الحكومة الصناعة عن طريق التأمين وكذلك عمليات التصدير والاستيراد واعتمدت الحكومة على المصريين في ادارة شؤ ون البلاد وزادت الحركة التعليمية العليا في الجامعات لتوفير احتياجات الدولة من الخريجين في الهندسة والطب وخلافه ويقوم بتعليمهم المصريون وهذا أعطاهم حب الشخصية المصرية والاعتزاز بها ومازالت تلعب البعثات الى خارج البلاد دوراً رئيساً لنقل حضارة الغرب كل هذا أوجد صورة جديدة للحياة في مصر قد يكون منها ما هو سالب ولكن بدون شك ولدت ايجابيات أكثر وأنفع لهذا الوطن وهذا ينطبق على كل أنشطة المجتمع وأخذت الوطنية المصرية في ازدياد فبرغم من أن مصدر العلم هو الغرب ولكن الانطباعات العامة التي انطبع بها المتعلم المصري ظلت شرقية الخواص والملامح .





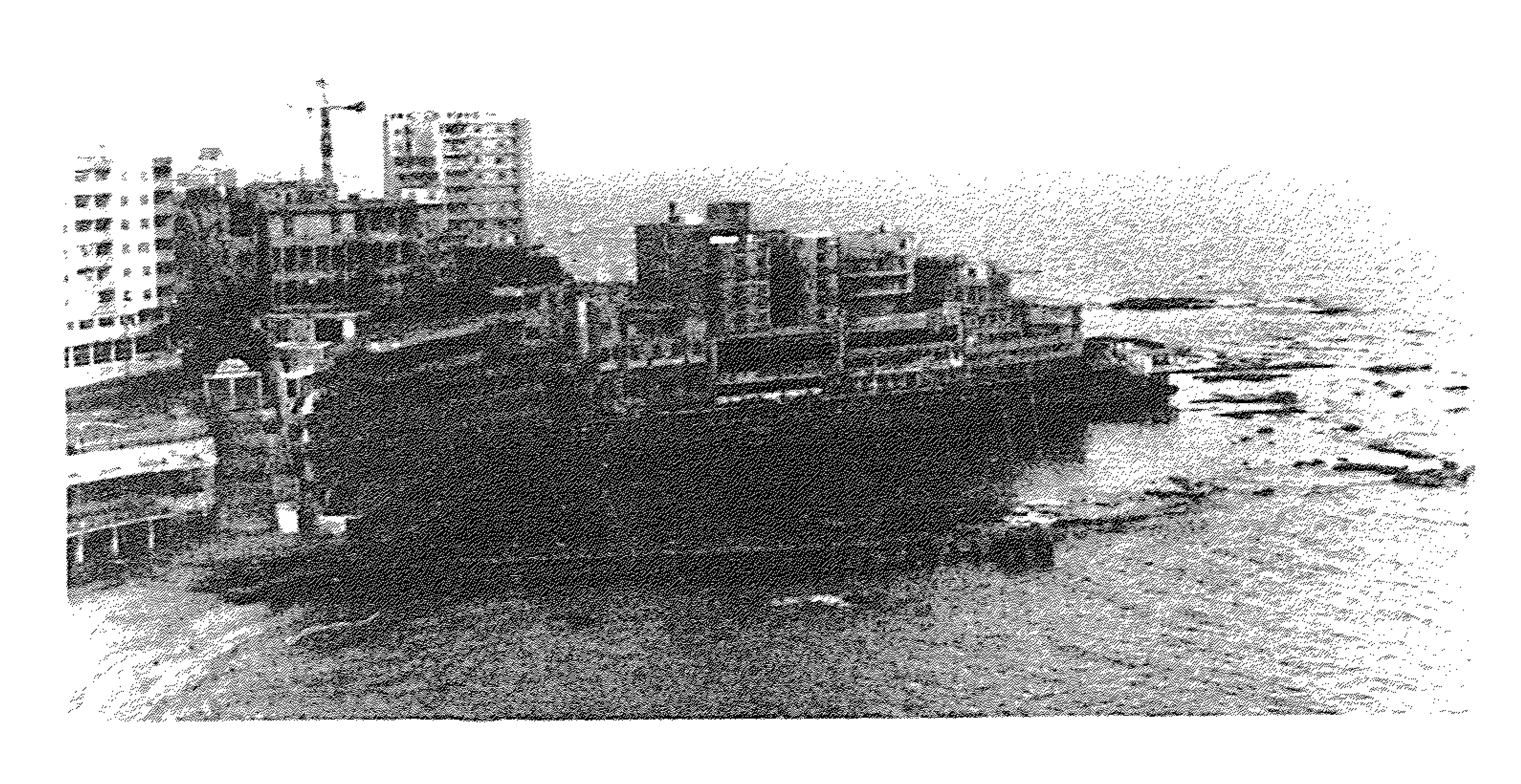




لوحة ٨٤ ـ الاسكندرية ـ شاطىء ستانلي ـ محطة الرمل ـ ميدان سعد زغلول ـ الميناء الشرقي

فهذا طه حسين والعقاد في الفكر والأدب وهناك حيث كثير من المعماريين المصريين والمهندسين خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أقاموا كثيراً من الأبنية ظهرت فيها البراعة المصرية والعمارة البيئية المحلية مثل أبو بكر خيرت وحسن فتحي وعلي لبيب جبر وسيد كريم وغيرهم ، وكان لكل فرد منهم اتجاهه فحيث كان أبو بكر متأثراً بالتراث الفرعوني والعمل على أحيائه نجد في اعمال علي لبيب جبر أو سيد كريم التأثير الغربي ولكن بالطريقة المصرية واضحاً بينما حسن فتحي صاحب مدرسة العمارة البيئية المحلية ولكن في اطار معين .

هذه المدرسة من المعماريين التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أضاءت الطريق للأجيال المعمارية بعد ذلك حيث عكفوا على دراستها ودراسة ما يحيطهم وبدون شك كان لهم رؤ يتهم الجديدة في مفهوم العمارة انعكس هذا أيضاً على جيل المعماريين الأخير والذي أصبح أكثر تشبعاً بمصريته حسب العوامل الزمنية والمنطقية للأشياء وخاصة طبيعة الظروف الجديدة حيث تنوعت المشروعات وزاد تعداد السكان وزادت الاتصالات والمواصلات قوة بين أركان العالم وبين أجزاء الوطن فأصبحت الحاجة إلى توفير المسكن المناسب لمواجهة زيادة تعداد السكان واقامة المشروعات الصناعية الثقيلة والخفيفة وإقامة مشروعات المرافق العامة والمشروعات السياحية والثقافية والدينية وغيرها من مشروعات العصر الحديث .



لوحة ٨٥ ـ الاسكندرية ـ رمل الاسكندرية ـ شاطىء ستانلي

وأصبح لازماً على المجتمع والقائمين عليه والمسؤولين عن العمران الألتزام بالأسس العلمية لحل كل تلك المشاكل وخاصة الاسكان فكان لزاماً عليهم الاستفادة من المواد الجديدة العالمية في التشييد والانشاء والتشطيب ومراعاة الأسس الهندسية ـ المعاصرة في تصاميم المشروعات والاستفادة بتكنولوجية البناء لتوفير السرعة في التشييد والاقتصاد في تكاليف الأيدي العاملة فبعدما كانت الأيدي العاملة لا تمثل القدر الكبير ـ من نسبة تكاليف البناء وصلت الآن إلى ٤٠ ، ٥٠٪ من تكاليف البناء الأمر الواجب الأخذ به في استخدام الميكنة في عملية التشييد والبناء . إن النظم الحديثة في التصاميم والتشييد قد أوجدت اتجاهات حديثة في العمارة المصرية المحلية وهذا يمكن النظر إليه على أساس تطور علمي لعملية البناء يتمشى مع التطور الاجتماعي الذي حدث للمجتمع المصري . والمجتمع المصري كما تقبل التطور العلمي النابع من الحضارة ـ الغربية تفهم هذا التطور الناتج في فراغاته البنائية ليتمشى مع ملامح العصر عصر السيارة والقطارات والطائرات عصر الحاجة إلى حل المشاكل بنفس سرعة الاتصالات خلال ما يوجده المجتمع من حلول لمشاكله ومتطلباته المعمارية فإنه لا ينسى مقوماته الحضارية والتراثية فإن الناظر إلى العمارة المحلية المصرية على مر العصور يراها قد مرت بهذا التطور المستمر حسب العصر ومتطلباته ولم يقف المجتمع المصري أمام تيار التطور ما دام التطور لا يطمس شخصيته . أن الشخصية المصرية كانت قادرة في الماضي على عكس صورتها على ما تنتجه من أعمال معمارية وهي الآن بنفس القوة قادرة على عكس صورتها على العمارة الحديثة لأنها شخصية ذات تراث وحضارة وفكر واع استطاعت بمبادئها تلك أن تستمر عبر العصور وحتى هذا العصر من أداء دورها نحو نفسها ونحو غيرها فلم تتقوقع في يوم من الأيام بل كانت على اتصال دائم بمنابع الحضارات المختلفة ولم تقف منها موقف المتفرج بل على عكس ذلك تقربت منها تستكشف أصولها وتستفيد منها كما أفادت من قبل هذه الحضارات .

ولقد استطاعت الشخصية المصرية في العصر الحديث أن تتجاوب مع متطلبات العصر فأقامت القرى السياحية ومشروعات السياحة لتوفير فراغات جديدة لمتطلبات جديدة والمباني الادارية والحكومية لتوفير أمبر المسطحات للخدمة الادارية لهذا ـ المجتمع وغير ذلك من الفراغات المطلوبة ويكفي أن المسؤولين عن هذه التصميمات ـ والتنفيذ هم هؤلاء المهندسون أبناء هذا المجتمع الذين تعلموا العلوم الغربية ـ وصاغوها برؤية جديدة مصرية .

إن استخدام الآلة في ميكنة البناء هي احدى مظاهر العمران الحديث لقد طوعها الانسان المصري لتوفير البناء السريع والملائم له وقد استفادت الشخصية المصرية من هذه الميكنة على كل مستوياتها فظهرت العمائر المرتفعة في سماء القاهرة والاسكندرية بارتفاعات لم يسبق لها مثيل من قبل بفصل الآلة وحب الشخصية المصرية للتطور التكنولوجي في عملية البناء فتعلمت أصول البناء الحديث وأساليب التشييد ومقومات عمارة القرن العشرين . وكانت جزءً من هذا العالم يجب أن تقف على كل ما هو جديد في مضمار العلم البنائي لكي تشارك النهضة العالمية في التشييد والبناء ولا نقف ـ منها موقف المتفرج ولكي تساهم في هذه النهضة العالمية بدون تردد وأنها عندما تستخدم الميكنة في التشييد فهي تستخدمها بالطريقة التي تلائمها اجتماعياً واقتصادياً وهي إذ تستخدم كل ما هو في عالم البناء فهي تستخدمها بالطريقة التي تناسبها فتقوم باختيار الأنسب منها وتشارك في تطويرها لتلائم بيئتها وطبيعة مجتمعها وبذلك تشارك في الحياة العالمية ويكون لها دور فعال وهذه هي صفات الشخصية المصرية عبر التاريخ .

ولقد ساعدت البيئة المصرية المادية والروحانية على تكييف كل ما وصل إلى يد هذا الانسان المصري لتلائم هذه البيئة طبيعياً وجغرافياً وانسانياً حيث أن هذا الانسان المصري ذو التاريخ الحضري والذي استمر هذه القرون العديدة منطبعاً ببيئته فهذه الفتحات المتناسبة مع شدة الاضاءة ودرجتها درسها بعناية في جميع مجالات التصاميم المختلفة لكافة المشروعات وكيفية علاج درجات الحرارة والاستفادة من التوجيه السليم ناحية الرياح المفيدة والابتعاد عن الرياح الضارة وتوجيه المباني بالنسبة لأشعة الشمس والتحكم فيها حسب العناصر المختلفة للمشروعات .

هذه العوامل البيئة الطبيعية التي وجهت المعماريين المصريين إلى الأخذ بها

أوجدت بدون شك عمارة مصرية بيئية محلية فلا نستطيع استيراد تصاميم عالمية وزرعها في مصر لأنها سوف لا تتلائم مع طبيعة البيئة المصرية وبالتالي فالعمارة المصرية المحلية تلائمت مع طبيعة بيئتها وأوجدت لها طابعها الخاص وخاصة أن مهنة التعمير والتشييد استمرت من العصر الفرعوني حتى الآن . الذي أكسب المصري مفهوماً وأسلوباً في معالجة البيئة لكي لا يبتعد هذا الانسان المصري عن بيئته فيهجرها بل على عكس ذلك كان الانسان المصري أكثر الشعوب التصاقاً بأرضه على طول العصور ـ المختلفة حتى الآن لا لشيء إلا أنه وجد نفسه واحتياجاته العامة والخاصة وخصوصيته واستطاع أن يصنع من بيئته الإطار السليم ومباشرة حياته من بينها منزلة وأماكن أنشطته المختلفة .

وهذا يبرهن على أن المصري عبر العصور المختلفة كان ملتزماً باحترام بيئته في أفعاله . فقد يختلف القدر في معالجة الفراغات المعمارية لتتمشى مع بيئتها في العصر الحديث حيث وفرت الوسائل العلمية الحديثة في عملية التحكم في البيئة وكان عليه عند استخدام الطرق العلمية الحديثة أن لا يتمسك بالقواعد القديمة الخاصة بالبيئة وليس هذا خطأ فقد تظهر واجهات زجاجية اكثر تسطيحاً عما كان من قبل ولم لا؟ ما دام أحد المظاهر الحديثة للعمارة الحديثة عمارة القرن العشرين هو الاستفادة من النظم الحديثة في التحكم في البيئة داخل الفراغات مع درجات حرارة وبرودة ودرجة إضاءة وأشعة شمس مسموح بنفاذها .

لقد استطاعت البيئة المصرية الطبيعية أن تكون مصدر الهام للمعماري في استنتاج مكوناته حيث اعتدال المناخ وصفاء السماء والشمس الساطعة استفاد من هذا في تكويناته القوية حيث النور والظل وهذه المواد الطبيعية المختلفة من أحجار جيرية في شمال الوادي وأحجار صلبة في جنوب الوادي وطمي على طول مجرى الوادي ، لقد استفاد المصري من هذه المواد الطبيعية في التشييد والبناء .

ولما كان للانسان المصري من تراث حضاري وجذور حضارية اجتماعية لها عاداتها وتقاليدها كان واجباً على المعماري الالتزام بما يكتنزه هذا المجتمع من أصول وعلاقة في عاداته وتقاليده التي تميزه عن باقي المجتمعات والتي استمرت معه عبر الحضارات المختلفة على مصر هذه العادات والتقاليد من شأنها أن تطبع الفراغات العامة والخاصة بطابع معين خاص يوفر شخصية هذا المجتمع فهذه الخصوصية في تصاميم الوحدة السكنية أوجدت صورة معينة لمكونات المسقط الأفقي للمنزل أو الوحدة السكنية .

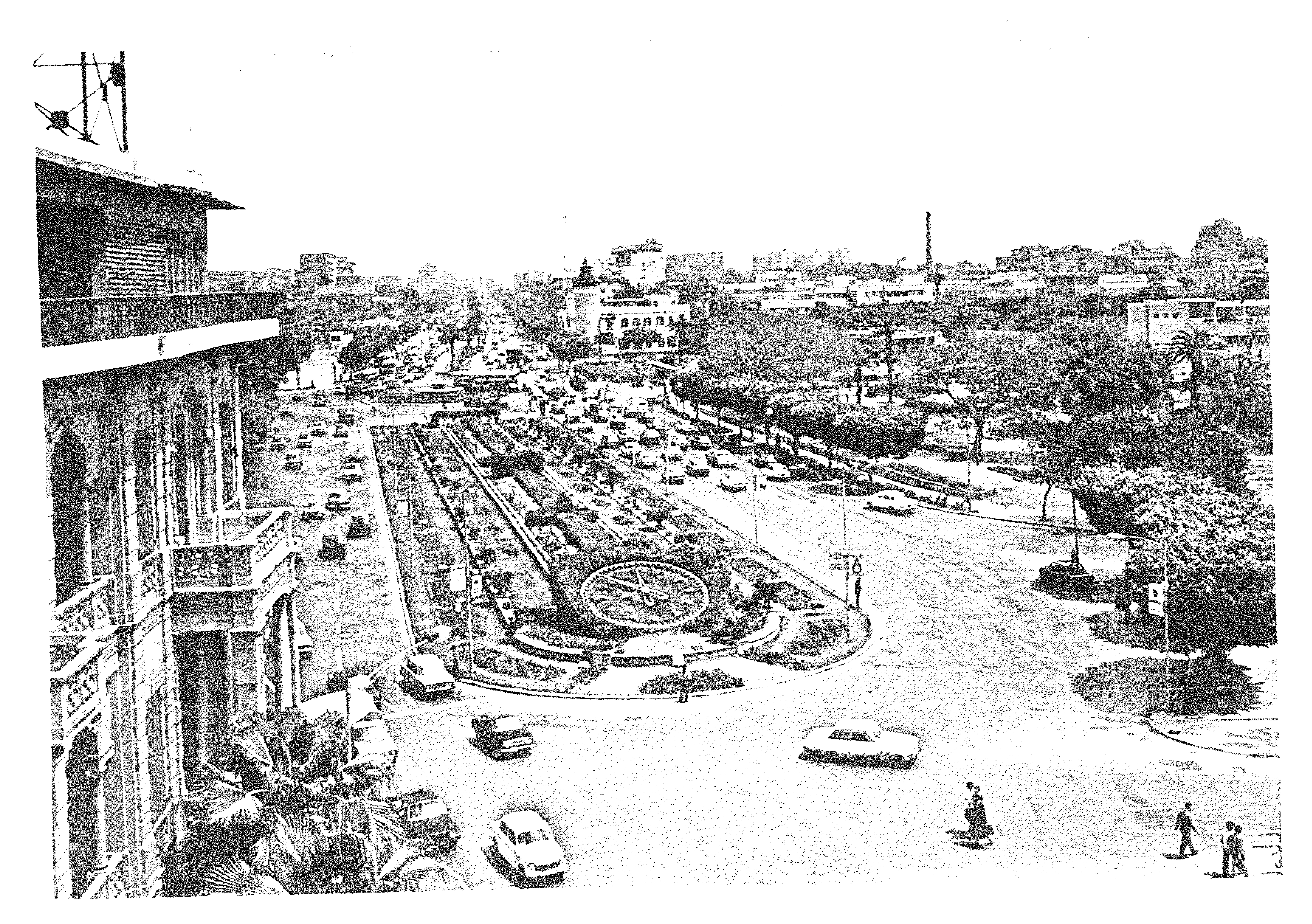
ويمكن القول بأن العمارة المصرية المحلية قد وفت بما تطلبه الشخصية المصرية وبيئتها وما يتطلبه العصر في أسس التصاميم وميكنة التنفيذ وتطور التجهيزات ـ الداخلية للمبنى وهي ما زالت تبحث لها عن خط خاص بها تقف فيه بين عمارات الأمم الأخرى ولا يعيبها أنها ليست صورة متكررة من النظم المعمارية العالمية الموجودة بل هذا يميزها قد تكون الصورة الحالية موجبة في نظر بعض المحللين وقد تكون فيها شيء من السالب للبعض الآخر ولكن بدون شك هناك اتجاه وإن كان غير معلن للوصول إلى عمارة بيئية محلية حيث يمكن أن يقال الآن أن العوامل الكفيلة باستنباط هذه العمارة البيئة الحديثة للقطر المصري قد توفرت الآن في العصر الحديث المصري حيث النضوج الوطني والفكر الذاتي والرؤية المصرية الصميمة .

ويمكن القول أنه إذا كان الناتج المعماري لكل فترة هو ناتج طبيعي ومصاحب لعوامل عدة في عصر وقد تختلف من عصر إلى آخر يمكن أن نقول أيضاً أن العمارة الناتجة ما هي إلا عمارة بيئية ولكن لذلك العصر .

والله الموفق .



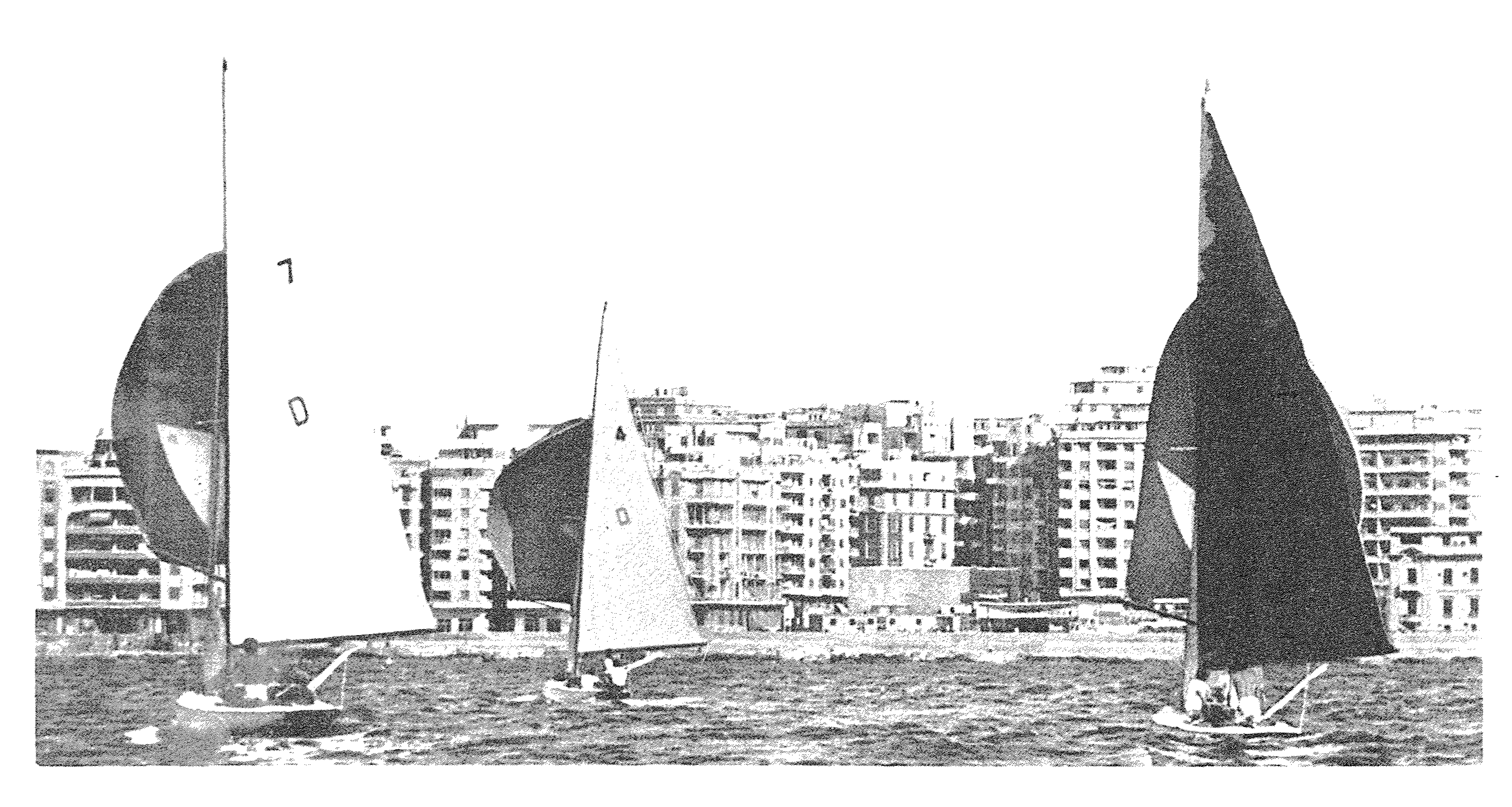
لوحة ٨٦ ـ الاسكندرية ـ شاطىء ستانلي



لوحة ٨٧ - الاسكندرية - ساعة الزهور - مدخل طريق الحرية (وسط المدينة) باب شرقي



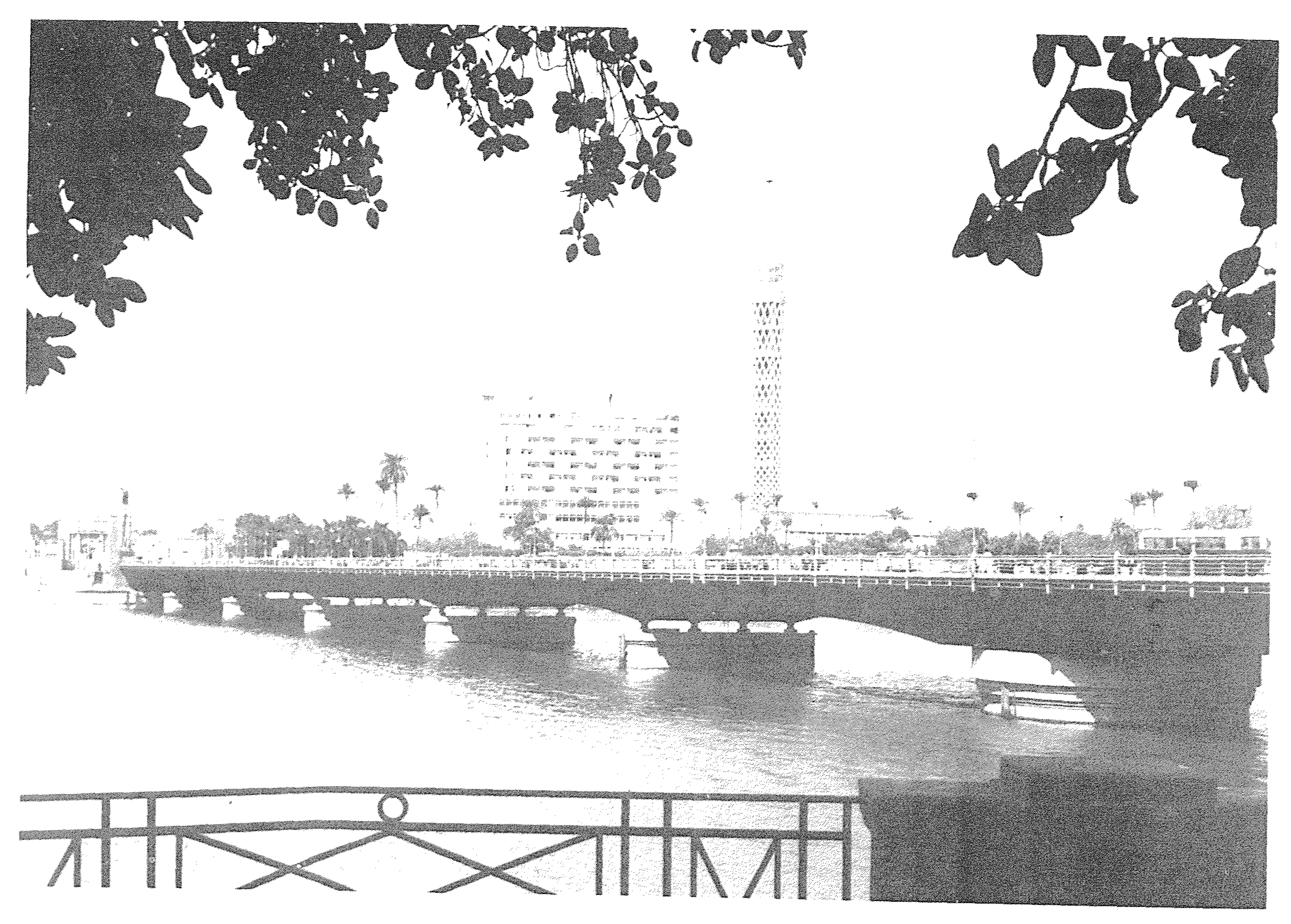
لوحة ٨٨ - القاهرة - ميدان التحرير - المتحف المصري .



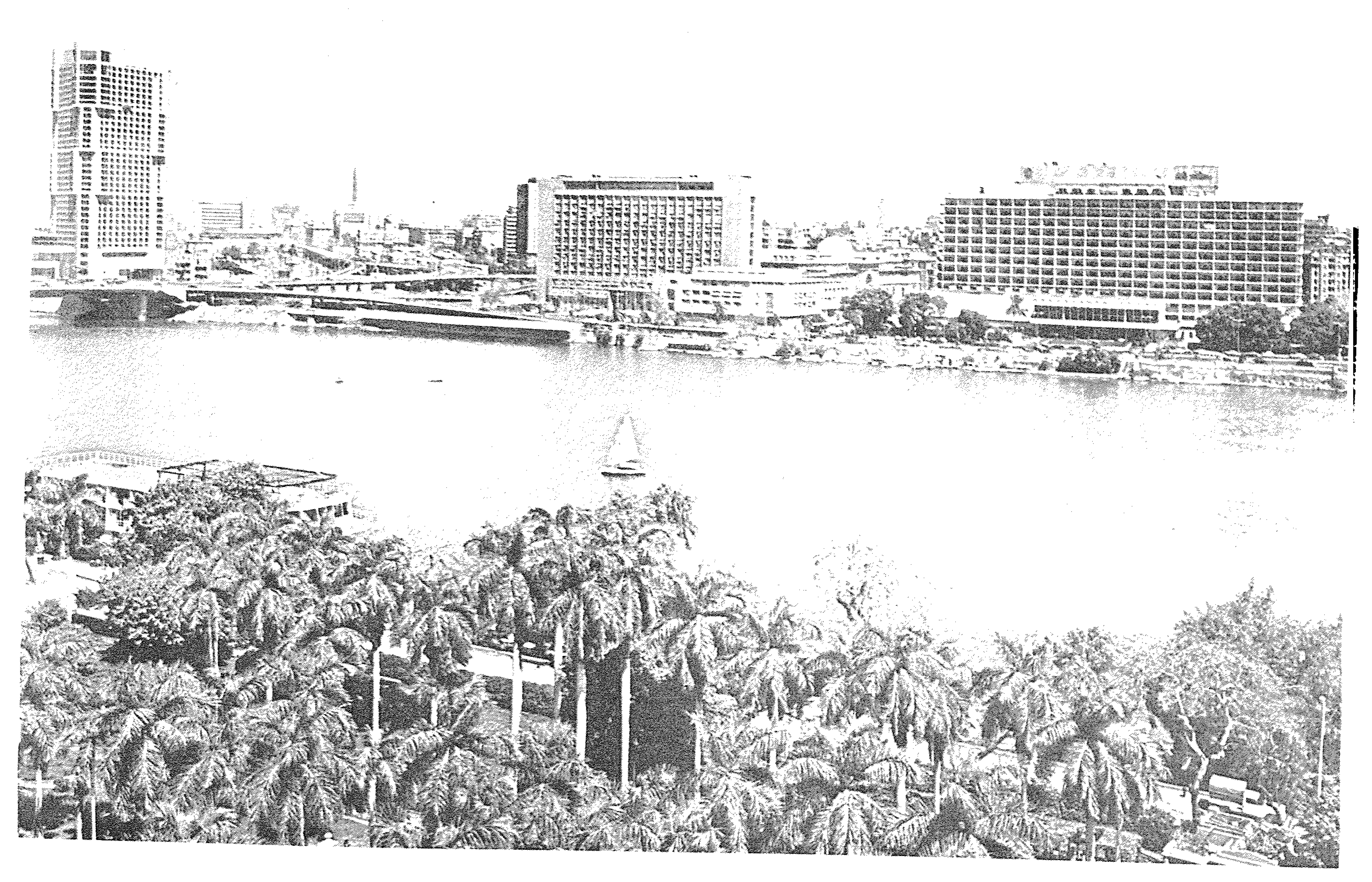
لوحة ٨٩ـ الاسكندرية ـ نادي اليخت ـ الميناء الشرقي الجمرك



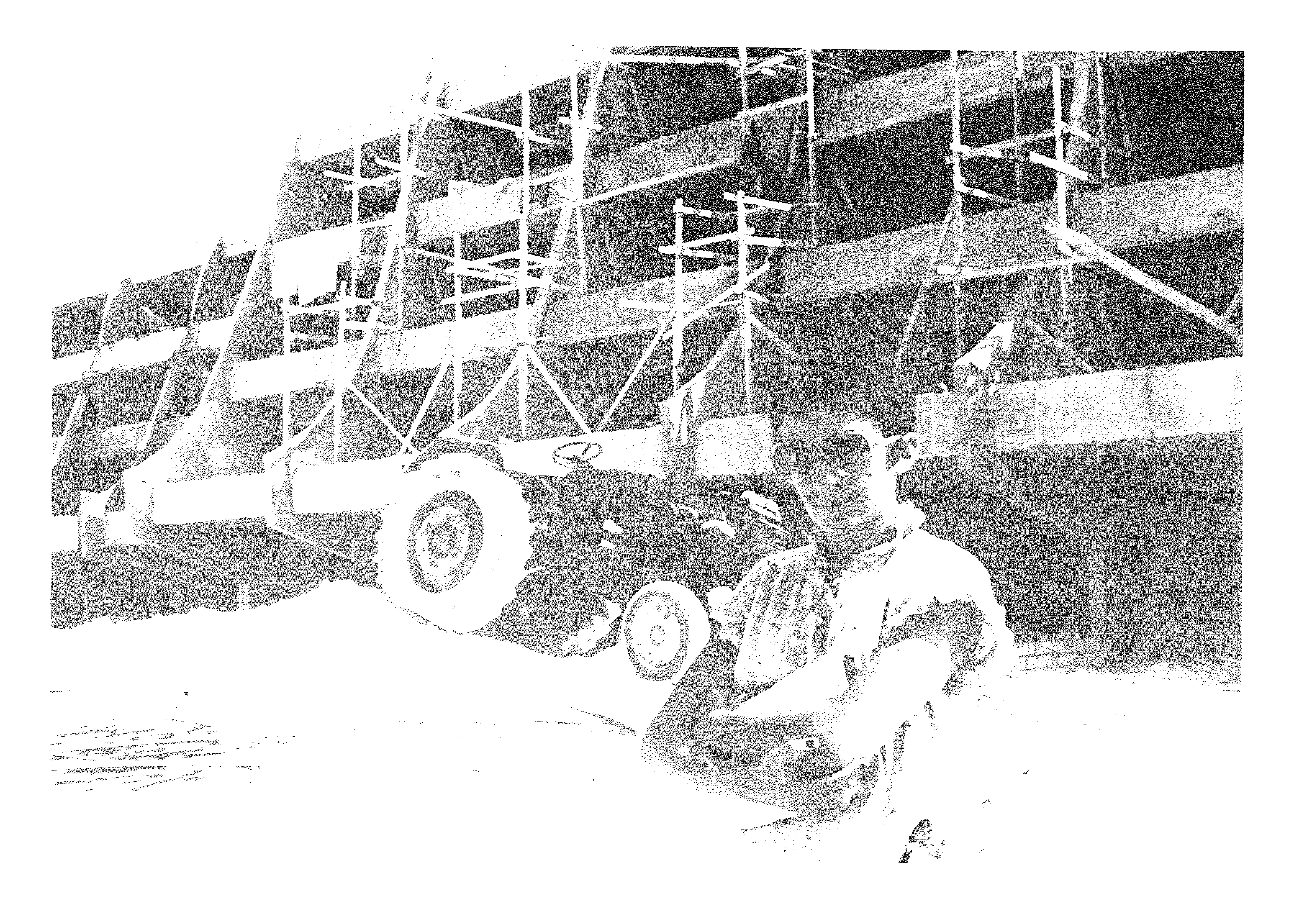
لوحة ٩٠ـ القاهرة ـ مبنى التليفزيون المطل على النيل



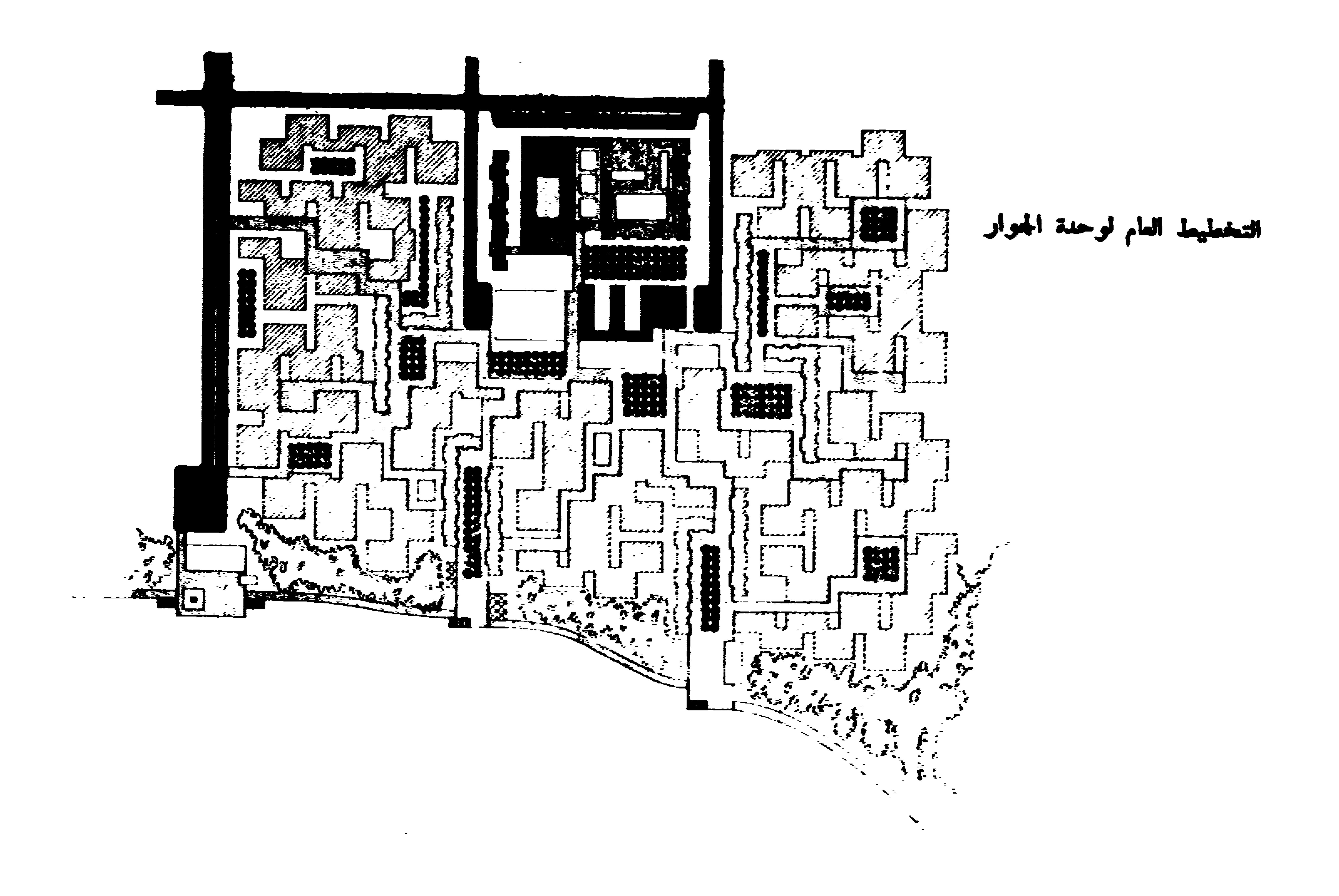
لوحة ٩١ - القاهرة - كوبري التحرير - البرج

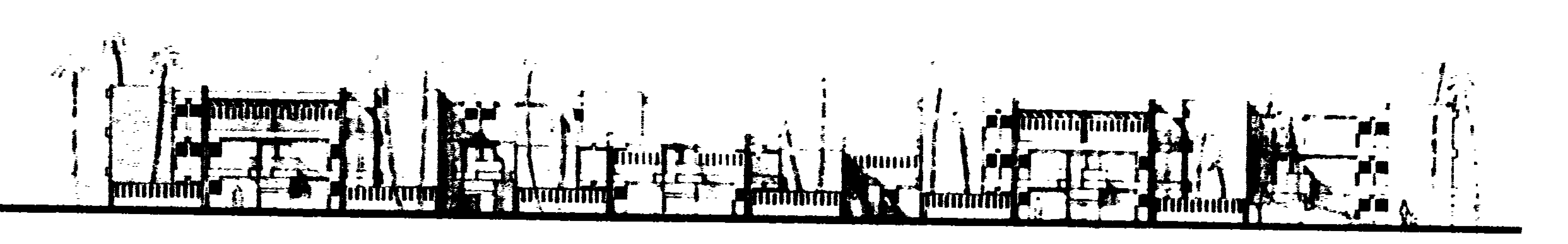


لوحة ٩٢ - القاهرة - متطور على النيل - فندق النيل هيلتون - بنك الاتحاد الاشتراكي - فندق هيلتون رمسيس - أقصى اليسار .



لوحة ٩٦ - الاسكندرية - الساحل الشمالي الغربي - المدينة المصيفية للمهندسين - تصميم د . محمود حنفي - د . محمد عبدالعال .

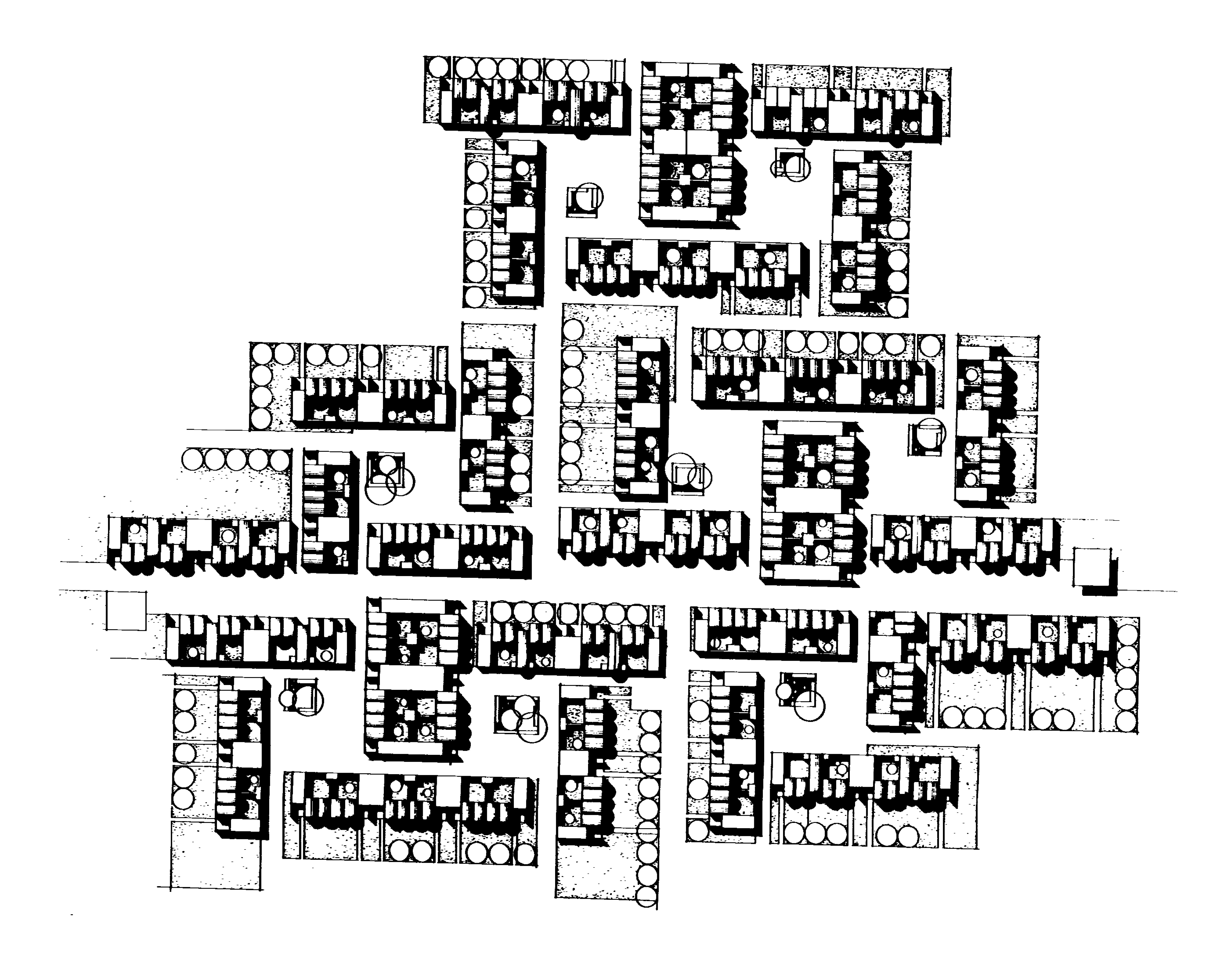




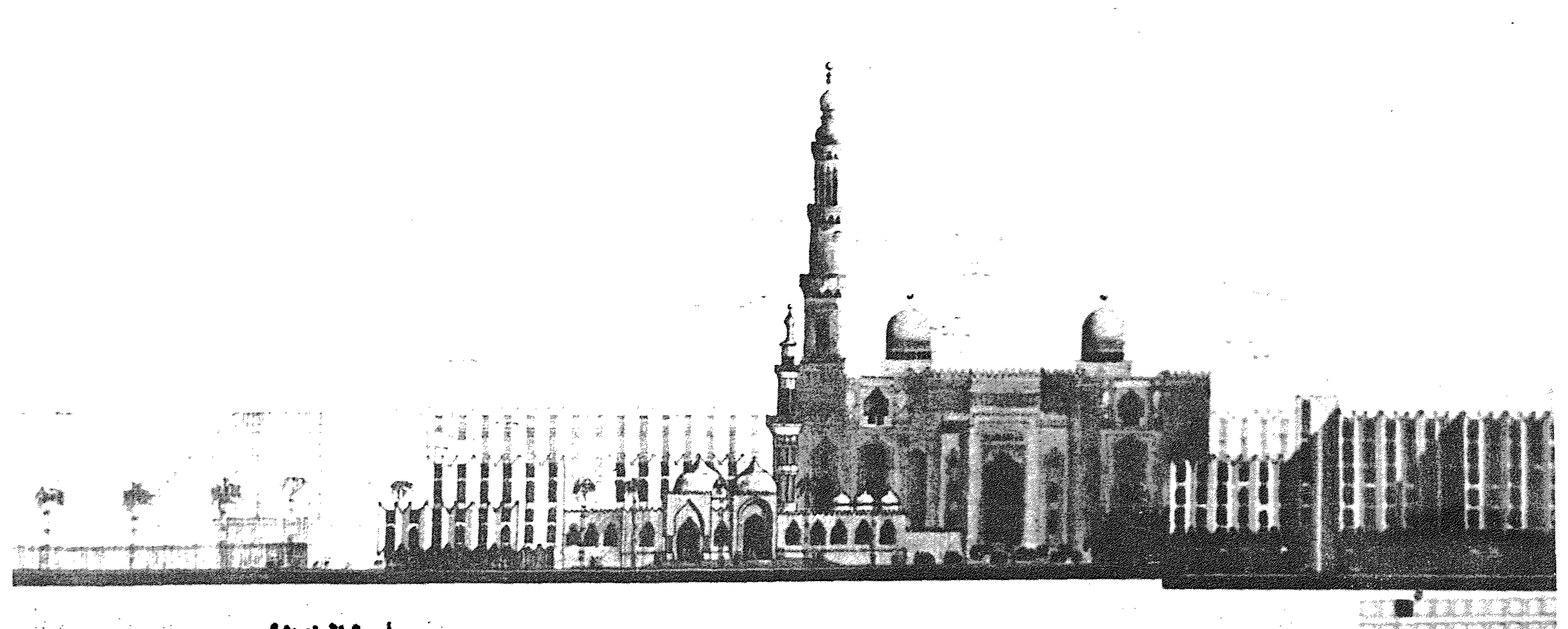
لوحة ٩٨ - الجيزة - مشروع تطوير منطقة سكنية متدهورة - تصميم صلاح شحاتة



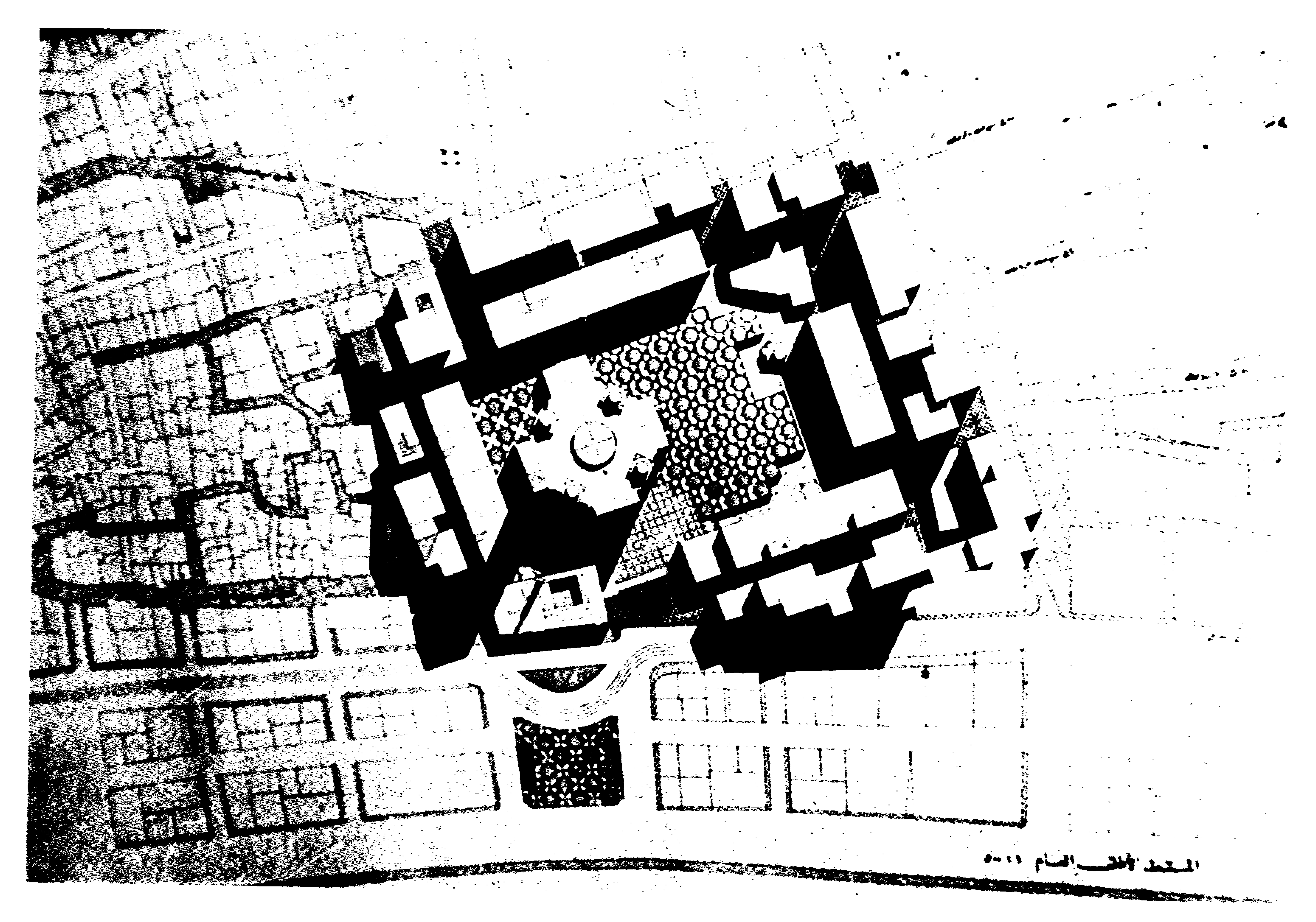
لوحة ٩٩ - الجيزة - مشروع تطوير منطقة سكنية متدهورة - متطور - تصميم صلاح شحاتة



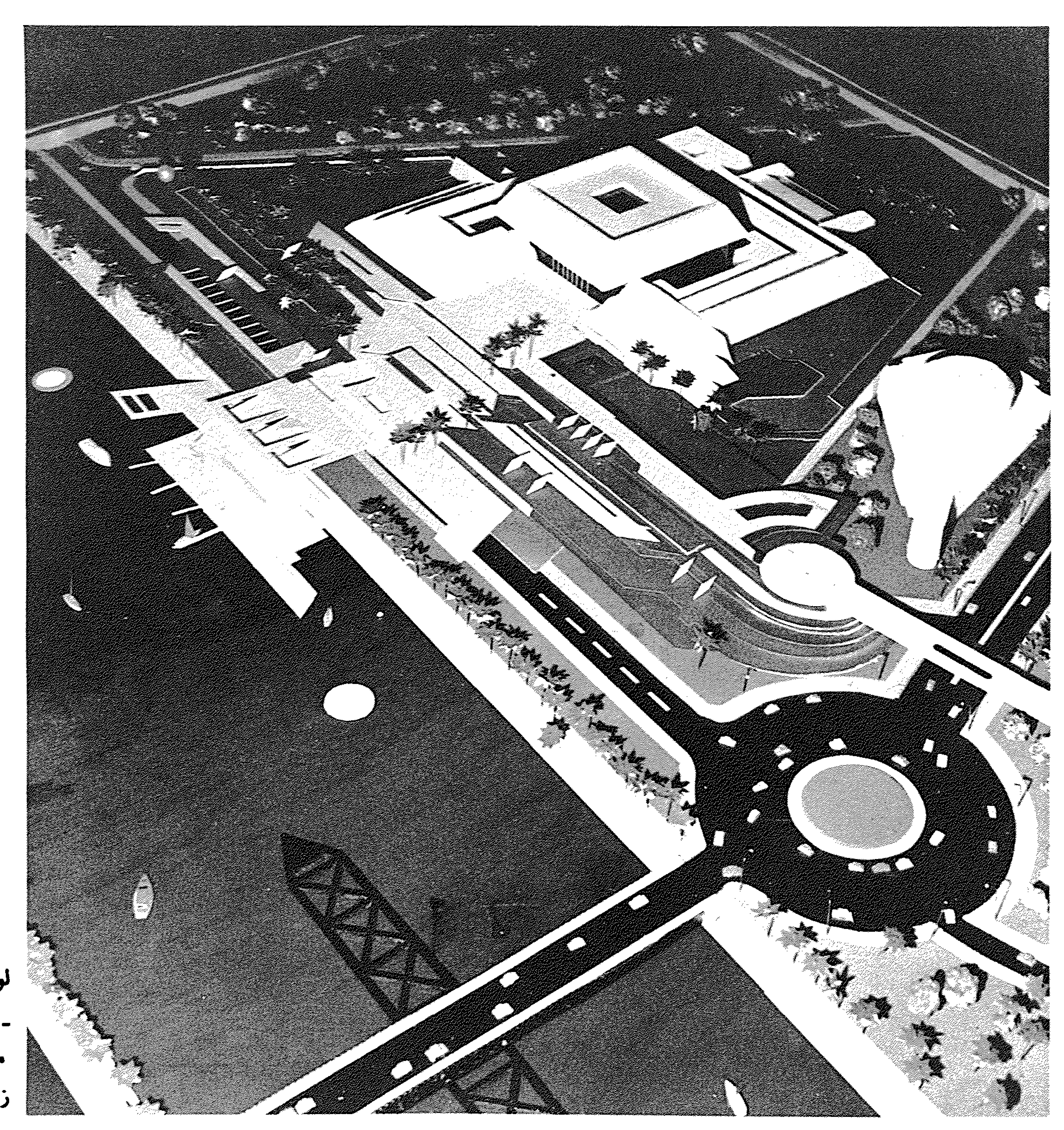
لوحة ١٠٠ - قرية للعمال الزراعيين - جناكليس - تصميم أبو الفضل - الحضري - الخولي



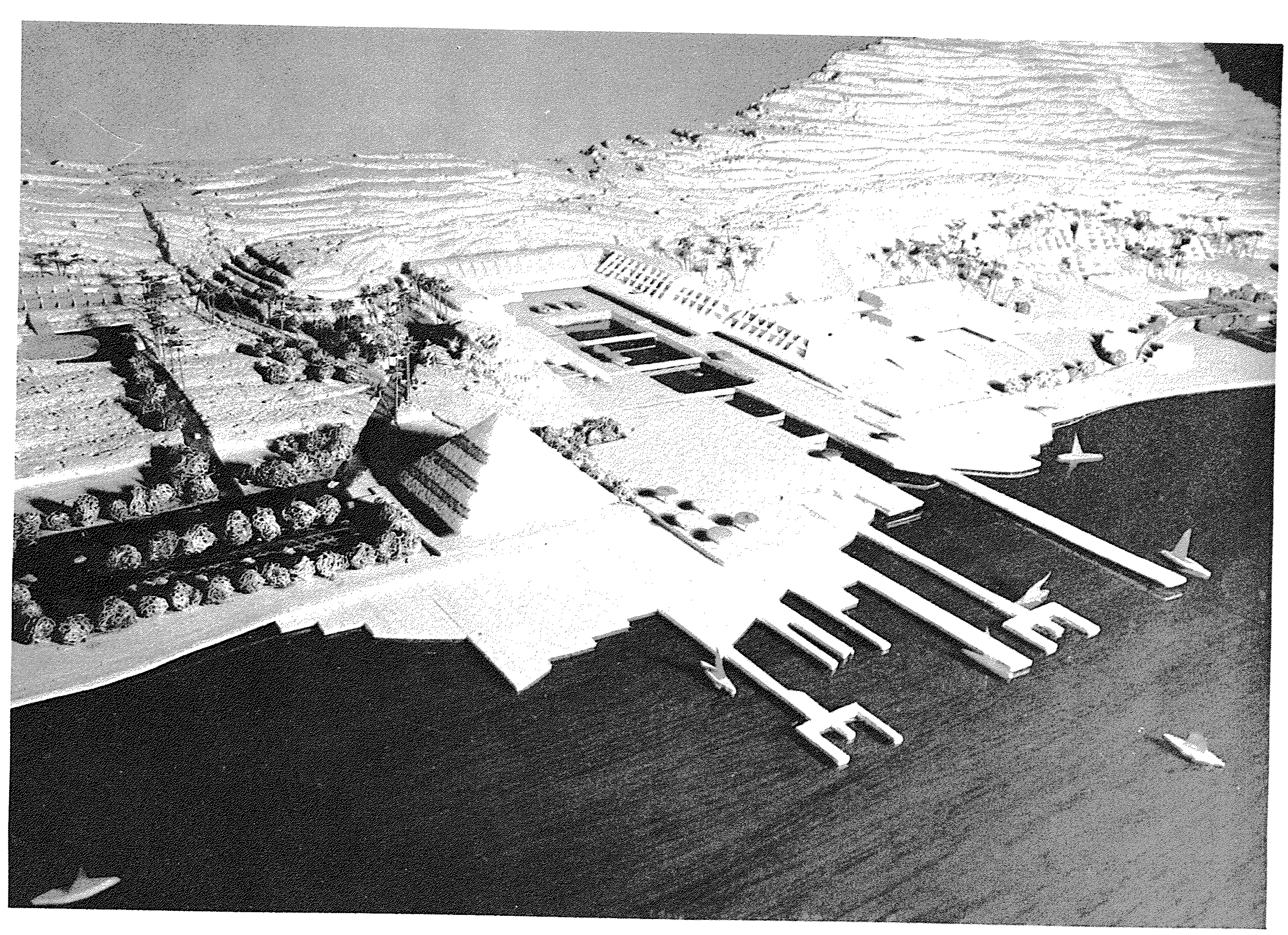
لوحة ١٠١ - الاسكندرية - الجمرك - مشروع تطوير ميدان المساجد - أبي العباس المرسي - مسقط عام - تصميم - عبدالعال - الصياد - الصوري



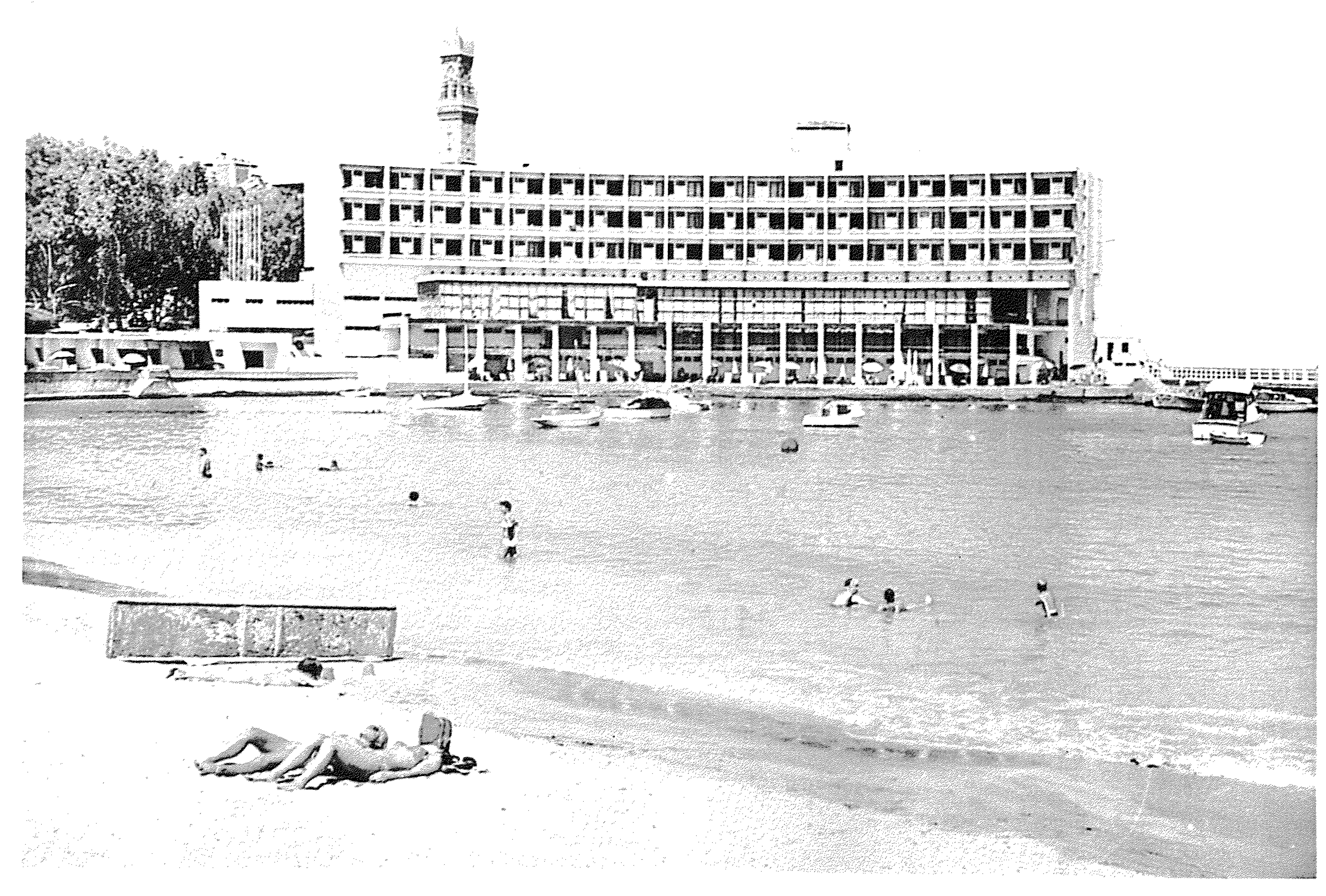
لوحة ١٠٢ ـ الاسكندرية ـ الجمرك ـ مشروع تطوير ميدان المساجد ـ أبي العباس المرسي ـ واجهة الموصل الرئيسية والميدان .



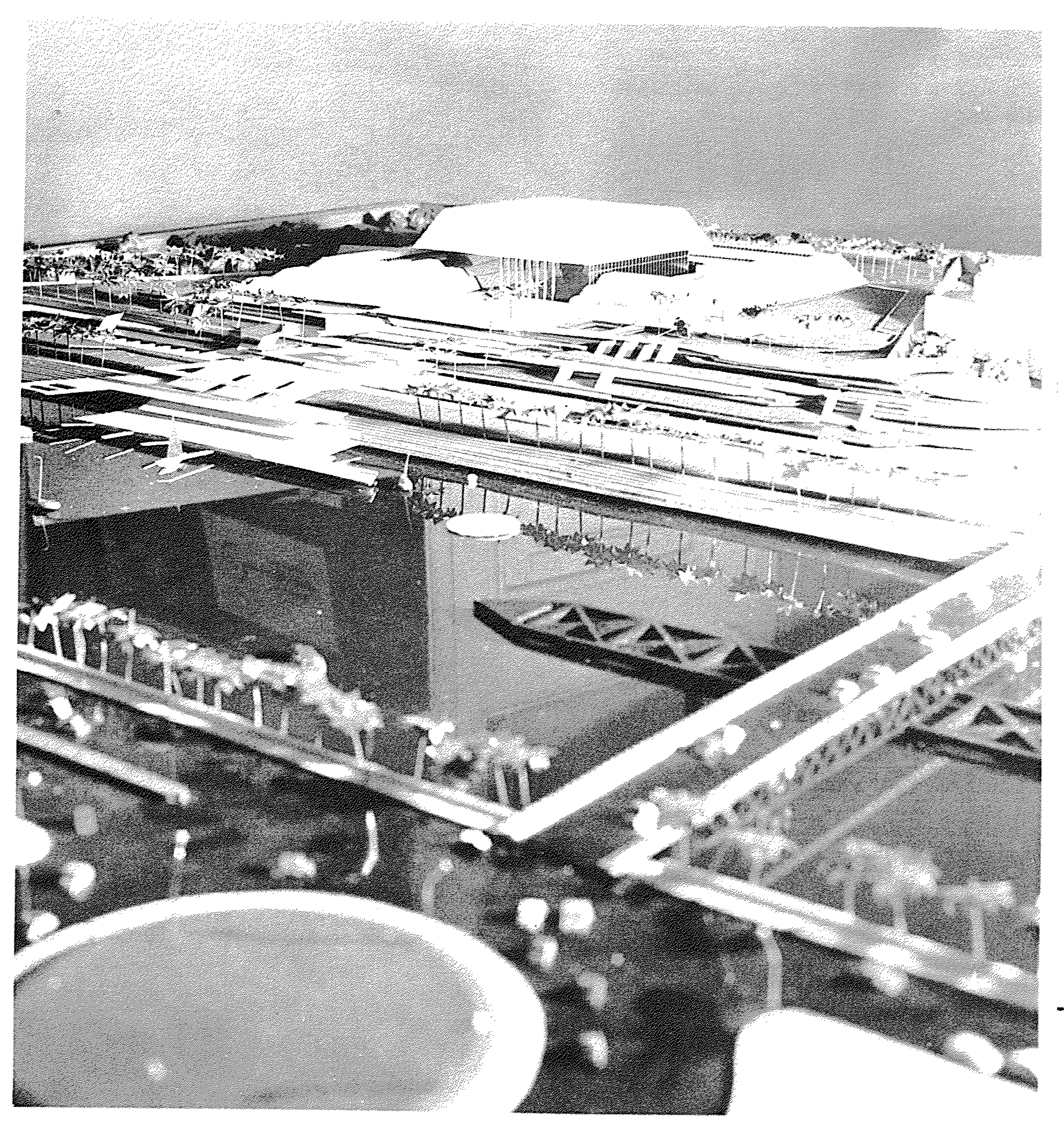
لوحة ١٠٦ - القاهرة - أرض المعارض - مشروع المتحف القومي المصري - متطور عام - تصميم زهران - عبدالعال - الصياد



لوحة ٩٥ - حمامات فرعون - سيناء - مجمع سياحي علاجي - تصميم - عبدالعال - الصياد - الصوري



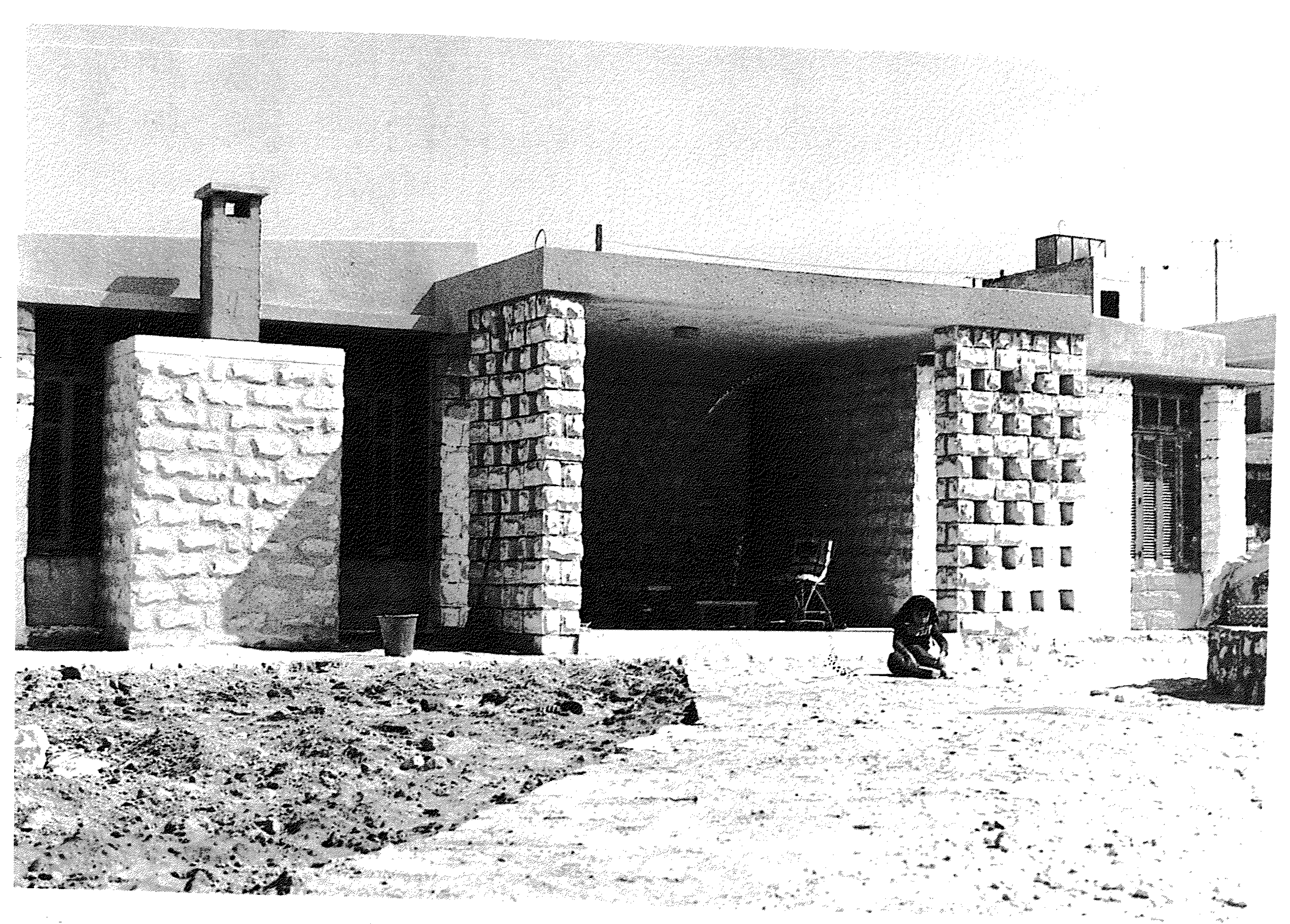
لوحة ٩٣ ـ الاسكندرية ـ فندق فلسطين ـ المنتزه



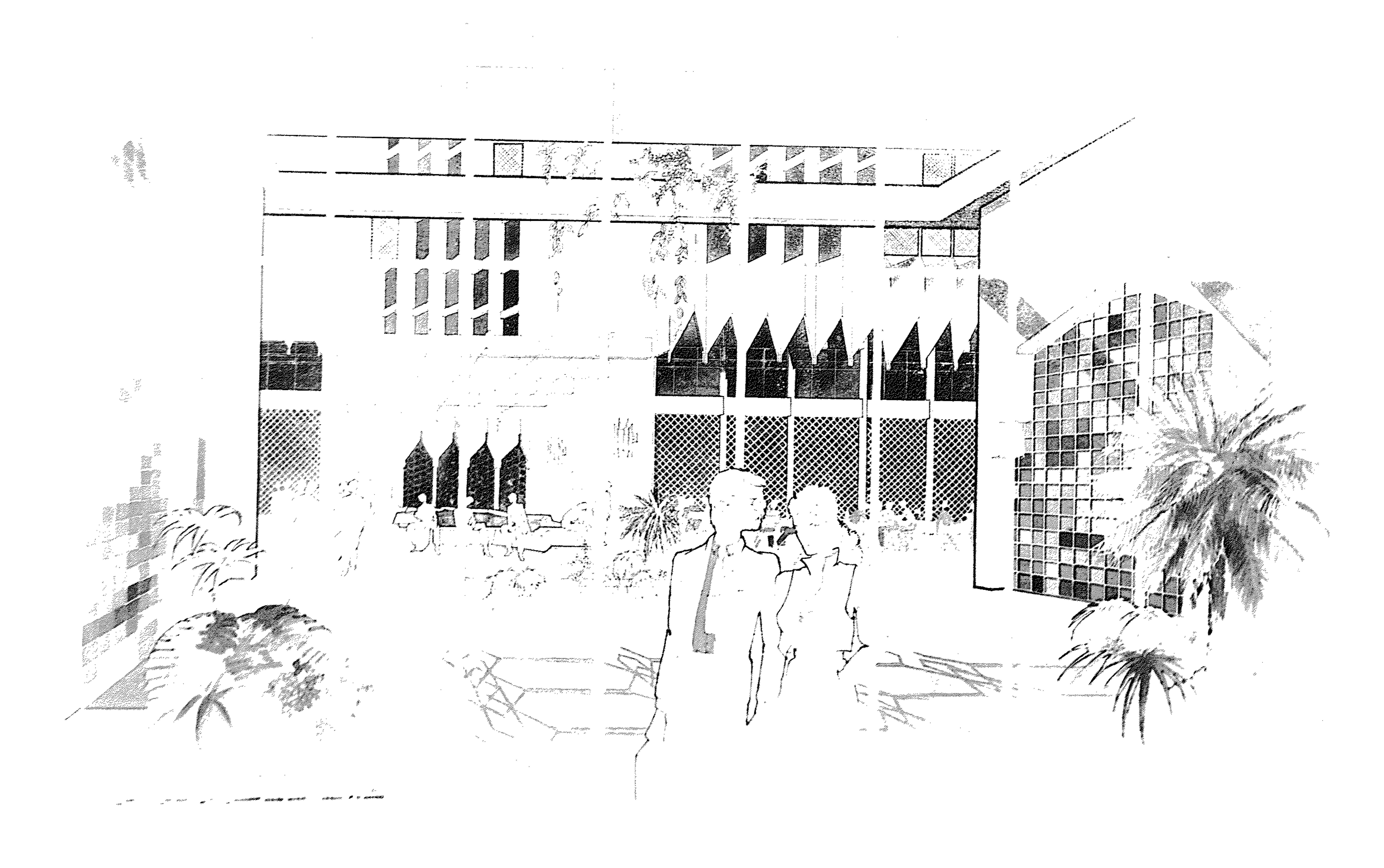
لوحة ١٠٥ ـ القاهرة ـ أرض المعارض ـ
مشروع المتحف القومي المصري
ـ متطور عام ـ تصميم
زهران .. عبدالعال ـ الصياد



لوحة ٩٤ - القاهرة - فندق النيل هيلتون



لوحة ٩٧ ـ الاسكندرية ـ العجمي ـ أبو تلات ـ فيلا مصيفية ـ تصميم محمد عبدالعال



لوحة ١٠٤ - الاسكندرية - الجمرك - مشروع تطوير ميدان المساجد - أبي العباس المرسي - الطابع العام لممرات المشاة . تصميم - عبدالعال - الصياد - الصوري



لوحة ١٠٣ ـ الاسكندرية ـ الجمرك ـ
مشروع تطوير ميدان المساجد ـ
أبي العباس المرسي ـ ممر سيد بن الأباصيري
ـ تصميم ـ عبدالعال ـ الصياد ـ الصوري

المراجع

محمد عبدالعال ابراهيم : العمران والعمارة بالوطن العربي ـ دار المعارف ـ القاهرة .

محمد عبدالعال إبراهيم : الفراغ المعماري والمجتمع ـ مجلة كلية الهندسة ـ جامعة الاسكندرية ١٩٨٤ .

صالح لمعي مصطفى : التراث المعماري الاسلامي في مصر ـ بيروت ١٩٧٥ .

محمد بدر الخولي : المؤثرات المناخية والعمارة العربية ـ جامعة بيروت العربية ١٩٧٥ .

وزارة الثقافة المصرية : القاهرة في ألف عام .

سابا جورج شبر : النمو الحاضر للمدينة العربية ـ الكويت .

وزارة الأوقاف المصرية : مساجد مصر (مصلحة المساحة ١٩٥٤ م) .

علي مبارك : الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها القديمة والشهيرة (بولاق ١٣٤٨ هـ) .

حسن فتحي : العمارة والبيئة ـ كتابك (٦٧) ـ دار المعارف .

لنتون (رالف) : شجرة الحضارة ـ مكتبة الأنجلو المصرية (الترجمة العربية) القاهرة .

سارتون (جورج) : تاريخ العلم (الترجمة العربية) ـ دار المعارف بمصر .

محمد عبدالرحمن : أصالة الفكر العربي ـ منشورات عويدا ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .

حسن فتحي: العمارة العربية الحضرية بالشرق الأوسط محاضرة القاها في نيسان ١٩٧١ ـ جامعة بيروت العربية .

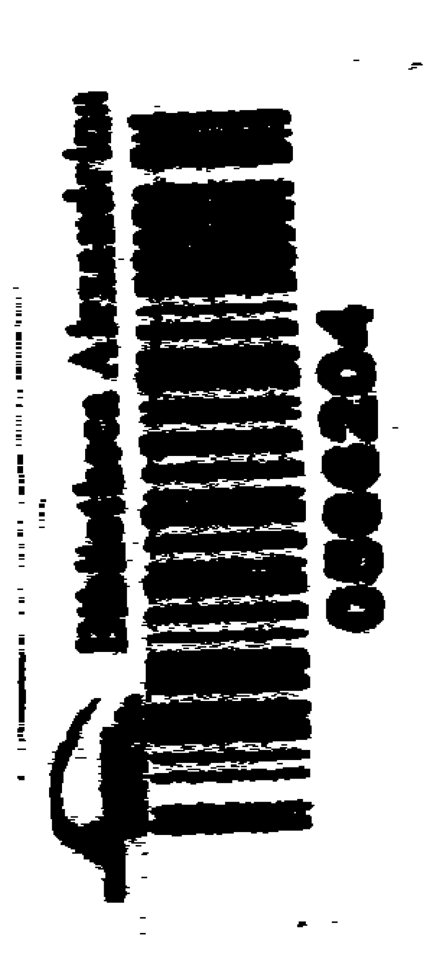
سنية قراعة : تاريخ الأزهر في ألف عام ـ دار المعارف .

محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الاسلام ـ الجزء الأول ـ دار المعارف بمصر .

حسن الباشا وآخرين : القاهرة : تاريخها وفنونها وآثارها ـ مطبعة الأهرام ١٩٧٠ .

فهرس اللوحات

المحتويات





شركة منشورات
دار الراتب الجامعية
DAR EL-RATEB AL-JAMIAH

☐ الادارة: مقابل جامعة بيروت العربية - بناية اسكندراني رقم (٣) الطابق ٢ تلفون ٣١٣٩٣٤ - ٣١٧١٦٩ تلكس: Rateb 43917 LE
☐ المكتبة: سوفير - مقابل جامعة بيروت العربية - بناية سعيد جعفر - تلفون ٣٠٦٥٠٥ ص.ب. ١٩٥٢٢٩ بيروت - لبنان